

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

العدد الثامن ـ السنة العاشرة ـ ربيع الاول 1387 ـ جوان 1967

فى هــذا العــدد :

تصدرها وزارة عموم الأوقاف
والشؤون الاسلامية
بالمملكة المغربية

ثمن العدد درهم واحد

العدد الثامن
السنة العاشرة
ربيع الأول 1387
جوان 1967
ثمن العدد
درهم واحد

دعوة الحق

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ـ المغرب . الهاتف 10 ـ 308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فاكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :
مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث رأسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :

« دعوة الحق » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تليفون 308-10 ـ 327-03 ـ الرباط

كلمة العدد

الفجر الصادق

اذا القينا نظرة فاحصة على حياة المسلميـــن المعاصرة ، وعلى رقعة العالـــم الاسلامي فى حاضرها اليوم ، نجدها تشغل حيزا كبيرا من المعمور ، وتتميز عن غيرها من الدول بالتجاور فى المكان ، والتركز فى قلب العالم ، وان معظم هذه البلاد الاسلامية نالت فى العقود الاخيرة استقلالها ، وتمتعت بكرامتها ، وهي تتجه اليوم الى استكمال نهوضها حتى تسير فى ركب الحضارة الانسانية وتعمل جـــادة لتوحيد نشاطاتها ، وتوثيق رابطة بينها للعمل الدائب المتصل فى خدمة القضية الاسلامية المقدسة .

ولقـــد ظلت الشعوب الاسلامية آمادا طويلة ، والاستعمار الصليبي يعمل على تخدير وجدانها ، وشل ارادتها لتشتيتها ، وتفريق كلمتها متعاونا فى ذلك مع الملاحدة المارقين الذين ينظرون الى الاسلام نظرة من يرى فيه مزاحما خطيرا يخشى منه ان ينازعهم السلطان على عقول الامم وضمائرها ، فى مسائل الاخلاق والمعاملات .

ويحدثنـــا التاريخ عن كثير من الاعمال الشائنة ، والتصرفات الخرقاء الموجهة ضد الاسلام والمسلمين ، والتي كانت تصدر عن عملاء الطغيان ، وجند الشيطان الذين اتحدت وجهتهم ومقاصدهم ، واهدافهم ـ بالرغم عن وجود خلافات مستحكمة دفينة فيما بينهم ـ لتفتيت وحدة المسلمين ، وتفريق كلمتهم وتوهين عقيدتهم .

١ ـ فالحـــروب الصليبية التي اوقد الاستعمار الكافر نارها باسم الصليب على ارض الاسلام ومعاقل المسلمين ، وموئل العروبة ، كانت سببا فى صد الدفع الاسلامي فى تتميم بناء الحضارة الاسلامية ، والقيم الانسانية ، والمثل العليا ، حتى قال بعـض المستشرقين : « لولا الحروب التي شنها الغربيون على المسلمين لتقدمت الحضـــارة الاسلامية مائتي عام ، ولكن العصبية الذميمة ، والحقد الدفين ، جعـــل الغربييـــن عموما ينظرون الى الاسلام نظرة حقد وضغينة ، مخافة ان يكتسح الاديان الاخـــرى جميعها ، أو ينير السبيل أمام البشرية لتسير قدما نحو الكمال » .

ب ــ وعملاء التبشير ــ وهم عملاء الاستعمار في كل مكان ــ اولئك الذين دربتهم دعوة التبشير على تشويه تاريخنا الاسلامي ، والتشكيك في حقائقه ، وابراز الجوانب الضعيفة فيه ، وانكار المقومات التاريخية والثقافية والروحية في ماضي الامة الاسلامية ، وعلى التنديد والاستخفاف بها ...

والتبشير ــ منذ كان ــ معدود من دعامة الاستعمار في العالم الاسلامي ، فهو دعوة الى توهين القوى الاسلامية والغض من اللغة العربية ، وتقطيع اواصر القربى ، وتمزيق وشائج الاتصال بين الشعوب العربية والاسلامية والتنديد والازدراء بحالها في المجالات الدولية العالمية اليوم .

ج ــ الاتفاقيات الخفية المتوالية بين غلاة الاستعمار واساطينه وعمدائه لتمزيق البلاد العربية والاقطار الاسلامية حتى تتركها في حالة من التدلي والانحطاط ، والتأخر والاسفاف بحيث لا تقوى على القيام منفردة بشؤونها الا بمؤازرة دولة كبيرة من الناحية الاقتصادية والثقافية والاجتماعية ، وبذلك يتم للذئب ان ياكل من الغنم القاصية .

د ــ وهذه عصابات الصهيونية ، شذاذ الآفاق ، وجرثومة الفساد في الكيان العربي والاسلامي التي تعتبر اداة للاستعمار ، وقوة المكر الصليبي ، تعمل هي ايضا على تمزيق وحدة المسلمين بشتى الوسائل ، ودنيء الذرائع ، كما تغذي الخلاف الناشيء ، بسببها ، بين الاقطار الاسلامية فيما بينها عن طريق المطامع والدسائس التي تحوكها مع حلفائها ضد الاسلام والمسلمين ...

تلك بعض الاعراض الخارجية التي اعترت العالم الاسلامي ، وعاقته عن التطور والانطلاق ، لتحقيق اشواقه ، وتنفيذ غاياته وأبعاده ...

ولا شك ان العالم الاسلامي اليوم ، وهو يلاقي من الشدائد ، وصنوف المكاره والمكائد ، قد ادرك موقفه امام اعدائه واصدقائه ، وانتبه في يقظة حذرة ، وتطلع متلهف لبناء وحدة اسلامية متكاملة تجمع شعوبه على كلمة سواء ، وتضم صفوفه على السراء واللاواء ، يدفعها ماض مشترك مجيد ، وحضارة عريقة ، وتاريخ ممتاز فذ ، ووجود مستقل ، ومستقبل زاهر .

ولا ريب ان الظروف مهياة اليوم ــ اكثر مما مضى ــ لرفع راية الاسلام ، واتحاد كلمة المسلمين الذين هم امة واحدة تتكافا دماؤهم ، ويسعى بذمتهم ادناهم ، وهم يد على من سواهم ...

وعلى المسؤولين ، ودعاة الاصلاح ورواد الطريق :

١ ــ ان يجعلوا هدفهم الاساسي ، وركيزة اعمالهم وحدة المسلمين ، وجمع كلمتهم على الحق ، حتى يكونوا على بصيرة من راي الاسلام وفلسفته في جميع قضاياه ، وبذلك يستحيل على اعدائه ان يستمروا في كيدهم وعدوانهم ويسهل عليهم ان يحتلوا مكانة مرموقة في العالم تتجلى في تماسك وتكتل ظاهره الاسلام ، وباطنه ايمان واحسان .

ب ـ ان يدرسوا ، في اخلاص ، بعض الخلافات الجزئية العارضة والهامشية التي سببها الاستعمار في العالم الاسلامي ، وغذاها من فقد الوازع الديني والخلقي من المسلمين ، وذلك عن طريق مؤتمرات تتمخض عن فكر منظم ، ووحدة جامعة يشع في جنباتها نور اليقين بالله ، وتستهدف اصلاح اوضاع المسلمين ، وتفتح عيونهم على هيئة مسلمة مومنة ترعاهم ، وتصون مصالحهم وتقوي عزائمهم .

ج ـ ان يساهموا في خلق نهضة علمية شاملة تساير مقتضيات العصر ، ومستلزمات التطور ، وتعتمد على العقل والقلب والوجدان ، حتى لا نبقى عالة على الشعوب الغالبة ذات النفوذ والاطماع ، الفاغرة أفواهها للابتلاع ... ! !

فقرآن الله بين ايدينا ، وهو يعتبر العقل مفتاح النور ، وبلسم الحياة ، ومصدر الخير ، وينبوع السعادة ، وطريق التوعية والتخطيط الانساني ، وكان سبيله في نقاش الملاحدة ، ومن في قلوبهم مرض ، هو العقل ، فهو مقطع الحق ، والحكم الفصل ، فقد قال تعالى :

« ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس ، لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم اعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ! ! اولئك كالانعام ، بل هم اضل ، اولئك هم الغافلون . »

د ـ ان يغرسوا في نفوس الناس ان الدين الاسلامي دين تقدمي وحضاري يشجع كل عمل بناء من شانه ان يجسم قوة المسلمين ، ويبرز مكامن الباس والبطولة فيهم ، في يسر وسماحة ، وعدم احراج ولا اكراه ، متوخيا من وراء ذلك اسعاد الانسانية وتحقيق هناءها ورفاهيتها .

هـ ـ ان يعملوا على تعميم لغة موحدة بين البلاد الاسلامية حتى يحصل التفاهم، ويحل الوئام بين ابناء البلاد الاسلامية في جميع انحاء المعمور ، وان هذه اللغة لهي لغة الضاد ، لغة القرآن ، التي تربطهم برباط وثيق ، وصلة محكمة ، ومشاعر جياشة تحمل معاني الاخوة والتضامن والسلام .

و ـ ان يستحثوا الناشئة الصاعدة على دراسة قادة المسلمين وعظمائهم في الصدر الاول ، وزعماء الاصلاح في كل عصر ، ودعاة الفكر والتجديد حتى تستخلص هذه الناشئة من تلك الدراسة الواعية العبرة والعظة ، وتتخذ من أولئك الابطال اسوة حسنة ، وقدوة صالحة لعلهم يرشدون ...

فالمسلمون اليوم في انحاء المعمور ـ ولله الحمد ـ مستعدون لكل تفاهم وتقارب، جادون لاصلاح ذات بينهم ، وضم شتاتهم ، بفضل القيادة الرشيدة المخلصة المومنة التي تعمل لصالح الدعوة المحمدية ، والاعتزاز بها والتي لا يزيغ عنها الا هالك .

وانه ما دامت الارض صالحة ، والبذرة منتقاة ، والظرف مناسبا ، فان رجاءنا في اصلاح حال المسلمين لا يتخلف ، واملنا في طلوع الفجر الصادق لم ينقطع .

فهل ممكن ان « الغزالة » تطلع ؟ ؟ ...

دعوة الحق

كلمة ملكية سامية بمناسبة الاعتداء الصهيوني على الاقطار العربية يوم 5 جوان

في يوم خامس يونيو الماضي شن الصهاينة هجوما غادرا على البلاد العربية ، اسفر عن نتائج رهيبة ، وضحايا عديدين خاضوا حربا ضروسا ، ووقفوا بصمود على جميع الواجهات لصد العدوان الرهيب

فقد اغارت على الوطن العربي ، حثالة الصهاينة شذاذ الآفاق ، واحتلت جيوشها الغادرة اجزاء من أرض فلسطين ، واستولت على بيت المقدس اولى القبلتين ، وثالث الحرمين ، وعاثت فسادا واستكبرت في الارض بغير حق وقالت : « من أشد منا قوة » ؟ !

« أولم « يعلموا » ان الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة ! . » « وسيذيقهم ـ سبحانه ـ عذاب الخزي في الحياة الدنيا »

والمملكة المغربية وقفت بقيادة عظيمها الشهم ، وملكها الهمام ، وقفة البطولة الرائعة ، والتضحية والفداء ، وارخصت يوم الروع انفسها لخوض غمار المعركة المقدسة ، فباتت تنشد اغاني الشرف ، واناشيد الحمية .

وهكذا هب المغرب ـ كما قال جلالة الملك ـ عندما وقع الاعتداء على الاقطار العربية الى الدفاع عن اراضي اشقائه ومقدساتهم ، ولم يتوان في مشاركتهم في الكفاح ، فقرر بمجرد ما بلغه نبا الاعتداء الصهيوني ارسال قواته وابنائه ليساهموا بجانب اخوانهم في الدفاع عن الحق ، وصد العدوان .

كما ان مجهودات صاحب الجلالة بقيت مستمرة بالاتصال بالدول العظمى وابلاغها ان اي حل لايبنى على العدل والانصاف ، وارجاع الحقوق الى اصحابها لايكون حلا سلميا كما يرجى ذلك ....

وفي غمرة من الحماسة السكرى ، وفي جو عبق بالبطولة والتضحية والفداء ، ودع صاحب الجلالة مساء يوم الاثنين 5 جوان في ساحة النصر ابطال المغرب الاشاوس جنود القوات المسلحة الملكية الذين ذهبوا ـ وقلوبهم يغمرها فيض من الافتخار والاعتزاز ـ الى المعركة المقدسة بقيادة الجنرال البوهالي .

وقد ارتجل صاحب الجلالة بهذه المناسبة هذه الكلمة التوجيهية العامرة :

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وءاله وصحبه

شعبي العزيز

غير خاف عليك ان الامة العربية والاسرة الاسلامية تجتاز ظروفا دقيقة وخطيرة من ظروف حياتها ، وغير خاف عليك كذلك ان دولة شقيقة دولة الجمهورية العربية المتحدة قد تعرضت هذا اليوم الى هجوم غاشم غادر من لدن اعداء العرب والمسلمين ..

وغير خاف كذلك انه بمجرد ما علمت الدول العربية بذلك الخبر المزعج قامت كرجل واحد في انتفاضة واحدة في حماس منقطع النظير بجانب اختها وشقيقتها .

والمغرب الذي لم ينتظر استقلاله بل وهو يرزح تحت نير الاستعمار أعلن سنة 1947 على لسان ملكه ومحرره محمد الخامس طيب الله ثراه ، انه يعتبر نفسه عضوا في اسرة الدول

العربيـــة ، وفـي اســـرة الجامعـــة العربيـــة ، المغرب الذي لم ينتظر استقلاله هو بدوره ، اعلن انـه بجانب اخوانه الدول العربية ، وانه مستعد ان يدفـع النفس والنفيس ، ويضحي بكـل غـال ورخيص فى سبيل عزة العرب وكرامة المسلمين .

فاننا منذ ثمانية ايام نتابع باستمرار وباهتمام ، الحالة في الشرق الاوسط ، وكنا نراقـب ونلاحـظ ، وكنا في الوقـت المناسـب اعلنـا رسميـا موقفنـا واعلنا اننا مستعدون لان نذهب ونحـارب ونقاتـل بجانب اخواننا العرب ، وها هو هذا اليوم قد وصل ، وها هي الساعة قد حانت ، وها هي افواج من قواتنـا الملكية المسلحة ستتوجه اليـوم الى بـلاد الشرق الاوسط لتقف بجانب شقيقاتها القـوات المسلحـة العربيـــة .

وبهذه المناسبة ، يجب ان نستخلص عبرة مـن كلام الله سبحانه وتعالى حيث يقـول : « وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم » فقد كان صف العرب قد تصدع ، وكان شملهم قد تفرق وتشتت ، وابى الله سبحانه وتعالى بحكمته البالغة الا ان يجمع الشمـل ويوحد الصفوف فجعل هذا العدوان الغاشم وسوف يجعله ان شاء الله مفتاح كل خير وسبب كل اتحـاد وسبب كل وحـــدة

واتوجه الآن الى قواتنا المسلحة الملكية ، لاقـول للجنود الذين اصطفاهم القدر ليذهبوا الى تلك البلاد المقدسة العزيزة علينا ، اقـول لهم انكم ايها الجنـود بكفاحكم هذا ، سوف تكونون مخلصين لشعاركـم ، شعار الله والوطن والملك ، **الله** ، لانكم ستحاربون في سبيل بلد مقـدس ، وهـو اولى القبلتيـن وثالث الحرمين ، **الوطن** ، لانكم سوف تحاربون لتحرير وطن عربي لان كل وطن عربي هو وطن كل مواطن عربـي . في سبيل **الملك** لانكم ، ولي اليقين ، سوف تجعلونني ارفع الراس مشرقـا فخـورا بسيرتكـم وباستشهادكم وشجاعتكـم .

اني اوصي الجنود وضبـاط الصـف ان يبقـوا محافظين على ما عرف فيهم من امتثال وتتبع للاوامر واستماتة وشجاعة وشهامة ، واقول للضباط عليكـم ان تاخذوا بيد الجنود وتتطلعوا على صغيرهم وكبيرهم وتعتبروهم اكثر من ذي قبـل كابنائكـم وكفلـذة كبدكـم

وانـنـي اقول لهذا الفـوج الذي اعطـاه الله هذا الشرف ، اقول لهم نيابة عن اسـرة القوات المسلحة الملكية ونيابة عن جميع مواطنيهم فى مشارق المغـرب ومغاربه ، اقول لهم هنيئا لكم بذهابكم هذا وهنيئا لكم بموقفكم هذا وهنيئا لكـم بموقفكم بجانب اخوانكـم العـــرب

وارجو الله سبحانه وتعالى ان تبقوا دائما ايهـا الجنـود ، ان تبقوا دائمـا على الصراط المستقيـم تتحلون بما عرف فيكم من استقامـة ومن شجاعـة ومن اجتهاد ، كما اقول الى شعبي الحكيم المتبصـر العاقـل ، ان المغرب كدولة قد اخذ موقفه واخـذ مسؤولياته كاملة كما يجب ان ياخذها فعلى شعبنـا اذن ان يبقـى متسما بما عرف فيه من نظـام ومن عدم اقلاق الامن العام حتى تبقى بلادنا معروفة كمـا كانت فى الماضي ، معروفة بالتعقل وبالرزانة وبالتبصر .

فكلنا بجانب اخواننا قلبا وقالبا ، واحسن اعانـة يمكننا ان نقدمها اليهم هي ان نبقى دولة يسودها النظام وتسودها الطمانينة ، دولة عملت ما يجب عليها مـن المواقف واتخذت ما يجب عليها من المسؤوليات

ومن جهة اخرى دولة وشعب يعرفون ما عليهم من الواجبات من باب النظام ومن باب استمرار الدولة فى مشاغلها ، فى محاربة مشاكلها ، فى مواجهة المشاكل اليومية ، فى الحقل ، فى المعمـل ، فى المكتب ، فى كـل موضع وجب علينا فيه ان نجاهد لاعلاء شان كلمتنا ، وكل كلمة تعلو فى المغرب هي فى الحقيقة كلمة تعلـو لصالح العرب والمسلمين . ارجو الله سبحانه وتعالى ان ينصرنا ويثبت اقدامنا ويمطر شآبيب رحمتـه على من استشهدوا من اخواننا العرب اليـوم فى معركـة تحرير ذلك الجزء العزيز على كل عربي ، فلسطيـن المغصوبـة ، « يا ايها الذين آمنـوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكـم » صدق الله العظيم .

كلمة ملكية توجيهية الى الوحدات العسكرية المغربية المتوجهة الى جبهة القتال.

وجه صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني كلمة توجيهية سامية الى الوحدات العسكرية المغربية المتوجهة الى جبهة القتال ، وقد تلا هذه الكلمة على الجنود نيابة عن صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني الكولونيل الحاج عبد الرحمن الدكالي المرشد العام للقوات المسلحة الملكية الكاتب العام للشؤون الاسلامية . وهذا هو النص الكامل للكلمة الملكية السامية :

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله

معشر الضباط وضباط الصف وجنود القوات المسلحة الملكية

فى هذا اليوم العصيب الذي تخوض فيه الامة العربية جمعاء معركة حاسمة من تاريخ حياتها من اجل صد العدوان واستئصال شافة الطغيان واسترجاع ارض فلسطين السليبة وحماية المقدسات واعادة اللاجئين العرب والمسلمين المشردين والمنكوبين الى اراضيهم واوطانهم نتوجه اليكم ايها الابطال الذين ملأت شهامتكم الآفاق والارجاء ، وعرفت شجاعتكم ميادين الكفاح والتضحية والفداء بهذه الكلمة وانتم مقبلون على خوض المعركة ضد الصهاينة المعتدين الى جانب اخوانكم الذين هبوا اباء وحفاظا واعتزازا بروابط الاخوة واواصر القربى فعليكم ان تخوضوا غمار هذه المعركة شدا بازرهم واظهارا للقضية المشتركة بما عرف عنكم من بأس واقدام وحماس واسترخاصا للنفس والنفيس

وان قائدكم وملككم الساهر على حماية الدين لمتيقن من انكم ستبرهنون فى هذه الظروف الدقيقة كما برهنتم غير ما مرة عن رسوخ عزائمكم وثبات اقدامكم وحميد شجاياكم وجميل مزاياكم

ولا يغامرني شك فى ان قلوب اخوانكم المغاربة يغمرها فيض من الاعتزاز والافتخار بمساهمتنا جميعا ملكا وحكومة وشعبا فى هذه الانتفاضة المباركة التي لمت الشتات وكتلت الجهود ووحدت العزائم ، وستعودون بحول الله الى وطنكم وانتم معتزون بهذه المساهمة التي سيسجلها التاريخ فى المع صفحاته فلتسيروا على بركة الله فالنصر حليفكم والتوفيق رائدكم والله معكم .

خطاب صاحب الجلالة الملك المعظم
للتضامن مع البلاد العربية

وجه صاحب الجلالة الملك المعظم خطابا هاما الى شعبه الوفي زوال يوم الاحد 67/6/11 حيث اهاب جلالته بشعبه الكريم ان يهب لمساعدة اخوانه واشقائه الذين اصابهم العدوان الصهيوني الغادر في ديارهم وأموالهم وحياتهم .

وبمجرد ما استمع المواطنون الى خطاب ملكهم المحبوب ، بدات حركة واسعة في جميع المدن بجمع التبرعات لاخواننا الاشقاء .

وتنفيذا لتعليمات جلالة الملك قامت وزارة الداخلية والعمالات كلها بالبدء في الترتيبات لجمع التبرعات

وهذا هو النص الكامل لخطاب جلالة الحسن الثاني نصره الله :

الحمد لله وحده

والصلاة والسلام على رسول الله وءاله وصحبه

شعبي العزيز

اوجه اليك هذا الخطاب ولا اقصد به تحليلا للوضع السياسي الناشيء عن العدوان الاثيم الذي تعرضت له البلاد العربية الشقيقة منذ بداية هذا الاسبوع ، ولا اريد منه شرحا لعواقب المضاعفات السياسية الناجمة عن الحرب الضروس التي اضرم نارها الصهاينة المجرمون ، والتي واجهها العرب بكل ما اوتوه من ايمان راسخ ، وعزم مكين ، وشهامة منقطعة النظير . ولا اريد منه عرضا لما تتطلبه الظروف الراهنة العصيبة من يقظة وتبصر واستخلاص للعبر ، فستسنح الفرصة ، ان شاء الله ، لنقوم بنفسنا بهذا العرض .. بهذا الشرح والتحليل.

وعلى كل حال من الاحوال ، فلن يعتور المغرب يوما من الايام ، اي خذلان فيما يرجع للارض المقدسة، ولن يعدل بوجه من الوجوه او يتنازل عن مكتسبات الاسلام او حقوقه التاريخية الثابتة منذ 13 قرنا في تلك البقاع التي ورثها العرب عن اجدادهم ، وعن كفاح صلاح الدين الايوبي ، وانما شعبي العزيز الغاية من هذا الخطاب الذي نوجهه اليك اليوم والاسى يغمر قلوبنا والحسرة تساور النفوس ، بأن اوصيك شعبي بأن الواجب يفرض علينا ان تشعر شعوبنا العربية التي استهدفها العدوان ، ومنيت بأفدح الخسائر ، وعانت من ويلات الحرب الشدائد والنكبات، بأن تضامننا بالامس هو نفس التضامن الذي نؤكد اواصره اليوم ونحن نجتاز مرحلة من مراحل حياتنا .

ان المغرب هب عندما وقع الاعتداء على الاقطار العربية الى الدفاع عن اراضي اشقائه ومقدساتهم، ولم يتوان في مشاركتهم في الكفاح فقرر بمجرد ما بلغه نبا الاعتداء الصهيوني ارسال قواته وابنائه ليساهموا بجانب اخوانهم في الدفاع عن الحق وصد العدوان .

اما الآن ، فالشعوب العربية تضمد جراحها ، وهي في أمس الحاجة الى اسعافها ومدها بالاموال والادوية والمواد الغذائية .

فقيـــر خاف عليك شعبي العزيـــز ، ان ذلك العدوان ، قد خلف ضحايا كثيرين !! منهم من كتبت لهم الشهادة وتركوا من خلفهم ذرية ضعافا ، ومنهم من اصيبوا في مواردعيشهم ومصادر قوتهم وقوت عيالهم، ومنهم الارامل ، ومنهم الايتام ، ومنهم المشـــردون بين المضارب والخيام .

وان هذه الحالة التي تفتت الاكباد ، وتبعث الالم في النفوس ، لتستدعي ان نعمل جميعا على التخفيف من حدتها وشدتها ، ولذلك فانني اهيب بك شعبـــي العزيز ان تبرهن في هذا الظرف العسير عما تحتمـــه روابط الاخوة والتضامن من بذل الاسعـــاف ومـــن المساهمة في الاكتتاب الوطني الذي نفتتحه بنفسنـــا لفائدة الذين مستهم البأساء والضراء .

وقد اصدرنا لهذه الغاية امرنا لوزيرنا في الشؤون الداخلية بأن يفتتح في جميع جهات مملكتنـــا مكاتب لجمع تبرعات رعايانا الاوفياء وتسليم توصلات لهـــم بالمبالغ التي يكتتبون بها ، وسيســاهم وزراؤنا وموظفو الدولة باجرة يوم الى جانب هذا الاكتتاب .

وقد كلفنا وزيرنا في الشؤون الادارية بأن يتخذ باتصال مع وزيرنا في المالية التدابير اللازمة في هـــذا المضمــار

هذا وقد اصدرنا امرنا الى وزيرنا في الفلاحـــة والاصلاح الزراعي المكلف بالشؤون الاقتصاديـــة بان يفتح حسابا خاصا تتركز فيه المبالغ المجموعـــة قصد صرفها فيما هو ضروري في التغذية والعلاج والايـــواء والغـــذاء والسكـــن .

وبالاضافة الى هذا ، فان الدولة بادرت بالقيـــام بدورها في هذا المجال ، فاخذت في الحين التدابيـــر الكفيلة بتوجيه الاسعافات المستعجلة الاولى ..

ودون ان نطيل اي شرح او ندخل في اي تحليل فلنعلم نحن معشر المسلمين ان الله سبحانه وتعالـــى اخذنا بما اجرمنا وبما اذنبنا ، فامرنا سبحانه وتعالى الا نتفرق فنفشل فتذهب ريحنا ، فتفرقنا وفشلنـــا فذهبت ريحنا ، امرنا سبحانه وتعالى الا يغتب بعضنا بعضا فتسابينا بالكـــلام ، امرنا سبحانـــه وتعالـــى الا نتنكر لدينه وان نجعل تعاليم دينه دستور حياتنـــا فتنكرنـــا لـــه سبحانه وتعالى حتـــى صار البعـــض منا يعتقد انـــه يمكن ان يسوس البلاد وهو مفرق بين الدين والدنيا ، فانكرنا الله سبحانه وتعالى

واننا لنرجو الله الا يؤاخذ جميع المسلمين ، فقد قال وقوله الحـــق « ولا تزر وازرة وزر اخـــرى » ، والامل عليه ان ينصرنا وان يعيد الينا مسلمين وعربا عزنا وشرفنا وكرامتنا ، واننا لعلى يقين من ان شعبنا الذي اعتدنا ان نراه سباقا الى المكرمات مجبولا على البذل والسخاء ، سيستجيب بالحماس المعهود فيه في مثل هذه المناسبات لندائنا هذا ويلبي دعاء ربه في كتابه الكريم « ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكـــم ويغفر لكم والله شكور حليـــم » .

والسلام عليكـــم ورحمـــة الله .

لن يتنازل المغرب في يوم من الايام عن مكتسبات الاسلام وحقوقه التاريخية الثابتة في البقاع التي ورثها العرب عن اجدادهم

من خطاب صاحـب الجلالـة
الملك المعظم في يـوم التضامن
العربـــي

خطاب صاحب الجلالة
بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف

تراس صاحب الجلالة امير المومنين ، بمناسبة موسم المولد النبوي الشريف حفلا دينيا ، احياء لذكرى مولد الرسول سيدنا محمد « ص » ، وقد غصت رحاب مسجد اهل فاس بالمشور السعيد بالاف المومنين الذين حضروا لهذا الحفل الديني الكبير .

كما حضر احياء هذه الليلة المباركة الى جانب صاحب الجلالة صاحب السمو الملكي الامير الجليل مولاي عبد الله ، ورؤساء البعثات الديبلوماسية المسلمون ، والمدير العام للديوان الملكي ، ووزير القصور الملكية ، واعضاء الهيئة الوزارية وأصحاب السمو الامراء ، وأصهار جلالة الملك المعظم ، ورئيس المجلس الاعلى ، وهيئة اركان الحرب العامة للقوات الملكية المسلحة

وعند وصول صاحب الجلالة الملك المعظم الى مسجد اهل فاس ، وجد في استقبال جلالته السيد الحاج احمد بركاش وزير عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية

وبعد انتهاء المنشدين من سرد الامداح النبوية القى جلالة مولانا الملك خطابا عظيما تحدث فيه حفظه الله عن الازمة التي عاشها العالم العربي والاسرة الاسلامية من جراء العدوان المتوحش الصهيوني على البلاد العربية كان كله صراحة وايمانا وثقة بالله

وهذا هو النص الكامل لخطاب امير المومنين صاحب الجلالة :

الحمد لله

والصلاة والسلام على رسول الله

شعبي العزيز

ان الكارثة التي حلت بالعالم العربي اجمع ، والتي امتد مفعولها الى العالم الاسلامي كافة من جراء ما شنه الصهاينة من عدوان ماكر ، واقترفوه من بغي سافر ، وارتكبوه من طغيان غادر ، ان هذه الكارثة ، التي اتت على الاخضر واليابس ، وانتظم مكروهها القوي والضعيف ، والقادر والعاجز ، وعم مصابها من يستطيع احتمالها بصبر ، ومواجهتها بقوة شكيمة ، ومتانة عزيمة ، ومن لا يستطيع لها دفعا ولا صدا ، قد اثخنت القلوب بجراح عميقة ، وملات النفوس بالم شديد ولوعة عارمة !!

وقد كنا نظن أن عالمنا المتحضر تواضع على عدد من المبادىء المثلى والقيم السامية ، ناضلت شعوب غير قليلة لكسبها واقرارها وفرضها كمبادىء وقيم لا يمكن بوجه من الوجوه تناسيها واطراحها ، والعدول عنها ، ففوجئنا بأسوأ المفاجآت ، اذ اهدرت ايما اهدار ، خلال المعارك الضارية وبعدها ، تلك المبادىء التي كنا نعتقد انها اصبحت في حصن حصين، وديست تلك القيم التي كنا نومن بانها صارت الدعائم المكينة للتطور الانساني والحضارة البشرية ، فضاعفت هذه الخيبة المريرة من الم المصاب ، واورث لهيب اللوعة والاسى ، بيد ان هذا الخطب وان جل ، وهذه الكارثة وان عظمت ، وهذا الشر وان استطار ، فان من المفروض علينا بحكم ماضينا المشرق ، وحاضرنا المتطلع الى غد اشد اشراقا ، ان نواجه الكروب التي

تتنابنا الفينة بعد الاخرى ، والآلام التي تساورنا حينا بعد حين ، بالجلد الذي لا يضعف ولا يخور ، والعزيمة التي لاتفل حدها صروف الدهر ، والارادة التي لا تهون عند حلول النكبة ولا تستكين — ولن يكتب للامم العربية ان تنهض من كبوتها ، الا بامعان النظر في اسباب هذه العثرة ، وان تسلك من السبل ما هو كفيل بجمع الكلمة ، واتحاد الصف ، واحكام الخطط والتدابير ، وان تستبدل الاساليب التي كانت اثيرة لديها ، محببة اليها ، باساليب طريفة جديدة خليقة بان تفضي بالجهود المبذولة الى الغايات المطلوبة والاهداف المخطوبة .. وليس من العسير على امم صلحت نياتها وصحت عزائمها ووطنت نفوسها على الشدائد ونبذت الانانية واتصفت بنكران الذات والايثار والتضامن والوئام ، واتخذت الاستقامة والصدق والجد في اقوالها وافعالها شعارا لها ان تبلغ ما تتوق اليه من مقاصد واهداف . فبرسمنا للخطط المحكمة وانصرافنا في غير هوادة الى العمل البناء بمزاج جديد وعقلية تناولها التحويل والتبديل ، وبقلوب استوعبت الحوادث واستخلصت منها العبر يمكن ان نواجه المستقبل الذي يتطلب الجهد الجهيد ، والسعي الحميد ، بافئدة ملؤها الامل والاستبشار .

شعبي العزيز

ان المرحلة التي نجتازها اليوم مرحلة شاقة عسيرة ، الا انه ليس من دابنا ولا من عادتنا وقد قطعت واياك مراحل اخرى عسيرة ، واجتزنا جميعا عقبات وسلكنا اوعر المسالك ، وسبلا احتفت بها المكاره ، وركبنا الصعب — ليس من عادتنا ان تنال من عزائمنا الشدائد والملمات والكوارث والنكبات .

فكلما عجمت عودنا الظروف والاحداث ، وجدته صلبا لا يلين ، وقويا لا يهون ، فالطريق الممتد امامنا محفوف اليوم بالمكاره كما كان محفوفا بالامس لايخلو من عقبات تفرض علينا ان تكون يقظين واعين متبصرين ، فعلى كل فرد منا ان يؤدي ما عليه من واجب ويضطلع بما انيط به من مهام لنبلغ بجهودنا المشتركة المتضافرة المتكاثفة ، ما نطمح اليه من احلال بلادنا المقام اللائق بها بين الامم ، الآخذة باسباب التقدم والرقي . ولن ندرك الغاية من جهودنا الا اذا حطمنا في انفسنا كل جدار مبكى اقامته الحوادث الاليمة فيها ، وجعلنا نصب اعيننا الاهداف التي رسمناها لانفسنا ووطدنا العزم على بلوغها غير واقفين ولا معرجين ولا ملتفتين الى ما من شانه ان يصدنا عن القصد وينحرف بنا الى السبل الملتوية التي تضل فيها الخطى ويضيع العزم .

واني — شعبي العزيز — لاجدد العهد للامة العربية والاسرة الاسلامية في هذه الليلة المباركة ان اظل جادا في الدفاع عن مثلها العليا وحرماتها المقدسة وحقوقها المسلوبة والعمل على اعلاء كلمتها ورفع شانها مقتفيا اثار الرسول الاكرم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي ضرب لجميع المخلوقات اروع الامثلة في جهاد النفس ومغالبة الهوى والايثار والتضحية ونكران الذات .

واني لموقن بانك شعبي العزيز ستتخذ من هذه الذكرى ذكرى مولد المصطفى صلوات الله عليه وسلامه مناسبة للابتهال الى الله والتضرع اليه ان يجمع كلمة المسلمين على الحق ويؤلف بين قلوبهم على التقوى وينصرهم نصرا مؤزرا ، كما اني موقن بانك لن تنسى في هذا العيد الاغر اخوانا لك هم اليوم احوج ما يكونون الى مواساتك ، واسعافك وبذلك وسخائك .

والله نسال ، ان يثبت خطانا ، ويؤيد مسعانا ، ويعيننا جميعا على ما فيه صلاحنا ، وصلاح اخواننا ، في مشارق الارض ومغاربها ، ويحقق رجاءنا ، فانه لا يرد من دعاه ، ولا يخيب من رجاه ، وهو نعم المولى ، ونعم النصير ، وبالاجابة جدير . .

نداء الى العالم الاسلامي من :

رابطة علماء المغرب

ان رابطة علماء المغرب ازاء تدهور الوضع الحربي العربي في الشرق الاوسط نتيجة للعدوان الصهيوني الغادر المسند بقوات الاستعمار الامبريالية العالمية .

وازاء تحقق النيات الاستعمارية والتوسعية لدولة الصهاينة فيما استولت عليه من مواقع جديدة وخاصة مدينة القدس الشريف التي تحتوي على المسجد الاقصى ، اولى القبلتين ، وثالث الحرمين ، ومسرى النبي صلى الله عليه وسلم .

ونظرا لان هذه المدينة هي في الحرمة والقداسة عند المسلمين كافة مثل مكة المكرمة والمدينة المنورة وان احتلالها من طرف الصهاينة الانذال او من اي جهة غير اسلامية يعتبر عدوانا سافرا على الاسلام والمسلمين وتحديا لشعورهم الديني وامتدادا للحروب الصليبية التي شنها الغرب على الشرق بدافع من التعصب والحقد والانانية المقيتة .

ونظرا لان شريعة الاسلام الطاهرة وان كانت في روحها شريعة سلمية تدعو الى المهادنة وتحث على تجنب القتال ما امكن ، فانها عند مس المقدسات الدينية ومهاجمة بلاد الاسلام لا تقبل اية مهاودة في وجوب الجهاد وفرض القتال فرضا عينيا على كل مسلم مسلم للدفاع عن الحرمات وانقاذ ارض الاسلام من سيطرة الاعداء ايا كانوا وعلى اية قوة وجدوا (ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين الاية) فانها تهيب بجميع المسلمين في مشارق الارض ومغاربها ، وفي افريقيا وآسيا واوربا في باكستان وتركيا وايران والافغان والهند والصين والاتحاد السوفياتي واندونيسيا ومليزيا والفلبين في غينيا وغانا والنيجر ونيجريا ومالي والسنيغال والحبشة والصومال وارتريا ومدغشقر ، في البانيا وبولونيا وفلندا ويوغسلافيا ، وباقي المسلمين في اي بلد اكثرية كانوا او اقلية ان يقفوا في وجه المستعمرين الغاشمين والمعتدين الاثمين مضحين بالنفس والنفيس في سبيل انقاذ القدس الشريف والمسجد الاقصى الذي بارك الله حوله وتحرير فلسطين وجميع الاراضي العربية من ايدي الصهاينة المجرمين ، من امكنه العمل بنفسه والجهاد بشخصه وماله فذاك ومن لم يمكنه بهما معا فبنفسه او بماله مقتدين في ذلك بالصحابة الكرام والسلف الصالح الذين لم يالوا جهدا في نصرة الاسلام واعلاء كلمة الحق صادرين في جهادهم عن قوله تعالى : (ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الاية) وعلى الدول والحكومات الاسلامية ان تتخذ جميع الاجراءات بمقاطعة المعتدين والضغط على انصارهم وحلفائهم بجميع وجوه الوسائل حتى يتراجعوا عن غلوائهم واستهتارهم في نصرة الصهيونيين ومحاربة المسلمين وعليهم ان يزودوا العرب المكافحين بالمال والسلاح وجميع عدد الحرب التي هم بحاجة اليها في الظرف الراهن للدفاع عن كرامتهم وكرامة الاسلام والشرق العربي ، وعليهم ان يسهلوا سبيل المتطوعين في بلادهم ويجهزوهم بالاسلحة والاعتدة التامة ويقيموا مراكز لتدريبهم ومطارات خاصة لتنقل القوات المجاهدة .

والرابطة فى هذا المقام تشيد بروح المقاومة العالية التي ابدتها الجيوش العربية المجاهدة وتنوه بالبطولة التي ابداها ملوك ورؤساء الدول المحاربة وتعلن ان الجيش العربي لم ينهزم ولكنه استمات واستشهد تحت قوات الحديد والنار الجبارة التي امدت بها الدول الاستعمارية دواما واستمرارا دولة الصهاينة المعتدين.

وتخص الرابطة بالذكر والتنويه جهود جلالة الملك المعظم الحسن الثاني ملك المغرب ومبادراته المادية والمعنوية لمناصرة اخوانه ملوك العرب ورؤسائهم ومواقفه التضامنية الرائعة، وتدعو للمزيد من ذلك واضعة نفسها رهن اشارة جلالته فى كل ما يستدعيه دعم الموقف العربي والاسلامي، والوقوف بجنب جلالته فى جميع المبادرات والاعمال التي يتخذها فى هذا السبيل.

والله المسؤول ان يتغمد الشهداء برحمته ويبوئهم اعالي الفردوس وان ينصر الاسلام والمسلمين، ويأخذ بيد العرب فى هذه العثرة ويؤلف بين قادتهم وزعمائهم ويلهمهم الرشد فيما يخططون، والتوفيق فيما يعملون ويعين جلالة الملك على الاعباء الثقيلة التي يتحملها ويسدد خطاهم فى السعي لمصلحة العرب والاسلام، (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) والسلام.

حرر بالرباط فى 7 ربيع الاول 1387

الموافق 16 يونيه 1967

الامين العام للرابطة

المغرب الاقصى: عبد الله كنون

لكنها لم توقد ....

الشرق مضطرم الجوانح، ثائر
والغرب يهدر كالخضم المزبد
انى ارى نارا اعد هشيمها
وتقابها، لكنها لم توقد

« محمود غنيم »

دراسات اسلامية



سنة 16 هجرية ، دخلت القوات العسكرية الاسلامية مدينة بيروت وكان على راس هذه القوات سيدنا معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه من قبل اخيه يزيد بن ابي سفيان الذي كان معينا من قبل امير الجيوش العربية المعقودة اللواء لسيدنا ابي عبيدة بن الجراح فاتح الشام مع خالد بن الوليد رضي الله عنهما .

ولم تكن بيروت فى ذلك الحين اكثر من « بليدة على ساحل بحر الروم » كما قال ياقوت فى معجم البلدان . تتناثر بيوتها المتواضعة بين بقايا الانقاض التي تخلفت عن الزلزال المروع الذي دمرها عن آخرها سنة 556 للميلاد .

وعندما دخل المسلمون الفاتحون الى المدينة ، فان سكانها القلائل كانوا مزيجا من ابناء البلاد المحليين وجنود الروم الاغراب الذين يشغلونها وعائلاتهم لاغراض عسكرية وادارية . وجميع هؤلاء واولئك كانوا من النصارى الملكيين الذين يرجعون بشؤونهم الدينية الى السلطات الروحية البيزنطية . ثم (صار المسلمون يتكاثرون) فيها والروم تقل منها وقتا بعد وقت حتى صار اكثر اهلها (مسلمين) كما يقول صالح بن يحيى فى كتابه تاريخ بيروت (ص 15) وما لبثت هذه المدينة طويلا حتى غمرتها الموجة الاسلامية وتقلص الظل النصراني بسبب فراغها من قوات الاحتلال الرومية الذين انسحبوا منها وفي اثرهم غالبية الذين هم على ملتهم من السكان البيروتيين الاصليين . وما ان استقر الامر للامويين فى دست الخلافة بدمشق ، حتى اصبحت بيروت مدينة اسلامية صرفة بشاغليها من العرب وغيرهم من الفرس الذين جلبهم معاوية من بلادهم واسكنهم بعض المدن السورية ، ليتخذ منهم قوة تذود عن البلاد محاولات العودة التي كان يقوم بها الروم بين الحين والاخر ، طمعا فى استرداد الملك الذي فقدوه فى هذه المنطقة .

وعلى الرغم من ان بعض هذه المحاولات قد ادركت غايتها فى بعض الاحيان لمدة بسيطة ، فان المدينة لم تفقد طابعها الاسلامي الجديد ، وبقيت محتفظة بهذا الطابع بلا انقطاع حتى اوائل القرن السادس للهجرة ، وهو الزمن الذي خضعت فيه للسيطرة الصليبية (503 هـ 1110 م) .

كان الاحتلال الصليبي يستهدف ازالة التراث الاسلامي وازالة معالمه من جميع المناطق التي تغشى فيها ، وعلى هذا فلقد اصاب بيروت ما اصاب غيرها من القطاعات الصليبية وانحسر عنها سكانها المسلمون ، غير افراد قلائل قصرت بهم ظروف حياتهم المعاشية وامكاناتهم المادية دون النزوح من البلد ، فلم يجدوا بدا من التضامن للبقاء تحت ربقة عدوهم الذي حرمهم من الاحتفاظ بمساجدهم . فلقد ازال الصليبيون حتى مقامات اوليائهم ونساكهم ولم يعفوا الا عن مقام الامام الاوزاعي بشفاعة من ابناء دينهم نصارى جبل لبنان الذين ذكروا له شفاعته بهم عندما نقضوا

عهد الامان ايام العباسيين . وحينما استعاد المسلمون بلادهم على يد صلاح الدين الايوبي لم يعثروا في بيروت على العدد اللازم من ابناء المدينة المسلمين بما يكمل العدد الشرعي لصلاة الجمعة فضلا عن انهم لم يجدوا المسجد الجامع لاداء هذه الصلاة مما اضطر السلطان صلاح الدين الى مصادرة كنيسة مار يوحنا التي حولها الصليبيون خلال دفاعهم عن المدينة الى قلع عسكرية وجمع الناس للصلاة فيها واتخذها من حينه مسجدا جامعا للصلاة ، وفي عهد الصليبيين كانت جمهرة السكان في بيروت من النصارى الاوروبيين ومن والاهم من نصارى جبل لبنان الذين انحدروا من قراهم ودساكرهم الى المدينة طلبا للعمل في المؤسسات الصليبية من مدنية وعسكرية وانتجاعا للرزق على موائد المحتلين ، ومع الزمن المتطاول ، تكونت من هؤلاء النصارى المحليين والوافدين ، مجموعة سكنية اكتسحت المدينة بطابعها الديني المميز . وبعد حوالي تسعين سنة اي عام 583 هـ 1187 م دار الدهر دورته واستأنف الاسلام وجوده في بيروت ، اذ عاد اليها المسلمون متقاطرين من الديار الاسلامية المجاورة بالاضافة الى الجيوش والحشود التي جاءتها فاتحة بقيادة صلاح الدين الايوبي .

ولقد ادى وجود هذا السلطان المسلم الى تغيير الوضع الديني في المدينة حتى بين النصارى انفسهم الذين وجدوا في مروءته وانسانيته ما حملهم على اعتناق دينه والانضواء الى جماعته تحت رايته ، ولقد بادر صلاح الدين الى انتهاج خطة تهدف الى المحافظة على مكاسبه العسكرية ، وذلك بانزال عدد كبير من ابناء جنسه الاتراك في مناطق حكمه ومنها بيروت ، الامر الذي ادى الى مضاعفة عدد المسلمين في هذه المدينة ، وما يزال عدد من هؤلاء موجودين في انحاء متفرقة من بلادنا حتى اليوم ، لا سيما في قضاء الكورة من شمال لبنان ويعرفون بالاكراد الايوبية .

على ان هذا الوجود الاسلامي في بيروت لم يقيض له الاستمرار طويلا ، اذ انه تلاشى مرة ثانية بعد ان تركز حوالي عشر سنوات وذلك بسبب استرجاع الصليبيين للمدينة على اثر وفاة صلاح الدين ، هذه الوفاة التي كانت كارثة بما اعقبها من اضطراب السلطة الاسلامية في البلاد لتنافس خلفاء هذا السلطان المجاهد على الحكم واجتماع كلمة الصليبيين على انتهاز الفرصة والوثوب على القواعد الاسلامية واسترجاعها واحدة بعد اخرى من يد حكامها المسلمين المتفرقين . وفي هذه المرة نزل بمسلمي بيروت ما سبق ان نزل بهم من قبل فلووا اعناق مطاياهم تاركين مدينتهم الى غيرها من المدن التي توسلوا العيش فيها محافظين على مصالحهم ودينهم وطمأنينتهم .

بيد ان الخسائر العسكرية التي مني بها الصليبيون على يد صلاح الدين وقواد المسلمين الذين جاءوا من بعده تركت فيهم وهنا وضعفا بحيث لم يتمكنوا من الاستقرار والتمتع بمزايا الانتصارات العسكرية التي اصابوها ، فبقيت قبضتهم على البلاد التي استعادوها بالقوة والقهر ، مشوبة بالاضطراب والقلق . وقد دامت هذه الفترة الصليبية الثانية مع الوجود النصراني ببيروت من سنة 593 هـ 1197 م الى سنة 690 هـ 1291 م ففي هذه السنة سلمت بيروت صلحا الى سنجر الشجاعي الذي افتتحها باسم السلطان الاشرف خليل ابن الملك المنصور قلاوون الالفي .

وبعودة بيروت الى حوزة الجيوش الاسلامية تحت راية المماليك الذهبية اعاد التاريخ نفسه اذ تنفس المسلمون البيروتيون الصعداء بينما تراجع الوجود النصراني عنها مع هزيمة الصليبيين الذين (جهزهم سنجر الشجاعي) الى دمشق ومنها انفذهم الى مصر باجمعهم ... ولما وصلوا الى مصر اطلقهم السلطان وقال لهم : (اماني باق عليكم) وخيرهم بين العودة الى بيروت او التوجه الى قبرص ، فتوجهوا الى قبرص باجمعهم (تاريخ بيروت لصالح بن يحيى ص 28) وكان في جملة من تركوا بيروت يومها العديد من النصارى المحليين الذين آثروا مشاركة الصليبيين مصيرهم في قبرص تحت حراسة العمارة الاسلامية التي اقلتهم قطعها البحرية الى هذه الجزيرة حيث للصليبيين مملكة مستقلة بامارة اللوزينيان قوامها بقايا الاوروبيين الذين خسروا سلطانهم في بلاد الشام.

وما يزال في جزيرة قبرص حتى اليوم طائفة منحدرة من الموازنة الذين افرد لهم الحكم الحالي فيها مقعدا نيابيا يشغله واحد منهم في هذه الايام .

وفي ايام المماليك غدت بيروت مدينة اسلامية من بابها الى محرابها كما يقول المثل السائر ، واصبح اهاليها جميعا تقريبا من المسلمين ، بينما انصرف عنها النصارى الذين لم يرافقوا الصليبيين الى قبرص . وآثروا الاقامة في الجبال المطلة عليها وتكتل هؤلاء في جرود كسروان التي تقع الى شمالي المدينة . على ان

السلطات المملوكية اضطرت فيما بعد الى مطاردتهم فى هذه الجرود ، وبناء على فتوى من شيخ الاسلام ابن تيمية الحراني قام نائب الشام تنكز والقائد جمال اقوش الافرم باجلائهم كذلك عن هذه المناطق بسبب كثرة تعدياتهم على الاملاك العامة وقطعهم السابلة وفتكهم بمن ينفردون به فى بلادهم من عساكر السلطان وعامة المسلمين .

وقد عرفت بيروت فى ايام المماليك غزارة ملحوظة من السكان المسلمين الذين تكاثروا بمن شاركهم فى سكناها من العناصر الاسلامية غير العربية ، امثال التركمان ، والاكراد والشركس ذلك بان الولاة الذين كان ينيبهم السلطان المملوكي عنه فى حكم بلاد الشام ، لاحظوا ان مدينة بيروت ما زالت تستهوي مطامع الصليبيين الذين ذاقوا حلاوة احتلالها قرابة القرنين من الزمان ووجد الولاة المذكورون ان سادة المدينة السابقين من الافرنج لا يفتاون يتطلعون الى معاودة النزول فيها من جديد بالتعاون مع ابناء دينهم من النصارى المحليين لا سيما سكان جبل لبنان المطل عليها ، فعملوا على حشد اكبر عدد من المسلمين فى ارجائها وفي الارياف المحيطة بها واختاروا لهذا الفرض عشائر شبه بدوية امتازت بقوة الشكيمة والتقاليد الحربية المتوارثة ، وهكذا عرفت بيروت ، ذلك الوقت ، كثرة اسلامية ساحقة من السكان الاصليين وممن توافد عليهم من هذه العشائر حتى اصبح من المستحيل على الصليبيين الافادة من مغامرات قراصنتهم فى البحر او نشاط عملائهم في البر . وقد نتج عن الاعمال الاستفزازية التي قام بها هؤلاء واولئك ان عمدت السلطات الحاكمة الى تضييق الخناق على من تبقى من النصارى فى بيروت نفسها حتى ضاقوا ذرعا بما آل اليه امرهم فى المدينة واختاروا اماكن اخرى بعيدة عنها تاركين المجال امام المسلمين ليبقوا وحدهم سكانا لها .

والجدير بالذكر انه ما تزال فى ضواحي بيروت الى جهة الشمال ، امكنة تعرف باسم « الازواق » اي الاسواق مثل وزق مكايل ، وزوق مصبح . وقد كانت فى الاصل معسكرات ينزل فيها افراد تلك العشائر المسلحة وعائلاتهم . وقد تحولت هذه الازواق اليوم الى قرى يسكنها النصارى على المذهب الماروني . وقد اختار الامير فؤاد شهاب رئيس الجمهورية اللبنانية السابق احدها مقرا للرياسة بسبب قربها من جنوبية بلدته الاصلية .

وفي سنة 923 هـ 1545 م عندما حل الاتراك العثمانيون محل سلاطين المماليك فى الشام ومصر والبلاد العربية الاخرى كانت بيروت مدينة اسلامية بمن فيها من السكان والاهالي . ولم ير هؤلاء السادة الجدد بأسا من الاستمرار بالاعتماد على العشائر التي انزلها الحكم السابق فى المدينة وغيرها من المناطق الاستراتيجية فى الساحل . فبقيت بيروت محافظة على مظهرها الاسلامي بصفة عامة ، الا ان النصارى كانوا يتسربون اليها باعداد قليلة فى ازمان متفاوتة ، دون ان يجدوا حرجا من الدولة العثمانية التي كانت تغض الطرف عنهم رغبة فى استصناعهم ضد المسلمين الشيعة الذين كانت الدولة تنظر اليهم شزرا بسبب اشتراكهم مذهبيا مع خصومها الايرانيين لما كان بينها وبين هؤلاء الاخيرين من حروب لم يهدا اوارها من حين ابتدات بين السلطان سليم الاول والشاه اسماعيل الصفوي على ما هو معروف فى التاريخ . وفي هذه الاثناء اتيح للنصارى ان يشيدوا بعض الكنائس الصغيرة لممارسة طقوسهم الدينية لا سيما خارج اسوار المدينة القديمة .

بيد ان قبضة السلطة العثمانية الاسلامية ، كانت تضطر للتراخي فى بعض الظروف بسبب متاعبها العسكرية مع الدول الاوروبية ، الامر الذي جعل النصارى فى جبل لبنان يتوقون الى توسيع نطاق نفوذهم فى المدينة . فكانوا ينتهزون اي مناسبة عابرة تكون فيها الدولة مضطرة لمسايرة الاوروبيين او مهادنتهم ، ويعملون على توسيع مجالات سكناهم فى بيروت وانشاء مؤسساتهم الدينية حتى استفحل امرهم فيها اخيرا وكادوا يصبحون الكثرة الغالبة من سكانها ، حتى اذا بدا النصف الثاني من القرن الثامن عشر للميلاد وجد البيروتيون انفسهم وقد اصبحوا تحت حكم الامير يوسف الشهابي المتنصر الذي اتخذ من بني ملته وجلدته بطانة له وانصارا لحكمه ، وشرع امامهم ابواب المدينة ليأخذوا بناصية الامر فيها ويتحكموا بمقدراتها ويهيمنوا على مصيرها .

وفي هذه الاثناء حدث تحول لم يكن فى حسبان احد ، اذ عرفت سورية حاكما بشناقيا عنيدا ظهر فى ميدان السياسة المحلية تحت شعار عودة الاسلام والمسلمين الى بيروت بمختلف الوسائل والاساليب ، هذا الحاكم هو احمد باشا المعروف بالجزار .

ومن الطريف ان هذا الحاكم المتحمس لصهر بيروت بالبوتقة الاسلامية عمرانا وسكانا ، لم يكن في

الاصل الا غلاما نصرانيا من بلاد البوسنة ، هجر بلاده على اثر اختلافه مع اخيه لاسباب عائلية كي يبيع نفسه رقيقا ، من نخاس يهودي في اسطمبول ، وهذا نصحه باعتناق الاسلام ليروج سوقه ويتضاعف ثمنه، وهذا ما حدث بالفعل ، ثم تطورت الايام ، واذا بهذا الغلام النصراني عندما بلغ اريكة الحكم على ولاية سورية يصبح اشد نكالا على النصارى من اي حاكم سبقه في اي عهد من العهود .

في ايام هذا الحاكم عرفت بيروت مدا اسلاميا مركزا كما عرفت مقابل ذلك جزرا نصرانيا واضحا واصبحت هذه المدينة المسورة لا تضم داخل ابوابها المصفحة بالحديد الا المسلمين تقريبا بينما ارتد عنها النصارى لائذين باكناف الجبل متربصين للعودة اليها في الوقت المناسب ، ولقد بلغ من قلة عدد هؤلاء في المدينة انهم اشتركوا كاثوليكا ورما واروتوذكس في كنيسة واحدة على خلاف ما تسمح به طقوسهم المذهبية المتناقضة في هذا الصدد .

وبقي الحال كذلك بالنسبة للمسلمين والنصارى في المدينة حتى جاء الوقت المناسب لهؤلاء الاخيرين وذلك حينما حل الحين بالجزار نفسه فتنفسوا الصعداء وانطلقت قرائح شعرائهم تردد القول بشماتة لا تخفى منها ملامح الحقد الذميم :

لله درك يا منون فقد بدت
منك الحياة وطاب حكمك واعتدل

فاز الانام وارخوه بمقصد
هلك الشقي والى جهنم قد رحل

واما اهل بيروت فلقد وقع عليهم موت الجزار كمثل الصاعقة القاتلة ، وراح شاعرهم يصور مشاعرهم في هذه المناسبة الاليمة بقوله :

يا ايها الجزار اعناق العدى
يا من هوى السادات والامجاد

هم اهل بيروت الذين تزينت
منهم بدر عطائك الاجياد

وملكتهم ووداده لك صادق
ما ان لهم فيمن سواك وداد

لا تقضي فيه ولست فيه مشاركا
بل فيك دوما لم يزل يزداد

ولقد خدمتك مادحا بقصيدة
ومديح مثلك في الانام رشاد

وبعد موت الجزار بزمن قليل اخذ الوضع الديني في بيروت يتجه لصالح الوجود النصراني على حساب الوجود الاسلامي حتى اذا كانت سنة 1831 تطامنت اسوار المدينة تحت وطأة فاتحها ابراهيم باشا المصري ابن عزيز مصر محمد علي باشا الارناؤوطي . فقد دخلها ابراهيم بعد ان كسر بقوة جيشه ابوابها المصفحة ثم بادر فورا الى اباحة سكناها للنصارى بتشجيع من الدولة الفرنسية التي كانت وراء حملته على سورية فتدفق هؤلاء اليها منحدرين من قنن لبنان وسفوحه بلهفة وشوق دون اي عائق او مانع ، متخذين من حنا البحري الذي استخلصه ابراهيم باشا لمشورته مفتاحا لقلب القائد وقلب المدينة في آن واحد ، وما كادت سنوات القرن الثامن عشر تشارف نهايتها وسنوات القرن التاسع عشر تواجه بدايتها حتى اصبح سكان بيروت يتقاسمهم الدينان الاسلامي والنصراني ، وعندما اجبر ابراهيم باشا على الجلاء عن المدينة في تراجعه عن سائر فتوحاته بسورية والاناضول ، كانت الدول الغربية تمسك بزمام المبادرة في السياسة العثمانية وتوجهها وفق وصية القائد الصليبي لويس التاسع الذي لاقى حتفه في تونس خلال آخر حملة صليبية ضد الاسلام والعرب . وكانت وصيته تقضي بابعاد المسلمين عن الشواطىء الشرقية للبحر الابيض المتوسط الذي حولته الفتوحات الاسلامية الى « بحر العرب » بعد ان كان يسمى قبلا « بحر الروم » .

وعلى هذا فان ظاهرة تهافت النصارى على دخول بيروت وسكناها لم تكن عادية ولا عفوية ، بل انها جاءت نتيجة مدروسة لتخطيط غربي قديم تواضع على اعداده وتنفيذه زعماء السياسة الاوروبية في حينه، واجتهدا في افتعال المبررات المحلية لنجاحه على الوجه الذي رسمته لهم من قبل وصية لويس التاسع الذي يلقبونه (بالقديس) بينما كان ممثلوهم القنصليون في البلاد السورية بدمشق وحلب وبيروت يتعاونون فيما بينهم على تنسيق اعمالهم في هذا الصدد وستر اغراضهم الحقيقية بمناورات سياسية ظاهرها التعاون مع السلطات العثمانية لاقرار الامن وعودة الهدوء الى البلاد المضطربة بالفتن الطائفية ، التي كانوا هم بالفعل من ورائها ، وباطنها تنظيم هجرة جماعية كثيفة للعائلات النصرانية من داخل سورية الى ساحلها المحاذي لجبل لبنان ومن ثم تركيز هذه الهجرة بلباقة وهدوء وذلك في بعض قرى الجبل وبصورة خاصة في مدينة بيروت بالذات . وذلك تمهيدا

لاقامة كيان من لون طائفي معين تحكمه بعض العائلات الاقطاعية التي استدرجت بدعايات مختلفة الى اعتناق هذا اللون وقد اعتنقت هذه العائـلات او بعضهـا ما استدرجت اليه بالفعل مما سهل امـام الغربيين تحقيق مراميهم الى حد كبيـر .

ففي سنة 1840 اشتعلت في دمشق فتنة طائفية رعناء بين المسلميـن والنصارى بدسائس الانكليـز الخبيثة وادت هذه الفتنة الى نزوح كثير من العائلات النصرانية من العاصمة الاموية باتجـاه جبـل لبنان وبيروت ، ثم في سنة 1860 قامت فتنة اخرى اشـد نكالا من الاولى ولكن في جبل لبنان هذه المرة ، حيث توزعت الادوار المؤذية بين الانكليز الذيـن تظاهـروا بتأييد الدروز وبين الفرنسيين الذين تظاهروا بتأييـد النصارى وكان من نتيجة هذه الفتنة الثانية ان نفذت المرحلة الثانية من المخططات الغربية القاضية بتهجيـر الطوائف النصرانية الى بيروت ليصبحوا بعد قليـل اكثر عددا ونفوذا من اهاليها المسلمين وذلك تمهيـدا لـمـا حصل بعد الحرب العالمية الاولى من قيام دولـة لبنان الكبير واتخاذ بيـروت عاصمة رسمية لهـذه الدولـة .

ومنذ ذلك الحين اخذ ميزان القوى السكنية في مدينة بيروت يميل لصالح النصارى الذين كان عددهم يربو يوما بعد يوم حتى اصبحوا غالبيـة ملحوظـة بالنسبة الى مواطنيهم المسلمين ، على انه بالرغم مـن ان الغالبية العددية من سكان بيروت كانت نصرانيـة الا ان هذه المدينة بقيت محتفظة بسماتها الاسلاميـة على وجه العموم وكانت كلمة « بيروتي » تعني المسلم البيروتي ، وكلمة « جبلي » تعني النصراني اللبنانـي ولو انه من سكان بيروت بالفعل .

في هذه الفترة حدثت مضاعفات خارجية كـان من شأنها ان تلقي بعض الظلال العارضة على تـوازن النسبة العددية بين السكان المسلمين والنصارى في المدينة ، وهذه المضاعفات هي الاحداث العسكرية التي وقعت في شمال افريقيـا وادت الى احتـلال فرنسـا للجزائر سنة 1832 ثم فرضها الحمايـة على تونس سنة 1881 فلقد احدث نزول فرنسـا المتعاقب في ارض هاتين الدولتين الاسلاميتين موجـة مـن الذعـر والاضطراب في نفوس كل من الجزائريين والتونسيين مما حدا بكثير منهم الى مغادرة وطنهم باتجاه الشرق ليكونوا في حمى دولة الخلافة الاسلامية التي كان يمثلها آل عثمان في اسطمبول . ولقد اختار هؤلاء بلاد الشام دار هجرة لهم فاستقروا بدمشق حول زعيمهم الاميـر عبد القادر الجزائري الذي اختارها لمقامه غير ان عددا منهم اثر البقاء في بيروت الى جانب اخوانهم المسلمين فيها وكما فعل الجزائريون فعل النازحون التونسيون من بعدهم وما تزال اسماء « الجزائري والمغربي » سمة على العديد من اهل بيروت حتى اليوم . الا ان كميـة هؤلاء الذين استقروا في بيروت لم تكن بالدرجة التـي تؤدي الى تجاوز عدد مسلمي البلد على نصاراها اذ ان هؤلاء بقوا محافظين على تفوقهم العددي على مواطنيهم المسلمين وكما حدث في غضون القرن الماضي بالنسبة للجزائر وتونس فان هجرة اسلامية اخـرى وصلت موجاتها البشرية الى بيروت قادمة من بلاد المغـرب (مراكش) عند سقوطها بيد فرنسا سنة 1912 ومـن بلاد طرابلس الغرب عند احتلالها من قبل الطليان سنة 1911 ، وعلى الجملة كان عدد النازحين من شمـال افريقيا العربية الى بيروت في تزايد مستمر باستمرار الوجود الفرنسي هنالك وان هؤلاء النازحين كانـوا يشكلون في اواخر العهد العثماني جالية موفورة العدد ببيروت حتى ان هذه المدينة كانت تحتوي على مقبرة خاصة بهم باسم « مقبرة المغاربة » وكان مكانها فـي نفس المكان الذي تقوم عليه بناية المقاصـد الخيريـة الاسلامية التي فيها سينما ريفولي اليـوم شمالـي ساحة الشهداء . ولقـد كان من بين المهاجرين الـى بيروت فضلا عن المغاربة ، مسلمون من مختلف البلدان والجنسيات وهؤلاء كانوا يتركون ديارهم التي تقـع في ايدي الاجانب في اعقاب تخلي الدولة العثمانية عنهـا بالحرب او بالمساومة كما حصل في جزيرة كريت وكما حصل كذلك في مصر التي منيت بالاحتلال الانكليزي بحجة حماية عرش الخديوي من ثورة عرابي باشا سنة 1882 وكثيرا ما نجد بين العائلات البيروتية المعاصرة اسماء المصري والفيومي والدمياطي والدسوقي نسبة الى المدن المصرية التي قدموا منها منفيين او طائعين، ولقد ترك لنا احد هؤلاء المصريين وهو الشيخ محمد عبد الجواد القاياتي مذكراته التي دونها اثناء اقامتـه في بيروت وذكر فيها ان البلد في زمانه تشتمل على نحو ثمانين الفا من النصارى ونحـو عشريـن الفا مـن المسلمين ، ومع ذلك فان معاملة النصارى لاهل الاسلام معاملة بغاية الادب والتزام التوقير للصغير والكبيـر لامريـن :

الامـر الاول وهو الذي عليه المعول ، شهامـة الطائفـة الاسلامية وشدة غيرتهم الدينية مع قلـة عـددهـم .

والامـــر الثاني ، مراعاة الحكـــام للجري على مقتضيات القوانين والنظام (نفحة البشام فى رحلــة الشـام ص 26) وفي ســنة 1920 اعلن ممثل الاحتلال الفرنسي الجنرال غورو الكيان اللبناني بصفة رسمية تحت اسم دولة لبنان الكبير وجعلت بيروت عاصمـة لهذه الدولة الناشئة ، ومن ذلك الوقت انفتحت هـذه المدينة عمليا امام سيل دافق من الهجرات النصرانيـة تألبت عليها من مختلف الجهات والاجنـاس ، فلقـد استقدم الفرنسيون اليها جماعات بشرية كثيفة مـن السريان والكلدان والاشوريين والارمن الذين تركـوا مواطنهم الاصلية تحت وطأة ظروف عسكرية نشـأت عن حرب الاستقلال فى تركيـا ، وهيأت لهم سلطات الاحتلال اسباب الاقامة الدائمة سواء فى قلب العاصمة اللبنانية او فى ضواحيها القريبة منها .

وبمقابل ذلك ، فان الثورة الوطنية التـي عمت البلاد السورية ما بين عامـي 1924 و 1926 ضـد الانتداب الفرنسـي دفعت عددا من مسلمي دمشـق والمدن التي اصابها رشاش الاضطراب الى البحث عـن امنهم ومعاشهم فى بيروت ولكن هؤلاء لم يكونوا مـن الوفرة بحيث يتأثر بهم فريق دون آخر فى المدينة على ان بعض السـياسيين اللبنانيين كانوا يعيشـون فى جو عقدة نفسية بالنسبة للتوازن الطائفي فى البلد ومـن هؤلاء الرئيس اميل اده الذي ما ان تسنـم رئاسـة الجمهورية اللبنانية حتى صرف كل همه لاقناع نصارى جبل لبنان بالتوجه الى بيروت والاقامة الدائمة فيهـا واتخذ من المركزية الادارية فى العاصمة وسيلة غيـر مباشرة لاستدراجهم الى تحقيق هذه الغاية التي لـم تكن فى الواقع الا استمرارا للسياسة الغربية التـي تقضي بجعل بيروت مجموعة متنافرة من الطوائـف والاجناس كيلا تتحد كلمة الشعب فى راي عام منسجم ضد اغراضها الاستعمارية التاريخية .

واذا نحن تابعنا مجرى تطور الاحداث فى الشرق العربي خلال بداية النصف الثاني من القرن العشريـن للميلاد فانه يتبين لنا ان الاحصاءات الطائفية فى مدينة بيروت خضعت لتقلبات تتراوح بين صالـح النسبة الاسلامية وبين صالح النسبة النصرانية . فعندما وقع الانقلاب العسكري ضد النظام الملكي فى مصر سنـة 1953 بادر غالب المصريين الذين تحدروا من اصـل لبناني ، ويكاد يكونون جميعا من النصارى ، بادر هؤلاء الى مغادرة مصر الى بيروت حيث منحتهم السلطات اللبنانية الجنسية اللبنانية على اساس انهم يستردون جنسيتهم الاصلية قبل ان يغادر آباؤهم لبنـان الى مصر للعمل فى خدمة الدوائر الانكليزية التي كانـت تحتاج اليهم كتراجمة وموظفين فى دوائر الاستعلامات او فى الدوائر التي لا تطمئن الى وجـود ابناء البلـد المصريين فيها . وعدد هؤلاء المتمصرين العائدين الـى بيروت يتجاوز عشرات الالوف وقد اصبحوا عمليـا من اهالي بيروت وسكانها ، لهم نفس الحقـوق التي لهؤلاء ، وعليهم نفس الواجبات .

ثم انه عندما انتقل النظام المصري الى سورية بسبب اندماج البلدين فى وحدة سياسية تامة تكررت نفس الظاهرة ولكنها هذه المرة كانت تحمل فى تضاعيفها مزيجا اسلاميا نصرانيا من الافراد الذين وجدوا فـي النظام الاقتصادي اللبناني الحر متنفسا لنشاطهم المالي الذي لم يعد يجد له متسعا فى البلاد السورية التـي وضعتها الوحدة مع مصر فى اطار التجربة الاشتراكية للاقتصاد الموجـه .

واذا انتهينا الى واقع بيروت فى الوقت الحاضر فاننا نلاحظ بان السياسات الغربية المتلاحقة قد افلحت الى حد كبير فى ابراز هذه المدينة على النحو الـذي يتفق ومخططاتها القديمة ، اذ ان نسبة المسلمين الى مواطنيهم النصارى لاتكاد تتجاوز الثلث ، وهذا يبدو جليا من خلال توزيع المقاعد النيابية حسب جـداول الناخبين البيروتيين .

اما من الناحية العملية فان هذه النسبة لا تمثل الواقع العملي ، لاسيما بعد الاحداث الفاجعة التـي وقعت بفلسطين سنة 1948 هذه الاحداث التي اقتدت عشرات الالوف من ابناء البـلاد المقدسة وجعلتهم لاجئين فى بيروت ينتظرون مصيرهم المجهول داخـل مخيمات البؤس والشقاء المبثوثة فى العراء محرومين من كل وسائل الحياة الانسانية الكريمة فى المدينة التي تضاهي ببذخها وترفها ارفـع المستويات الحضاريـة فى العالـم ...

اما بعد ، فانه ايا ما كانت الارقام التي تمثل عدد المسلمين او عدد النصارى فى بيروت فان هؤلاء واولئك يعيشون بعضهم الى جانب بعض تحت لواء وارف من الاخوة الوطنية الصادقة التي تشدهم فى عروة وثقـى من حب مدينتهم والاخـلاص لرقيهـا وازدهـارها وتطـورهـا .

بيـروت : طـه الولـي

الشخص في الإسلام

المعطيات النشوئية

للعميد
محمد عزيز الحبابي

بمناسبة الطبعة الثالثة بالفرنسية لكتاب « الشخصانية الاسلامية » (باريز ، المطابع الجامعية الفرنسية) يسعدنا ان ننشر في هذا العدد فصلا من هذا الكتاب ، شاكرين لمؤلفه الزميل محمد الحبابي عميد كلية الاداب هذا التعاون ، متمنين ان نرى قريبا الكتاب منشورا بالعربية .

1 — من الجانب الاونطولوجي :

ان الشخص يتميز عن بقية الحيوانات بقدرته على التركيب . لكن ، من الوجهة الاونطولوجية (نعني من المنظار الخاص بالكينونة) ، نجد ان الشخص في الاسلام يتحدد ، هو ذاته ، كتركيب : تركيب بيولوجي (الجسد) وحياة روحية .

فالتكوين البيولوجي ، كما يصفه القرآن ، جد بسيط : « **واذا اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم ...** » (7 : 171) ، اي ان الله « **خلق الانسان من نطفة** » (16 : 4 و 36 : 77) . وهذه الظاهرة ليست الا حلقة ممتازة في مجموع مراحل التطور :

« ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ،
ثم خلقنا النطفة علقة ،
فخلقنا العلقة مضغة ،
فخلقنا المضغة عظاما ،
فكسونا العظام لحما ،
ثم انشاناه خلقا آخر ،
فتبارك الله احسن الخالقين ! » (32 : 12 الى 14)

نجد نفس الوصف في آيات اخرى ، فلنكتف بسرد ما من بينها يتمم السابقة :

« ايحسب الانسان ان يترك سدى ؟
الم يك نطفة من مني تمنى ؟
ثم كان علقة فخلق فسوى ،
فجعل منه الزوجين الذكر والانثى » (75 : 37 الى 39 (1) .

يعتبر آدم وحواء الزوجين الاولين اللذين تكونا على هذا الشكل ، فتفرعت عنهما الانسانية جمعاء . هذه المعطيات « البيولوجية » بعيدة عن أن تجيب عن تساؤلاتنا حول الكائن . بيد انه ، اذا كان جوهر الكائن ظل لغزا محيرا ، فهناك ، على الاقل ، تاكد واحد : **اننا موجودون** . لكن ، ما دام القرآن ليس بكتاب فلسفي سيبقى المشكل قائما الى ان يشتغل به الفلاسفة المسلمون فيما بعد .

* * *

1) انظر كذلك ، 18 : 37 — 22 : 5 — 35 : 11 — 53 : 42 — 76 : 2 — 80 : 19 .

كل منا يحيا كينونته ، وان كان لا يعرف كيف يتحدث عنها ، ان القرآن والسنة يتوجهان الى الكائن البشري ، فيخاطبان هذا الواقع الحي ، الواعي لذاته ، فيحضانه على الايمان بالله وعلى الاعمال الصالحة ، وينهيانه عن الوثنية والشر . ان واقعية وجودنا لا تلتزم برهنة ، اذ هي بداهة تتجذر في رغباتنا ، وفرحنا ، وندمنا ، واحقادنا ، واندفاعات طموحنا ، كما نحيا بداهة واقع وجودنا في تداخل العلاقات المجتمعية (مبادلات ، واعمال جماعية ، وعلاقات مختلفة الاشكال، ما تجاذب منها او تنافر) .

ان « الكائن كائن » : تلك حقيقة نحياها ، بديهيا ، ويأتي « علم الكلام » ، فيما بعد ، فيهتم بالفعل الذي يحقق به الكائن كينونته ، وبالكيفية التي ترتكز فيه فكرة الوجود على الاقتناع الاستدلالي . اما القرآن فيكتفي بان يؤكد ان الله قد خلق من العدم مجموع الكون بما فيه الانسان :

« انما امره ، اذا اراد شيئا ، ان يقول له : كن ! فيكون . فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء ، واليه ترجعون » (36 : 82) (1) .

انطلاقا من بداهة الفعل الذي يحقق به الكائن كينونته ، ينتقل بنا القرآن الى مرحلة اونطولوجية ثانية ، متكاملة مع الاولى فيضع على الناس اسئلة ويهديهم او ينذرهم . وهل الشعور باننا نوعظ ، ونخاطب ، ونسأل ، الا طريق يفتحنا على وعي الذات ، ويكشفنا ونحن نمارس البحث عن الذات ؟

فبرفضي او بقبولي للوعد والوعيد ، لاوامر الله ومحارمه ، ادخل في محاورة مع الله ، وادخل في تواصل مع الكائنات والاشياء التي يذكرها القرآن .

هكذا اصبح شاعرا بتشييدي لذاتي كشخص ، انطلاقا من الكائن الخام ، اي من كينونتي كما صنعها الله .

* * *

لولا تدخل « الروح » لكان التكوين البيولوجي البشري الذي يتحدث عنه القرآن يطبق ، ايضا ، على الكائنات الاخرى . هناك حديث نبوي يجعلنا نتتبع مختلف مراحل السلسلة المكتملة ، من مرحلة الامشاء حتى حدوث الروح : « ان احدكم ليبقى في بطن امه اربعين يوما نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح ... » (رواه البخاري ومسلم) . فالفضل في وجود تجاوز ما هو بيولوجي ، يرجع الى هذا النفخ الالهي ، به تبدا حياة باطنية ، حياة روحية تسترسل في نموها حتى تصل الى تفتحها الكامل ، عند الشهادة .

* * *

على هذا ، لا يتحقق الشخص دفعة واحدة، وبكيفية قبلية . تبدا الشخصانية الاسلامية باختيار اولي ، كما يضع الهندسي فروضه ومسلماته قبل الشروع في بناء العمليات الرياضية والبرهنة عليها . تنطلق الاشكالية الاسلامية (La problématique)

من الشهادة : بان الله موجود ، وانه واحد احد ، انها اشكالية تحتوي على سلسلة طويلة من تساؤلات فلسفية ، واخلاقية ، وسياسية ، دون ان تكون في الواقع تفرقة مطلقة بين الميادين الثلاثة . فترابط الميادين يشبه ترابط التجسيد الجسماني في الكائن البشري بالتعالي الروحي .

يمتاز الاسلام تمييزا قويا بـ (Totalitarisme) اي بالنزعة الى تسخير « الكل » لفائدة الوحدانية . وبفضل ذلك ، كما يظهر لنا ، يتغلب الاسلام على المتناقضات المتساوية بين ما هو فردي وما هو مجتمعي، ما هو ديني وما هو غير ديني ، ما هو مقدس وما هو دنيوي . فالكائن البشري **كل** موحد يكون جزءا من مجموع ملتزم موجه ، داخل نساق مجتمعي ذي اعراف وشرائع .

* * *

حالما يدخل الانسان في علاقات مع شيء ما يحوله الى قيمة ، اما قيمة للاستهلاك واما قيمة للمبادلات : **الانسان حيوان ينتج القيم** ، ويجعل ضمنيا ، من هذا الخلق المستمر ، اساس حواراته . وفوق القيم ، توجد قيمة عليا توحدها جميعا ، وتكون لها بمثابة معيار المعايير ، اي المطلق الذي يتعالى عن كل نسبية ، هو الله:

« الله نور السماوات والارض ،
مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ،
المصباح في زجاجة ،

1) انظر كذلك : 6 : 73 – 16 : 40 – 19 : 35 – 11 : 68 .

الزجاجة كانها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة،
زيتونة لا شرقية ولا غربية ،
يكاد زيتها يضيء ،
ولو لم تمسسه نار ،
نور على نور ،
يهدي الله لنوره من يشاء » . (24 : 35) .

* * *

لقد تحدثنا عن حدوث الروح ، لكن :
ما هي الروح ؟

انها ، حسب القرآن ، سر الهي مكنون ، يقول الله مخاطبا نبيه :

« ويسالونك عن الروح ، قل :
الروح من أمر ربي ، وما أوتيتم من العلم الا قليلا » . (17 : 85) .

فالروح واقع ، ولكن الله وحده يعرف ماهيتها لانها صادرة عنه :

« تنزل الملائكة والروح على من يشاء من عباده ». (16 : 2) .

يتركب الكائن البشري من جسم وروح . انه يرمي الى ان يصير شخصا بقدر ما يتوفق في ايجاد توازن بين هذين العنصرين ، وان يجعل من ذاتيته وحدة ينسجمان فيها . فالشخص ، بهذا المفهوم ، قدرة على ان يوحد ذاته ، وبالتالي فاعلية للخلق الذاتي ، انطلاقا من معطيات حباه الله بها ، وحسب مبادىء اقرها واوحى بها الى رسله ليبلغوها الى الانسانية .

يدعو القرآن الى استخدام العقل ومعرفة الكون، كما يحيا فيه ويوجهه :

« افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ، والى السماء كيف رفعت ، والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت ؟ » (88 : من 17 الى 21) . وفي الآيات (من 2 الى 11 ، السورة 50) نرى القرآن يوضح نفس الفكرة :

« افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها ،
وزيناها وما لها من فروج ،
والارض مددناها ،
والقينا فيها رواسي ، وانبتنا فيها من كل زوج بهيج ،
تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ،
ونزلنا من السماء ماء مباركا ،
فانبتنا به جنات وحب الحصيد ،
والنخل باسقات لها طلع نضيد ، رزقا للعباد ،
واحيينا به بلدة ميتا ،
كذلك الخروج » .

2 ـ من الجانب الاخلاقي :

يجب في الاسلام ان يكون الشخص غاية ، كما هو الحال عند (كانط) لا وسيلة يستخدمها الاخرون . هناك حديث نبوي يقول : « الخلق كلهم عيال الله ، واحبهم الى الله اكرمهم لعباله » . وفي حديث آخر : « ان غضب الله يحل بالذين لا ينصفون من لا مدافع عنه الا هو تعالى » (1) .

يفترض هذا مسبقا ، وجود استقلال ـ الذات الشخصي ، أو الحرية التي بدونها يستحيل اي التزام اخلاقي ، بله الحياة المعشرية ، والمساواة التي تدافع عنها الاخلاق والقانون ، كما جاء في الحديث : « لا فضل لعربي على عجمي ، ولا ابيض على اسود . . . » ، اذ الله يرعى ، برحمته ، الاحمر والاسود والابيض (2) . من هنا كان الاسلام ، الذي هو ، في نفس الوقت ، اعتقاد (ايمان) وفقه (معاملات) لا يستخلص صلاحيته الا من توافقه مع طبائع انسانية معينة متفردة . على ان الطبائع الانسانية المتفردة ليست « مونادات » ليبنتزية ولا « جوهرا » قد الصقت اجزاؤه بعضها ببعض . فالله ، خلق آدم على صورته (كما جاء في حديث) و **« جعله في احسن تقويم »** (قرآن ، 45 : 2) .

لكن هذا يرجع الى الدفعة الخلاقة الاولى ، الى ماهية النوع البشري ، ذلك انه ، اذا كان شيئان من اصل واحد وبينهما تشابهات عضوية ، فليس ضروريا ان يكونا متطابقين ؛ وكثيرا ما نجد حتى بين اخوين توامين ، فروقا ومميزات خاصة : بالرغم مما بينهما من تشابه كبير ، وبالرغم عن ان لهما عمرا واحدا ، وجنسا واحدا وظروفا اسروية ومادية لا تبديل فيها ، نلاحظ فروقا مزاجية ، ونفسانية ، واخلاقية الى حد أن بعضها يقاس ، ويحدد ويقارن من الجانبين الكيفي والكيمي . هناك فرق بين العتبات السيكولوجية ، والانفعالات

---

1) انظر : السيوطي : **الجامع الصغير .**
2) انظر : « خطبة الوداع » ، في **سيرة ابن هشام .**

والميولات ، من شخص لآخر . فمثلا : قد يحدث ان المبادرات وقوة القدرة على الوعي يعارضان بين شخصين بالرغم عن كونهما ينتسبان الى نفس الوسط المجتمعي، وقد اكتسبا نفس التكوين الفكري . وهذا يعود ، في معظم الحالات ، الى المجهود المبذولة ، او الكفاءات الممكن استغلالها من اجل الوعي ، ومن اجل الحصول على الحرية واستثمار الارادة . ان الحديث : « خلق الله آدم على صورته » يعني ان الانسان ليس مجرد مخلوق من بين المخلوقات ، بل ان الله كرمه وفضله على كل ما في الكون حينما منحه القدرة على تحوير باقي المخلوقات : الانسان يسهم ، مباشرة ، في الابداع بالعالم وفي تسييره .

* * *

ان الكائن البشري ، عندما يتشخصن ، يلج عالم الحريات . لكن التحرير والعمل للمحافظة على الحريات يستلزمان قوة على التاليف ، وشعور المرء بذاته ككل ، مستقل منهمك في توحيد ذاته وتجاوزها . وان النبي لهو النموذج الذي يجب ان يقتدي به ، انه « المتبوع الاعظم » . وفي المرتبة القصوى من التوتر نحو التعالي والكمال ، ينزع المؤمن نحو الفناء في محبة الله ، بمعنى العمل على اكتساب رضاه ، لا عن طريق تجسيده في ذواتنا ، ولكن بتطبيق السلوك الذي يليق بمشيئته . هكذا يحقق المؤمن ترقية هامة بفضل المجهودات والاعمال الشخصية . وقد صرح الله بهذا في حديث قدسي :

« لا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه ، فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها . ولئن سالني لاعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه »(1)

يتركز التشخصن على العقل ، اذ له قدرة على التحرر وعلى التاليف والانسجام ، وله دور اساسي هو تعليم الشخص ، بغية اصلاحه ، وتوجيهه . اليس العقل قدرات تجعلنا نعي ، وعيا واضحا ، الحاح وحدتنا ، وتنافسنا ، وتكييفنا مع العوالم (المادي والمعنوي والمجتمعي) اذ نعتبرها حقائق مشروعة وحتمية ترتبط **بنا وفيما بيننا** ، فكما ان الانسان اكرم المخلوقات ، فالعقل اول المخلوقات : « واول ما خلق الله العقل (حديث) .

يفكر الكائن البشري بطبيعته ، ويركز استقلاله الذاتي على فكره . فالمبادهة ، والاستقلال ـ الذاتي ، والعقل ، ذاك ما يكون الشخص ويسمح له بان يفهم حتميات الطبيعة ليتجاوزها ، وان يعارض جور الافراد ليقضي على الاضطرابات المجتمعية . فلنأخذ مثالا اكثر التصاقا بموضوعنا : الدولة .

الدولة جهاز انساني ، لكن كثيرا ما تجرد الكائنات البشرية عن خاصيات الانسانية . في اللحظة التي تحطم الدولة استقلال الافراد الذاتي ، تحول دون تشخصنهم . وحينما يصبح القوم غير مؤمنين بواجباتهم ضد الدولة، مكتفين بواجباتهم نحوها ، اذ ذاك يتحول النظام الى دكتاتورية واستبداد ، اذ هي التي تفكر وتشرع لهم . وعلى العكس من ذلك ، ليس لخليفة المسلمين اي فضل او امتياز خاص، فهو خليفة الله ما دام يخضع للشريعة، طبقا لمبادىء الكتاب والسنة . في بعض الاوضاع ، يلجا الخليفة الى استشارة « اهل الراي » والاكفاء من الامة، فيلتزم بآراء اغلبيتهم ، وقد اصبحت قانونا نافذ المفعول، ان الاسلام يوجب على كل مؤمن ان يراقب ممارسة السلطة ، وان ينصح المسؤولين . كما جاء في صحيح مسلم : « الدين النصيحة ! قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولائمة المسلمين وعامتهم » .

عند ما ولي ابو بكر الخلافة ، خطب في الناس فقال :

« ايها الناس ! قد وليت عليكم ، ولست بخيركم . فان احسنت فاعينوني ، وان اسأت فقوموني . الصدق امانة ، والكذب خيانة ، والضعيف منكم قوي عندي حتى آخذ الحق له ، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه . ان شاء الله لا يدع احد منكم الجهاد ، فانه لا يدعه قوم الا ضربهم بالذل . اطيعوني ما اطعت الله ورسوله ، فاذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم . قوموا الى صلاتكم ، يرحمكم الله ! » (2) .

هكذا وضح ابو بكر مبادىء الاخلاقية السياسية الاسلامية : المساواة امام الشريعة ، بين الخليفة وبين

---

1) **صحيح** البخاري .
2) **سيرة** ابن هشام .

مجموع افراد الامة ، فلا تجب الطاعة للخليفة ولاولي الامر الا اذا خضعوا ، هم انفسهم ، للحقيقة ولارادة الله التي تتجلى في المصلحة العامة : الدفاع عن الضعيف ضد استبداد السلطة ، والدفاع عن مجموع الافراد ضد اي ظلم ، انها عدالة افقية وعمودية . وبما ان الله هو منبع الاخلاقية الحق وضمانة شمول مبادئها ، وجب ، كما جاء في حديث نبوي : ان لا تكون « طاعة لمخلوق في معصية خالق » . لكي لا تختلط الحدود بين العدل والظلم ، وبين الحق والباطل ، يجب على كل فرد من الامة ان يمارس مراقبة ديمقراطية مباشرة على سير الامور العامة . فالشريعة لا تكتفي بأن تحد من مجموع ارادة الحاكمين وذوي الجاه والسلطان ، بل تحول دونه كي لا تصبح تلك الارادة قانونا نافذ المفعول ، تلتزم به الامة. بذلك تقف الشريعة حاجزا ضد كل ما من شانه ان يمس بالكرامة الشخصية فتختلط الاخلاق بسفاهة الاقوياء وشهواتهم . الاقوياء يمارسون السلطة ، لكن الشريعة سلطة عليا لا مفر من الخضوع اليها . غير ان الشريعة ، رغم سلطتها ، تعارض كل اضطراب او فوضى او فتنة ، لان « **الفتنة اشد من القتل** » (2 : 191) . فلن تستجيب الدولة لدورها الوظيفي الاصلي اذا هي لم تعكس ارادة الامة ولم تخدم كل شخص ، ولم تخضع لمراقبة المجموع .

* * *

بالتوازي مع هذا ، فان كل شخص من الامة ملزم بمساعدة الدولة (الدولة ان عدلت) ، يتعاون معها ويخضع لها : « **يا ايها الذين آمنوا ! اطيعوا الله ، واطيعوا** الرسول ، واولي الامر منكم » (4 : 58) . ويقول النبي من ناحيته : « أوصيكم بتقوى الله ، وطاعة من ولي عليكم ، ولو كان عبدا حبشيا » (رواه الترمذي) .

يمثل الله التعالي وصفاء الضمير ، اما النبي فيهدي الى الصراط المستقيم ، عن طريق الرسالة التي اوحيت اليه ، وبواسطة سيرته التي هي النموذج الاعلى للسلوك ، واخيرا ، على المؤمن ان يخضع للدولة ، ولكن هذا الواجب الاخير يأتي في الدرجة الثالثة ، نعني انه لا يكتسب معناه الحق الا اذا قامت الدولة نفسها بالواجبات ، وكان للمؤمن حق المراقبة على سيرها .

فواجبنا ، نحن الرعايا ، هو الا نعارض ضميرنا او الشريعة حينما تقوم بعمل ما ولو تعرضنا الى سخط الدولة وبغيها . لكن ، بما ان الدولة تستمد سلطتها من احترام الشريعة ، لن يجوز لها ان تطالبنا بطاعتها الا اذا كانت عادلة وتدافع عن العدالة ، فكما قال الخليفة ابو بكر ، في الخطبة التي سبق ذكرها : « ان احسنت فاعينوني ، وان اسات فقوموني » .

ان الطاعة لا تتنافى واستعمال العقل ، والتقييم، والحكم ، تعني انها لا تتعارض ومحاولة فهم الاوضاع . فالوعي نتيجة لممارسة الاستقلال – الذاتي : فالافعال التي تعوقنا وتدمجنا في الحياة ، كافراد ، هي التي تجعلنا نتمتع بالاستقلال الذاتي ،لانها تعيدنا الى ذواتنا. فلا يرافق الوعي – بالذات فعاليتنا النفسانية الا عند ما توجد النية التي هي توتر باطني (نفساني ، واخلاقي ، وديني ، في نفس الوقت) . ابتداء من هنا ، يعي الانا ذاته كواقع موحد ومسؤول ، اذن كائنا حر .

* * *

يحقق المؤمن السعادة بالتقوى وبالاعمال الصالحة حسب النية الحسنة والمعرفة العقلية . فالاعمال الصالحة لا تتعارض مع معرفة عالم المحسوسات ، والاسلام لا يعتبر المادة او الجسم « شرا » اصليا (يخالف في ذلك الافلاطونية المحدثة وافلوطين وبعض الاتجاهات الصوفية) . انه يعترف بالجسم وبالمادة ، كحقيقتين متلازمتين متكاملتين مع الواقع الروحي . لقد خلق الله العالم المادي خلقا : فلا هو بسقطة او انحطاط ، كما هو عند افلوطين والغنوصيين ، ولا هو بعالم موصوم بخطيئة . انه صنع الاله الكامل (...) فاذا كان الالمام بالمبادىء العقلية هو الشرط الضروري للفضيلة وللسعادة ، وجب ان يحصل ذلك الالمام انطلاقا من الحواس . فالمعرفة الحسية وحدها هي التي تسمح للروح ان تجسد ماهيتها .

(يتبع)

الرباط : محمد عزيز الحبابي

أبحاث ودراسات



(17)

حرف القاف :

454) فى ص 401 ، ع ل تعريف بالامير قابوس ابن وشمكي ، كتب اسم والده بالجيم وهو بالكاف عند كل من ترجمه ، وقال فيه : رابع امراء بني زباد ، وهم بنو زيار بالراء لا بالدال .

455) وفى العمود نفسه تعريف بمحمد بن الطيب القادري صاحب نشر المثاني قال فيه : متصوف توفى بفاس ، ولم يزد على ذلك الا ذكر كتابه النشر ، ولو قال فيه مؤرخ بدل متصوف لكان انسب بحاله واوفق لما ذكره له من انتاج علمي ، اما وصف متصوف فانه لا يعرفه ولا يدل على مؤهلاته العلمية الاخرى ، ثم قال فى كتابه النشر انه تكملة لدوحة الناشر لابن عساكر ، والصواب ابن عسكر .

456) فى العمود الثاني من هذه الصفحة ترجمة لعبد السلام بن الطيب القادري سماه محمد عبد السلام ابن الطيب ، والصواب حذف محمد ، وقال فيه : درس الانساب وحج الى مكة مرات والى السوس الاقصى مرة .. ولا ندري كيف قرن الحج الى مكة بالسفر الى سوس ، على تحقق ما قاله ، والصواب ان يقال فى ترجمته عالم نسابة ومؤلف كبير ، وهو جد المذكور قبله ، واقتصر المنجد على ذكر تاليفه نزهة النادي وليس هو اهم كتبه ، على انه لم يتم ، ومن كتبه المطبوعة الدر السنى فيمن بفاس من اهل النسب الحسني ، والاشراف على نسب الاقطاب الاربعة الاشراف ، والمقصد الاحمد فى التعريف بشيخه احمد بن عبد الله معن الاندلسي ، والجواهر المنطقية ، وهي منظومة رجزية فى علم المنطق ، وباقي كتبه مخطوط .

457) وفيه وقع ذكر اعمدة هرقل ، قال فيها عواميد هرقول ، فاتى باسم هرقل على مقتضى النطق الاعجمي ، وهو معرف قديما بهرقل ، وعواميد كان الاولى ان يقول فيها اعمدة للخفة ومراعاة القلة .

458) فى ص 402 ، ع نى تعريف بابن القاسم الفقيه صاحب الامام مالك ، جعله ابن قاسم بدون ال ثم انه ضبط نسبه العتقى بكسر العين وسكون التاء وهو بضم ففتح لا غير . وقال عنه انه نشر المذهب المالكي فى المغرب ولا يعرف لابن القاسم عمل فى هذا السبيل ، ولانتشار مذهب مالك فى المغرب اسباب وعوامل ليس لابن القاسم فيها يد .

459) فى ص 403 ، ع ل تعريف باحد ادباء الشيعة ، اسمه قاسم علي الكربلائي ، ضبط فيه اسم الكربلائي بضم الكاف وهو بفتحها .

460) وفى المكان نفسه تعريف بابن قسى الثائر الاندلسي المشهور جعله ابن قاسى بالالف بعد القاف وليس كذلك ، وقال فيه : شيخ المنصورية ولا ندري ما هي هذه المنصورية التي نسبه الى مشيختها ، ولعله يريد الحلاجية اخذا من اسم الحلاج الحسين كان ابن قسى يتلاقى فى دعوته التصوفية مع الحلاج .

461) وفيه كذلك تعريف بابن قاضي سماونه جاء فيه : فقيه تركي قال بنسخ الشريعة الاسلامية والمساواة شرعا بين المسلمين واهل الذمة فقتل . وليس فى مراجع ترجمة الرجل شيء من هذا الذي نسبه

له ، وكلها مجمعة على انه فقيه متصوف له عدة مؤلفات في مادة اختصاصه ، ولكنها تذكر انه كان يتشوف الى الرياسة والسلطان ، وقام ببعض الحركات الثورية في سبيل ذلك فأمسك وقتل . وصاحب المنجد لم يفهم ما كتبته عنه دائرة المعارف الاسلامية وخلط بينه وبين احد زعماء الثوار الخارجين على السلطة ممن كان ينتمي الى المترجم بوصف التلمذة ، ومع ذلك فان هذا الزعيم ان كان قال بمساواة الذميين للمسلمين وان لهم ما لنا وعليهم ما علينا مما جاءت به الشريعة فانه لم يقل بنسخها كما زعم المنجد ، فهي من زياداته على الدائرة التي يستمد منها ، وتقولاته على المترجم .

462) وفيه ايضا ترجمة لابن القاضي المكناسي المؤرخ ، وصفه فيها بالمراكشي وهو مكناسي كما ذكر اولا اي من مدينة مكناس المعروفة ، ولا يصح نسبته الى مدينة مراكش ، الا ان يريد بالمراكشي المغربي ولم يعرف هذا الاصطلاح عند المؤلفين وان كان يجري على لسان بعض اهل المشرق .

463) وفي آخر هذا العمود واول الذي يليه بالصفحة 404 كلام بعنوان قاموس زعم فيه انه هو المعجم يحوي لوائح الكلمات ومعانيها وما يقابلها في نقلها من لغة الى لغة . . وليس هذا معنى لفظ القاموس في اللغة ولا في الاصطلاح . وانما جرى الناس على اطلاق هذا الاسم على المعاجم اللغوية توسعا في اسم كتاب الفيروزبادي ؛ القاموس المحيط) من غير ان يجعل ذلك هو معناه لغة ، لا سيما والفيروزبادي ما سمى معجمه كذلك الا لكونه معجما كبيرا جامعا كالبحر الذي هو المعنى اللغوي للفظ القاموس ، فكيف يقال على المعاجم الصغيرة التي ليست بهذه المثابة ؟ ثم ان المنجد ذكر في هذه المادة اسماء بعض المعاجم العلمية الطبية فضبطها جميعا بضم الطاء والطب مكسور الاول بما نسب اليه مثلـه .

464) في ص 406 ، ع ل كلمة عن قابيل بن آدم قاتل اخيه هابيل ، سماه فيها قاين كما ينطق في اللغات الاجنبية ، وهو في العربية قابيل بالياء الموحدة بعد الالف فياء للاشباع فلام ءاخرة ، ولو انه ذكره باسم قابيل ثم قال وفي غير العربية يعرف بقاين لسلم من المواخذة .

465) في ص 407 ، ع ل كلام على القبط واللغة القبطية واسم كتاب في تاريخ الامة القبطية ، ضبط فيه الجميع بضم القاف ، والصواب كسرها ، فان اسم جيل القبط مكسور الاول كما في المنجد اللغوي نفسه . والثياب القبطية بضم القاف نسب جاء على غير قياس .

466) في ع ثي من هذه الصفحة ترجمة لقتادة ابن مسلمة الحنفي ضبط فيها اسم والده بضم الميم وسكون السين وكسر اللام ، وهو مسلمة بوزن مصلحة كما نبهنا على نظيره فيما مر .

467) وفيه تعريف بابن قتيبة الدينوري امام اهل الحديث والادب صاحب التآليف الكثيرة ، ضبط نسبته فيه بفتح الدال وسكون الياء وضم النون ، وانما هو بكسر الدال وسكون الياء وفتح النون والواو معا نسبة الى مدينة دينور بهذا الضبط ، وكان على قضائها

468) في ص 409 ، ع ل تعريف بقحطبة بن شبيب من دعاة العباسيين ضبط فيه شبيبا بضم اوله وفتح ثانيه على صيغة المصغر وهو مكبر بفتح فكسر .

469) وفي هذا المكان تعريف بليلة القدر جاء فيه : هي ليلة من اوتار العشر في رمضان الخ ، وينبغي ان يزاد وصف الاواخر بعد قوله العشر ليكمل التعريف

470) وفيه كذلك تعريف بالقدرية الفرقة المشهورة من المعتزلة ضبط اسمها بسكون الدال وهو بفتحها نسبة الى القدر بفتحتين لانكارهم له .

471) في ص 410، ع ل ترجمة للشهاب القرافي الفقيه المالكي المشهور قال فيها : له انواع البروق في انوار الفروق ، وصوابه انوار البروق في انواء الفروق ، بالراء اولا ثم الهمزة ثانيا ، على ان الكتاب شهر بالفروق او بروق القرافي وكفى . ثم قال المنجد : مخطوط في استانبول ، وهو مطبوع من زمن بعيد في 4 اجزاء وعليه حاشية ابن الشاط مما يعلمه كل معتن بهذا الشأن .

472) وفي هذا العمود تعريف بقرة بن شريك والي مصر على عهد الامويين ، ضبط اسم والده بضم الشين وفتح الراء مصغرا وهو مكبر بفتح فكسر .

473) وفيه ايضا ترجمة لمن تسمى قرة العين وهي امراة استهواها مؤسس البهائية ، ولما ظهر فساده وقتل ، قتلت معه ، ولكن المنجد يظهرها بصفة المراة العالمة المتحررة ، وينسى ما رميت به هي والدعوة البهائية من الفضائح ، كما ينسى كثيرات غيرها من فضليات النساء فلا يترجم الا لمن يدس من خلال ترجمتها على الاسلام وعلمائه .

474) في ع ثي من الصفحة ذاتها كلمة عن القرصنة جاء في ءاخرها : واهم موائل القرصنة في البحر المتوسط كانت في شواطىء المغرب والجزائر والاناضول وفي جزر الارخبيل . . وكان عليه ان يزيد لتمام الفائدة بعد وصف الارخبيل باليونان ما نصه : حيث ينطلق

القراصنة من شواطيء ايطاليا وجمهورياتها واماراتها الشهيرة في نابولي وجنوة والبندقية ، فياسرون سفن الحجاج المسلمين والتجار ومن اليهم ويبيعونهم لليهود الذين يجوبون بهم انحاء اوربا ومراكز النخاسة العديدة فيها متاجرين .

475) في ص 412 ، ع ني تصدى لذكر مذهب القرامطة وداعيتهم قرمط بتفصيل لم يسبق له مع تعرضه لذكرهم فيما مضى مرارا . وقد قلنا في ضبط اسم داعيتهم انه بكسر القاف والميم وان المذهب بناء على ذلك ينبغي ان يكون القرمطية بالكسر ايضا ، وان كان المنجد يسمي المذهب القرمط ويسمي الجماعة كذلك ويضبط القاف بالضم ، وهذا كله خطأ . نعم في شرح القاموس قال في القرامطة واحدها قرمطي بالفتح ولكن الذي في اللباب لابن الاثير هو الكسر لا غير وعليه اعتمدنا دائما في ضبط الكلمة كلما وردت في المنجد بالضم . واغرب من هذا هو ما يقوله المنجد هنا في التعريف بمذهب القرامطة ونصه : اسم اطلق في سعة المعنى على الحركة الاصلاحية الشاملة الحياة الاجتماعية والقائلة بالتساوي بين طبقات الناس .. ولا ندري ما هو الاصلاح الذي قامت به هذه الحركة غير القتل والنهب وبث الرعب في نفوس الامنين وشق العصا على الولاة كيفما كانوا ؟ ويكفينا ان ننقل بعض عبارات المنجد نفسه في شرح الاصلاح القرمطي مثل قوله : والقرمط في حصر المعنى اسم اطلق على جماعات من شذاذ العرب والانباط الذين تنظموا على اساس شيوعي متستر ... وانشأوا في سوريا واليمن مواطن القلق والثورة على الدولة .. يكفينا هذا لمعرفة طبيعة هذه الحركة الاصلاحية المزعومة ، ولنسأل صاحب المنجد بعد ذلك عما ذا يهدف اليه من هذه الاقوال المتناقضة التي يشحن بها مؤلفه ؟

476) في ص 413 ، ع ني كلمة عن جامعة القرويين تقع في سطر ونصف قال فيها : يرتقي بناؤها الى القرن 12 ، والصواب الى القرن التاسع ، ثم قال مشهورة بابوابها 14 . وهذا غاية ما تذكر به جامعة القرويين عند المنجد ، فاين اقدميتها ؟ واين مآت الايمة من اهل العلم والدين الذين درجوا فيها ؟ واين الرسالة التي حملتها طوال احد عشر قرنا في المغرب العربي وافريقيا السوداء لاعلاء كلمة الله ونشر المعرفة والحفاظ على اللغة العربية وتراث الفكر الاسلامي ؟ فاللهم انجدنا من هذا المنجد !

477) في ص 415 ، ع ني ترجمة لابن قزمان الزجال الاندلسي المشهور جاء فيها : ورفع بالزجل الى مرتبة القصائد .. والعبارة غير صحيحة ، لان رفع يتعدى بنفسه ولا يحتاج الى الباء فكان عليه ان يقول ورفع الزجل الى مرتبة القصائد او يقول وارتفع بالزجل فياتي بفعل المطاوعة وهو يتعدى بالباء. وعلى كل فترجمة ابن قزمان عنده مفيدة على قصرها.

478) في ص 416 ، ع ني تحت اسم قسطنطين قال : اسم عدة امبراطرة ، وهو يعني جمع امبراطور فالصواب ان يقول اباطرة بحذف الميم التي هي من حروف الزيادة محافظة على وزن الجمع . ونبهنا على هذا وان كان معلوما لان المنجد منجد طلابي فربما قلده في عبارته من لا يعرف فوقع مثله في الخطأ

479) في ص 417 ، ع ل بعنوان قصبة التلوة قال : بلدة في المغرب جنوبي شرقي مراكش في جبال اطلس الاعلى .. ولا شك ان المراد قصبة تلوات وان تحريف الاسم جاء من الاعتماد على الترجمة ، كما ان صواب عبارة اطلس الاعلى هو الاطلس الكبير والخطأ جاء من الترجمة .

480) في ع ني من هذه الصفحة كلمة عن القصر الكبير المدينة المغربية المعروفة ، قال عنها انها مدينة في مراكش الاسبانية ، واسبانيا قد ذهبت الى حيث ألقت رحلها ام قشعم كما يقول الشاعر فما معنى وصف مراكش بالاسبانية وحتى ايام الحماية لم تكن مراكش اسبانية كما يجب ان يعرف صاحب المنجد ؟ ثم قال انها كانت ملجأ للقرصان ولا يدري انها مدينة داخلية ليست على الشاطيء حتى تكون ملجأ للقرصان ، فهل هذا من تلقاء نفسه او من تلقين ؟

وقال المنجد بعد ذلك : والقصر الكبير ايضا بلدة في المغرب الاقصى . وهذا السطر تكرار مع ما قبله يجب حذفه .

481) وفي المكان نفسه تعريف بقصر فرعون او مدينة وليلي جاء فيه : اتخذها ادريس بن علي قاعدة ، وهو ادريس ابن عبد الله لا ابن علي ، نعم ان نسبه يتصل بعلي بن ابي طالب ولكن لا يقال فيه ادريس بن علي

481) في ص 418 ، ع ل ترجمة للقضاعي صاحب مجموعة الشهاب في الحديث النبوي قال عنها مخطوط في برلين ، والشهاب طبع مرارا وهو متداول فلا يصح ان يقال فيه مثل هذا الكلام الذي يدل على ندرته وقلة وجوده .

482) في ص 420 ، ع ل ذكر كتاب قلائد العقيان للفتح بن خاقان فضبطه بضم العين ، وهو بكسرها كما في المنجد اللغوي نفسه .

483) في ع ني من هذه الصفحة ترجمة للقلصادي العالم الرياضي المعروف ذكر له فيها كتابه كشف الاسرار عن علم حروف الغبار وقال انه مخطوط في باريس ، والكتاب مطبوع عدة مرات بالمطبعة الحجرية بفاس لانه كان من الكتب الدراسية في جامعة القرويين، كما طبع بها غيره من مؤلفاته الرياضية .

484) وفيه كذلك كلام بعنوان القلعة تعرض فيه لذكر بعض القلاع الاندلسية ومنها قلعة يحصب فكتبها يحسب بالسين وهي بالصاد ، ومنها قلعة رباح بفتح الراء وضبطها هو بالكسر ولو اعتبر اسمها المعجم (بتشديد الجيم) وهو (Calatrava. لاهتدى الى الضبط الصحيح .

485) في ص 42 ، ع ني تعريف بمدينة قنا في الصعيد المصري ضبطها بضم القاف وترك النون بدون ضبط وهو مشدد ليلا يلتبس مع قنا اخرى غير مشددة . واما قنا بالضم فهي بالنهروان كما في معجم البلدان وعليه فالقنائي المترجم في العمود ، بكسر القاف وتشديد النون لا كما ضبطها المنجد بالضم

486) في ص 484 ، ع ل كلمة عن مدينة قنسرين وقد ضبطها بكسر النون وهي بفتحه ، وعليه فالقنسريني المذكور بعدها هو بكسر ففتح لا كما ضبطه بكسر اوليه معا .

487) في ع ني من هذه الصفحة وقع ذكر القنيطرة المدينة المغربية مع غيرها من الاماكن المسماة بهذا الاسم وعطف المنجد على اسمها هذا قوله : او بور ليوطي ، وللفائدة التاريخية نعلمه بأن هذا الاسم الثاني قد الغي رسميا بعد استقلال المغرب ولم يبق الا اسمها القديم القنيطرة .

488) في ص 426 ، ع ل ترجمة لقيس بن الخطيم شاعر الاوس المشهور ، جاء فيها ناصر اوس (كذا) قبيلته على خزرج . له ديوان ذكر فيه ايام اوس. ولو سلك نهج الصواب فلم يحذف ال من اسم الاوس والخزرج ، لما وقع في اللحن اولا ولابان المراد من كونه شاعرا جاهليا كان ينتصر لقبيلته الاوس على خصمها قبيلة الخزرج قبل ان يؤلف بينهما الاسلام ويسميهما بالانصار .

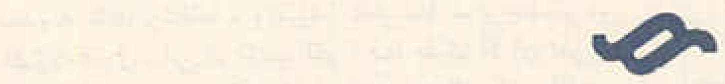
489) في العمود نفسه ترجمة لقيس بن سعد بن عبادة الصحابي الجليل ، ضبط فيها اسم عبادة بكسر العين وهو بضمها .

490) وفيه ايضا ترجمة لقيس الرقيات الشاعر قال فيها : ناصر الزبيريين ، والى امويي دمشق، وكان الصواب ان يقول ثم والى امويي دمشق بعد انهزام الزبيريين ليلا يتناقض كلامه .

491) وفيه كذلك كلمة عن قيس عيلان ، الجد الاعلى لهذه القبيلة ، ضبط فيها عيلان بكسر العين وهو بفتحها

491) في ع ني من هذه الصفحة ترجمة لابن القيسراني المحدث قال فيها : له في الاحاديث التي رواها الكذبة والمدلسون 1400 ، مخطوط في برلين . وابن القيسراني هذا هو المعروف بابن طاهر المقدسي وكتابه في الاحاديث المردودة يسمى بتذكرة الموضوعات وهو مطبوع بمصر ، فان كان هو الموجود مخطوطا ببرلين فالاولى ان يذكر باسمه ويشار الى انه مطبوع، فيزول الابهام الذي في كلامه من ان له الفا واربعمائة مخطوط ويتضح المراد .

طنجة : عبد الله كنون



تقويم اللسانين مستقيم

وقد عدلت في تعديلك عن العدالة

للدكتور تقي الدين الهلالي

من ادعية النبي (ص) هذا الدعاء (آمنت بالله ، واعتصمت بحول الله ، وتوكلت على الله ، ولا حول ولا قوة الا بالله .) اللهم اني اعوذ بك من ان اضل او اضل ، او ازل او ازل ، او اظلم او اظلم ، او اجهل او يجهل علي.

وبهذا الدعاء افتتح الرد على هذا المنتقد الذي حاد عن منهج النقد المستقيم ، وتنكر ، وتنقب ، كانه يعلم انه مليم . وقبل ذلك اشكر الاستاذ الاديب رئيس تحرير (دعوة الحق) على الكلمات التي اثنى بها على مقالات تقويم اللسانيين .

ثم اعيد ذكر ما قدمته في فاتحة هذه المقالات ونصه : وقد بدا لي أن اكتب مقالات في هذا الموضوع ، اداء لواجب لغة الضاد ، وصونا لجمالها من الفساد ، راجيا ان ينفع الله بما اكتبه تلاميذتي في الشرق والمغرب وفي اوربا ، وانا على يقين انهم يتلقون ما اكتبه بشوق وارتياح ، وكذلك رفقائي الكتاب المحافظون سيستحسنون ذلك .

اما الكتاب الذين يكرهون التحقيق ، ويرخون العنان لاقلامهم بدون تبصر ولا تمييز، بين غث وسمين، وكدر ومعين ، فانهم سيستثقلون هذا الانتقاد ، وقد يعدونه تكلفا وتنطعا ، وتقييدا للحرية ــ بزعمهم ــ فلهؤلاء اقول : اني لم اكتب لكم ، فما عليكم الا ان تمروا على ما اكتب مرور الكرام ، وتدعوه لغيركم الذين يقدرونه حق قدره . اه

فكان هذا الرجل راى نفسه من الكتاب الذين يرخون العنان لاقلامهم ، ويكرهون التحقيق ، فاخذه المقيم المقعد ، وفقد رشده ، فاخذ يلتمس العيوب للبرآء

فان يخلق لي الاعداء عيبا
فقول العائبين هو المعيب

وما ابرىء نفسي من الخطأ ، فالكمال لله ،والعصمة للانبياء ، . ولا اكره الانتقاد المستقيم الذي يريد به صاحبه الاصلاح والبناء ، ويشهد الله اني ما تصديت لكتابه هذه المقالات الا اداء للواجب ، ونصحا للامة ، وغيرة على لغة القرآن التي هجمت عليها لغات المستعمرين في عقر دارها ، فاتت بنيانها من القواعد ، وهدمت اركانها ، وذهبت ببهائها وجمالها ، ولم اشك ان دعاة الاصلاح يرحبون بهذا المجهود ويؤازرونه ، كما انني اعلم ان دعاة الهدم والفوضى ــ اكررها مرة اخرى، على رغم انف المتنطع ــ سيشرقون بهذا الاصلاح ويغصون به ولكن :

اذا رضيت عني كرام عشيرتي
فلا زال غضبانا على لئامها

ودونكم ايها القراء الاعزاء ما كتب به الي الاستاذ المؤلف الذائع الصيت ابو الحسن علي الحسني الندوي من لكناو في الهند في الترحيب بهذه المقالات .

قال حفظه الله : « استفدنا كثيرا من مقالكم القيم في العدد الاخير من مجلة (دعوة الحق) في موضوع (عثرات الاقلام ، وغلطات اللسان ، في كتابات المعاصرين) وارجو أن تنفسحوا في هذا الموضوع ، فكلنا في حاجة مثل هذه التوجيهات التي تصدر من ضليع محقق مثلكم . ابقاكم الله طويلا لتلاميذكم الكثيرين في الشرق والغرب .

تلميذكم الصفير ابو الحسن علي بن العلامة السيد عبد الحي الحسني ر ح 2ـ 2 ـ 1387 هـ .

اما هنا فى المغرب فقد رحب بها غير واحد من القراء مكاتبة ومشافهة ، ولا يظنن هذا المنتقد ان الجو خلا له ، حتى يبيض ويصفر ، وينقر ما شاء ان ينقر ، فان بين قراء هذه المجلة العالية فحولا لا يقعقع لهم بالشنان ، ولا يخدعون بالمغالطات والروغان ، يزنون الاقوال بالقسطاس المستقيم ، ويميزون بين الصحيح والسقيم ، وسيحكمون بيني وبين هذا المعترض الذي نصب نفسه حكما ، وتوهم ان حكمه لا ينتقض .

وقبل ان اخوض معه غمار المعركة مستعينا عليه بالله الذي يحق الحق ويبطل الباطل اذكر للقراء الاعزاء بعض ما أعرفه من اخباره ، واترك سائرها الى ان يحين اوانه .

كان هذا الرجل يدرس فى فرنسا ، وكان مبتلى بهذا التنطع من اول امره ، فوجه انتقادا الى امير البيان الزعيم العربي الاوحد الذي .

حلف الزمان ليأتين بمثله
حنثت يمينك يا زمان فكفر

الا وهو الامير شكيب ارسلان رحمه الله ، وكنت انا اذ ذاك ادرس فى جرمانية ، واحاضر فى اللغة العربية بجامعة (بن) فكتب الي الامير شكيب المسائل التي انتقدها عليه المعترض والتمس مني الحكم ، فنظرت فيها ، فوجدت الحق فى اكثرها مع الامير شكيب ، ووجدت اعتراض المعترض ساقطا الا فى النادر .

وابن اللبون اذا ما لز فى قرن
لم يستطع صولة البزل القناعيس

ولكن الامير شكيب رحمه الله ، كان عنده من الانصاف والتواضع ، ومكارم الاخلاق ، ما يندر وجوده فى هذا الزمان ، فلذلك لم يرد ان يجيبه حتى يعلم رابي فيما انتقده عليه ، ثم عرفت المعترض بعد ذلك معرفة تامة ، وكان يجمعنا بيت واحد ، نشتغل فيه جميعا ، وهو من الكتاب المشهورين فى النثر ، وله نظم لايبلغ حد الجودة ، ولكن لا بأس به .

وقد طرق هذا الباب الذي طرقته انا اليوم من قبل فى الصحف العراقية وفى الاذاعة ، ولم ينجح فيه بل كان عامة القراء يستهزئون به ، ولم اتعرض قط الى نقده ، مع اني وجدت فى ما كتبه ثغرات واخطاء ، لاني اعلم انه من الاساتذة القليلين الذين يكتبون انشاء حسنا ويتكلمون كلاما قليل الخطأ ، فغض الطرف عن هفوات هؤلاء عندي هو الصواب ، والسعي فى هدم ما بنوه من الفساد .

وانا لا اطمع ان يكون له من اصالة الراي وسداده ما يحمله على ان يعاملني بمثل ما عاملته به ، لان طبعه لا يسمح له بذلك ، وحسبي ان يكون انتقاده معتدلا خاليا من الجور وامارات سوء القصد ، ولكن الامر كما قيل :

(وكل اناء بالذي فيه يرشح) .

1 ـ (بدون) فالمعترض قال فى مقالته : (ويرخون العنان لاقلامهم بدون تبصر ولا تمييز) ، ثم قال : (وانما سميت زائدة ، لان الكلام يتم بدونها) ، فانا اقول له : من استعمل كلمة (دون) من فصحاء الامة العربية هذا الاستعمال ؟ ولهذا المعنى ؟ ان معنى بدونها هو بأقل منها .

المجيب : يا لله للعجب ، من جهل هذا المعترض بقواعد النقد ، كيف يحتج بكلام المؤلفين من الفقهاء ، كان كلامهم قرآن ، او حديث نبوي ، او شعر امريء القيس او النابغة الذبياني ، ومن قال لك : ان كلام الفقهاء حجة فى اللغة العربية ؟ يرجع اليه ويعتمد في الحكم عليه ؟ كان يجب عليك قبل ان تتصدى للاعتراض ان تعلم ان الحجة انما هي فى ما صح عن العرب فى جاهليتهم ، وفى دولة النبي (ص) والخلفاء ، ودولة بني امية ، قبل ان يختلط العرب بالاعاجم ، وتفسد السنتهم . اما كلام المولدين ، ولو كانوا من فحول الادباء والشعراء، كابن الرومي والبحتري والمتنبي ، بل بشار بن برد ايضا لا يحتج بشعره ، مع قربه من العصر الاموي ، فهذه حجتك التي جئت تصول بها ؟

معنى (دون)

قال الراغب فى غريب القرآن : يقال للقاصر عن الشيء (دون) قال بعضهم : هو مقلوب من الدنو ، والا دون الدنيء . وقوله تعالى : (لا تتخذوا بطانة من دونكم) اي ممن لم يبلغ منزلته منزلتكم فى الديانة ، وقيل : في القرابة . وقوله : (ويغفر من دون ذلك) اي ما كان اقل من ذلك ، وقيل : ما سوى ذلك، والمعنيان يتلازمان، وقوله تعالى : (ا انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله) ، اي غير الله ، وقيل معناه : الهين متوصلا بهما الى الله ، انتهى .

فانظر الى قول الراغب (وقيل ما سوى ذلك) يعني ان بعض اللغويين فسروا (ما دون ذلك) بسوى

ذلك ، ثم قال : والمعنيان مثلا زمان ، فبأيهما عبرت يفهم المعنى الاخر . ثم انظر الى قوله فيما حكى الله تعالى عن عيسى بن مريم فى آخر سورة المائدة : (اانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله) اي غير الله. فقد استعملت هنا (دون) بمعنى (غير) بغير اختلاف، فما هو جواب المعترض ؟ .

وقال صاحب لسان العرب بعد ما ذكر تسعة معان (لدون) وقال : (يعني الفراء) في قوله تعالى : (ويعملون عملا دون ذلك) دون الغوص ، يريد سوى من البناء . اه . الانبياء 82 .

فهذا من استعمال (دون) بمعنى سوى ، فماذا يقول المعترض فى تفسير الفراء ؟ .

وقال الفيروز ابادي فى القاموس : (دون) بالضم نقيض فوق ، ويكون ظرفا ، وبمعنى امام ووراء وفوق ضد ، وبمعنى (غير) قيل : ومنه ليس فيما دون خمس اواق صدقة ، اي فى غير خمس اواق . قيل : ومنه الحديث : اجاز الخلع دون عقاص راسها ، اي بما سوى عقاص راسها ، او معناه بكل شيء حتى عقاص راسها . اه

اقول : فقد رايت نقل الفيروز ابادي عن ائمة اللغة ان (دون) تستعمل بمعنى (غير) لكن الاحتجاج على ذلك بالحديثين غير صحيح ، اذ يحتمل (دون) ان يكون فى كل منهما بمعنى اقل ، ولذلك حكاه بصيغة التمريض . ومعنى الحديث الاول : ان الزكاة لا تجب فى اقل من خمس اواق من الفضة ، والاوقية اربعون درهما ، فالمقدار الذي تجب فيه الزكاة من الفضة لا يقل عن مائتي درهم .

ومعنى الحديث الثاني : ان المراة الناشز التي طلبت فراق زوجها كراهية له ، يجوز ان تفتدي نفسها بكل ما تملك ، الاضفائر راسها ، هذا معنى الحديث . وقد اختلف الائمة فى هذه المسالة ، وليس هذا محل ذكر الخلاف .

وقال صاحب مجمع بحار الانوار : وفيه (اي فى الحديث) الحاكم يحكم بقتل ، على من وجب عليه ،

وقال تعالى فى سورة الانعام 14 : (قل اغير الله اتخذ وليا ، فاطر السموات والارض ، وهو يطعم ولا يطعم ، قل اني امرت ان اكون اول من اسلم ، ولا تكونن من المسلمين .)

المعنى ، قل يا محمد ، اغير الله اتخذ وليا ، اتوجه اليه فى جلب الخير ودفع الضر ، والله خالق السموات والارض ، وغيره لا يخلق شيئا ، بل هو نفسه مخلوق ، والمخلوق لا يستحق ان يتخذ وليا ، اي الها ، والله يطعم كل طاعم ، ولا يحتاج الى من يطعمه ، وكل طاعم ، اي آكل محتاج الى الله ، والمحتاج لا يكون الها .

قل يا محمد لجميع الناس : ان الله امرني ان اكون اول من اسلم وجهه اليه ، ووحده فى ربوبيته وعبادته ، ثم قال تعالى: (ولا تكونن من المشركين) خطاب للنبي (ص) او لكل من يصلح للخطاب .

وقال تعالى فى سورة الشورى 6 : (والذين اتخذوا من **دونه** اولياء الله حفيظ عليهم ، وما انت عليهم بوكيل)

وقال تعالى فيها ايضا 9 (ام اتخذوا من **دونه** اولياء ، فالله هو الولي ، وهو يحيي الموتى ، وهو على كل شيء قدير) وامثال هاتين الايتين كثيرة جدا فى القرآن .

والمراد بلفظ من (دونه) فى آيتي الشورى هو بعينه المراد بغير الله فى آية الانعام ، فهذا تفسير القرآن بالقرآن ، فما ذا يقول فيه المعترض ؟

وقال تعالى فى سورة النجم 57 ــ 58 : (ازفت الآزفة . ليس لها من **دون** الله كاشفة) الآزفة القيامة .

قال القاسمي فى تفسيره : اي ليس لقيامها غير الله مبين لوقته كقوله (لا يجليها لوقتها الا هو) و (كاشفة) صفة محذوف ، اي نفس كاشفة ، او حال كاشفة ، او التاء للمبالغة ، او هو مصدر بني على التانيث . ومن (دون) الله بمعنى غير الله . اه

اقول : ينبغي ان امسك عنان القلم بعد ما تبين الحق فى هذه المسالة ، ورجع المعترض يجر اذيال الهزيمة ، نادما على تفوه ما ليس له به علم .

قوله : وهو فقيه ، ولعله درس فى الفقه (زواج المراة بدون مهرها) اي باقل من مهرها الخ ارجو ان اكون كما قال فقيها عند الله ، وعند عباده المؤمنين ، فقد قال النبي (ص) : « **من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين**) ذكره البخاري تعليقا فى كتاب العلم من صحيحه. والعبارة التي ذكرها المعترض ، ونسبها الى كتب الفقه فاسدة ، لم ارها فى شيء من كتب الفقه التي اطلعت عليها من كتب اهل السنة ، فان كانت موجودة فى فقه الشيعة الذين ينسب اليهم المعترض ، فليذكر لنا اين وجدها ، وعلى فرض وجودها ، لا يصح الكلام الا بتاويل، اذ ليس للمراة مهر معين عند اهل الحديث بدليل (التمس ولو خاتما من حديد) وبدليل (املكناكها بما معك من القرآن) رواه البخاري وغيره . وحده بعض

الفقهاء بربع دينار ، ولكن الفقهاء يقولون : « اذا لم يسم لها مهرا ، اي صداقا ، فلها صداق امثالها » ، فان صحت العبارة التي تنسب الى الفقه ، كان الكلام على حذف مضاف (اي بدون مهر نظيراتها من النساء) .

وانا لا انكر ان **دون** تستعمل بمعنى اقل ، بل كلامي لا يأباه ، لان **دون** الكاف الاستعمارية هو اقل منها ، اي ناقص عنها ، ولكن ضلاله كان في حصره معنى (دون) في اقل وجهله انها تكون بمعنى (غير) . وسائر كلامه ساقط لا يحتاج الى جواب .

2 ـ واعتراضه على قولي (لعدم وجود اركانه) بقوله : (لان الوجود لا يعدم ، وانما الذي يعدم هو (الموجود) تنطع وتغلسفت عقيم .

قال في اللسان والقاموس : وجد من العدم فهو موجود . اه

وقال الراغب في غريب القرآن : وقال بعضهم : الموجودات ثلاثة اضرب ، موجود لا مبدأ له ولا منتهى ، وليس ذلك الا الباري تعالى ، وموجود له مبدأ ومنتهى ، كالناس في النشأة الاخيرة ، انتهى .

وقال الراغب ايضا : الوجود اضرب ، وجود باحدى الحواس الخمس ، نحو : وجدت زيدا ، ووجدت طعمه ، ووجدت صوته ، ووجدت خشونته ، ووجود بقوة الشهوة ، نحو وجدت الشبع ، ووجود بقوة الغضب : كوجود الحزن والسخط ، ووجود بالعقل او بواسطة العقل ، كمعرفة الله تعالى ، انتهى .

ومن ذلك تعلم ان وجود الشيء في نفسه هو ضد عدمه ، ووجود الناس له ، هو غير وجوده في نفسه ، فاذا نفينا وجوده فقلنا : لا وجود له ، انتفى باللازم وجود الناس له ، اي ادراكهم اياه .

واركان التشبيه في الكاف الاستعمارية لا وجود لها في نفسها ، ولا يدركها احد ، فوجود الناس لها معدوم ، ولعل المعترض لا يفهم هذا المعنى ، وهو متلهف الى الطعن ، فتوهم انه وجد مطعنا ، فارتد طعنه عليه في هذه كما وقع له في الاولى .

فلا تحفرن بئرا تريد بها اخا
فانك فيها انت من دونه تقع
كذاك الذي يبغي على الناس ظالما
تصبه على الرغم عواقب ما صنع

قوله : (ان الفصحاء لم يستعملوا كلمة (عدم) هذا الاستعمال) الخ ، دعوى بلا دليل ، رغم ومتى نصبك الفصحاء قاضيا ، ووضعوا زمام الفصاحة في يديك ؟ ووكلوا امرها اليك ، تثبتها لمن تشاء وتنفيها عمن تشاء ، الا يحق لي أن أتمثل في حكمك هذا بالشطر الاول من قول الشاعر العربي القح :

ما انت بالحكم الترضى حكومته

واما الشطر الثاني ، فاتركه تكرما .

3 ـ قال المعترض : وقد خالف الفصاحة العربية باستعماله جمع القلة المنكر (انفسا) مع ان مقتضى الحال يوجب استعمال النفوس) اعني جمع الكثرة ، فذوو الظلم كثيرون ، او كثير على الافصح . وانما قلت المنكر) لان المعرف (بال) او الاضافة من هذا الجمع يجوز ان يستعمل للكثرة . الخ

يا ايها الناس : اقرؤوا واسمعوا وتعجبوا من المعترض الذي يصدر الاحكام ، واحدا بعد واحد بدون دليل ولا برهان ، ولا استناد الى قاعدة ، ولا عزو الى امام ، فكأنه يظن ان القراء أطفال في المدرسة الابتدائية ، يتقبلون منه كلما حدثهم به . ودونكم ما قاله الائمة في جمع القلة وجمع الكثرة ، ونيابة احدهما عن الاخر وضعا او استعمالا .

قال الازهري في التصريح ج 2 ص 300 ما نصه : وله (اي لجمع التكسير الذي يتغير فيه بناء مفرده لفظا) سبعة وعشرون بناء ، منها اربعة موضوعة للعدد القليل ، وهو من الثلاثة الى العشرة ، بدخول العشرة على القول بدخول الغاية في المغيا ، ولو قال : وهو الثلاثة والعشرة وما بينهما لكان اولى ، وهي افعل ـ بضم العين ـ كأكلب ، جمع كلب ، وأفعال ، كأجمال بالجيم جمع جمل ، وافعلة ـ بكسر العين ، كاحمرة ، جمع حمار ، وفعلة بكسر الفاء وسكون العين ، كصبية جمع صبي ، وخصت هذه الاوزان الاربعة بالقلة ، لانها تصغر على لفظها نحو : اكيلب ، واجيمال ، واحيمرة ، وصبية ، بخلاف غيرها من الجموع ، فانها ترد الى واحدها في التصغير ، وتصغير الجمع يدل على التقليل ، واليها اشار الناظم بقوله :

افعلة افعل ثم فعله
ثمت افعال جموع قله

وليس من جموع القلة (فعل) بضم الفاء وفتح العين ، كغرف ، ولا فعل بكسر الفاء وفتح العين ، كنعم ، ولا فعلة ، بكسر الفاء وفتح العين ، كقردة خلافا للفراء .

وثلاثة وعشرون موضوعة للعدد الكثير ، وهو ما تجاوز العشرة . وقد يستغنى ببعض ابنية القلة عن بناء الكثرة وضعا او استعمالا ، اتكالا على القرينة . قاله في التسهيل .

قال الشاطبي : وحقيقة الوضع ان تكون العرب لم تضع احد البنائين استغناء عنه بالاخر ، والاستعمال ان تكون وضعتهما معا ، ولكنها استغنت في بعض المواضع عن احدهما بالاخر . انتهى

فالاول ، كارجل ، جمع رجل بسكون الجيم ، واعناق ، جمع عنق ، وافئدة جمع فؤاد ، قال الله تعالى: (5 — 6 وارجلكم الى الكعبين) (8 — 12 فاضربوا فوق الاعناق) (14 — 43 وافئدتهم هواء) فاستغنى فيها ببناء القلة عن بناء الكثرة ، لانها لم يستعمل لها بناء كثرة .

والثاني كاقلام جمع قلم،قال الله تعالى : (31—27 من شجرة اقلام) والمقام مقام مبالغة وتكثير قطعا ، وقد استعمل فيه وزن القلة ، مع انه سمع له وزن كثرة ، وهو قلام ، وقد يعكس ، فيستغنى ببعض ابنية الكثرة عن بناء القلة وضعا او استعمالا اتكالا على القرينة .

فالاول كرجال جمع رجل بضم الجيم ، وقلوب جمع قلب ، وصرد ان بكسر الصاد ، جمع صرد بضمها وفتح الراء ، اسما لطائر ، تقول : خمسة رجال بخمسة قلوب ، معهم خمسة صردان ، فيستغنى بجمع الكثرة عن جمع القلة لعدم وضعه .

وليس منه ، اي من هذا القسم ، وهو ما لم تضع العرب له بناء قلة ، ما مثل به الناظم وابنه من قولهم في جمع صفاة ، وهي الصخرة الملساء : صفي ، بضم الصاد وكسر الفاء وتشديد الياء ، لقولهم في جمع قلتها : اصفاء ، حكاه الجوهري وغيره ، بل هو من القسم الثاني ، وهو ما وضعت العرب له بناء قلة ، ولكنها استغنت ببناء الكثرة عنه كقوله تعالى : (2 — 227 يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء) ففسر ثلاثة بجمع الكثرة، مع وجود جمع القلة ، كقوله صلى الله عليه وسلم : دعى الصلاة ايام اقرائك ، وعلى ذلك يحمل قول الناظم :

وبعض ذي بكثرة وضعا يفي
كارجل والعكس جاء كالصفي

انتهى

وقد طالعت ما عندي من شروح الالفية كالاشموني بحاشية الصبان ، وابن عقيل بحاشية الخضري ، والفية ابن بنا بحاشيته ، فوجدتهم لا يختلفون فيما نقلته عن التصريح . واخترت كلامه ، لانه اوسع واوضح. ومنه تعلم ان ما زعمه المعترض من ان جمع القلة لا يستعمل في موضع جمع الكثرة الا اذا كان مضافا او معرفا بالالف واللام ، لا وجود له في كلام اولئك الاعلام، ومحال ان يهملوه لو كان ثابتا في القواعد الصحيحة المسلمة .

فنحن نطالبه بتصحيح النقل ، ان كان ناقلا ، وان لم يكن ناقلا ، فقد كذب على النحاة ، واخترع قاعدة من عندياته ، فان جاء بالنقل عن بعض علماء اللغة قابلنا نقله بتلك النقول ، وهي اكثر ، فيسقط نقله ، او يكون مرجوحا . ولو ثبتت القاعدة التي ادعاها ما اغنته شيئا، لان جمع القلة المنكر قد استعمل في موضوع جمع الكثرة في افصح الكلام وابلغه ، وهو كتاب الله . قال تعالى في سورة لقمان (27 ولو ان ما في الارض من شجرة **اقلام** ، والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ، ما نفذت كلمات الله) والمقام يقتضي استعمال جمع الكثرة، ومع ذلك ، عدل عنه الى التعبير بجمع القلة ، اكتفاء بالقرينة ، هذا مع ان القلم جمع كثرة على (قلام) .

قال ابن منظور في لسان العرب : القلم : الذي يكتب به ، والجمع اقلام وقلام . قال ابن بري : وجمع اقلام اقاليم . وانشد ابن الاعربي :

كانني حين آتيها لتخبرني
وما تبين لي شيئا بتكليم
صحيفة كتبت سرا الى رجل
لم يدر ما خط فيها بالاقاليم

وقال ايضا في مادة ط ل ح : وطلحة الطلحات : طلحة بن عبيد الله بن خلف الخزاعي . ثم نقل عن ابن الاعرابي في طلحة هذا انه : انما سمي طلحة الطلحات بسبب امه ، وهي صفية بنت الحارث بن طلحة بن ابي طلحة — زاد الازهري — ابن عبد مناف ، قال : واخوها ايضا طلحة بن الحارث ، فقد تكنفه هؤلاء الطلحات كما ترى ، وقبره بسجستان ، وفيه يقول ابن قيس الرقيات :

رحم الله اعظما دفنوها
بسجستان طلحة الطلحات

انتهى

قوله (اعظما) دفنوها ، يريد عظام طلحة الطلحات المذكور ، وهو من استعمال جمع القلة في موضع جمع الكثرة ، لان عظام الجسم كثيرة ، وجمع القلة يدل على تسعة او عشرة ، فأين ما زعمه المعترض من ان جمع القلة اذا كان نكرة لا يستعمل في موضع جمع الكثرة .

وقال تعالى في سورة القيامة (3 ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه) فعبر بجمع الكثرة ، لان عظام الانسان كثيرة ، وعبر الشاعر بجمع القلة لوجود القرينة الدالة على انه يريد الكثرة ، فما يقول المعترض في هذه النصوص القاطعة ؟ ، وهذه القواعد المحكمة ؟ .

قوله (وكانني بالدكتور ، وقد قرا هذا الاعتراض يلجأ الى (ثلاثة قروء) اقول في جوابه : انا لا الجأ الى ثلاثة قروء ، وانما تلجأ اليها النساء المطلقات ، واشباههن من الرجال الذين يقاتلون من وراء جدر ، وقد اقمت الدليل على بطلان ما ادعاه دون ان التجيء الى ما توهمه.

4 ـ قوله : فما معنى القنابل في اللغة العربية ؟ اقول في جوابه :

جاء شقيق عارضا رمحه
ان بني عمك فيهم رماح

* * *

ومن قدمته نفسه دون غيره
راى غيره التأخير ذاك التقدما

اتظن انه لا يعرف معنى القنابل والقنابر في الدنيا احد غيرك ، لقد كذبتك نفسك ، انا ما جاريت جهلة المترجمين ، بل انت جاريتهم ، واجلبت بخيلك العجاف، ورجلك الضعاف ، لتصحح اخطاءهم ، وتقف في طريق المصلحين الناصحين لقومهم ، لتكتسب بذلك شهرة ، وما نقلت عن اولئك المؤرخين ، ولم تسم احدا منهم من استعمالهم القنبر والقنابر ـ بالراء ـ لا يساوي عند علماء اللغة جناح بعوضة ، لانهم ليسوا من العرب ، وكلامهم ليس بحجة .

فالعرب لم تعرف هذه الاشياء المتفجرة التي تسمى في هذا الزمان (قنابل) وليس من واجباتها ان تضع لها لفظا ، بل ذلك من واجبتنا نحن ، وانت تعلم انه ليس للمتكلمين بالعربية دائرة معارف ، او موسوعة كما يسمونها ، متفق عليها تجمع شتات ما يحتاجون اليه من الكلمات التي حدثت بعد زمان العرب ، فليس امامنا الا طريقان لا ثالث لهما في ترجمة ما نحتاج اليه: اما ان نستعمل اللفظ الذي اصطلح عليه جماهير الكتاب والقراء ، ليكون كلامنا مفهوما عند قرائنا ، واما ان يخترع كل واحد منا ما يعجبه من الالفاظ ، فلا يفهمه احد سواه ، فكانه يكتب لنفسه، لا لقراء كتابه او مجلته، ولا شك ان الصواب هو اختيار الطريق الاول .

وما المانع لنا من ان نضع لفظ القنبلة ـ بفتح فسكون ففتح ـ الذي عبرت به العرب عن الطائفة من الناس ومن الخيل لما يسمى بالانجليزية (Bomb) وبالفرنسية (Bombe) ولا سيما وقد شاع استعمال هذا اللفظ بين المتكلمين بالعربية من عرب وغيرهم ، فيكون بالنسبة الى اهل زمننا يدل على المعنيين كليهما ؟

وما الذي يجعل لفظ (القنبر) اولى بالتعبير من القنبلة والقنبل ، هل عندك شاهد من القرآن او من كلام العرب الذين يحتج بكلامهم على صحة ما زعمت ؟ اما القنبر في لغة العرب ، فدونكم معناه ايها القراء الاعزاء .

قال ابن منظور في لسان العرب : والقبر ، والقبرة، والقنبر والقنبرة ، والقنبراء : طائر يشبه الحمرة . الجوهري : القبرة واحدة القبر ، وهو ضرب من الطير . قال طرفه وهو يصطاد هذا الطير في صباه .

يا لك من قبرة بمعمر
خلا لك الجو فبيضي واصفري
ونقري ما شئت ان تنقري
قد ذهب الصياد عنك فابشري
لا بد من اخذك يوما فاصبري انتهى

ومثله باختصار في القاموس ، وفي حياة الحيوان للدميري ما نصه : القبرة ـ بضم القاف وتشديد الباء الموحدة ، واحدة القبر . قال الجوهري : وقد جاء في الشعر (قنبرة) كما تقوله العامة . وقال البطليوسي في شرح ادب الكاتب : وقنبرة ايضا باثبات النون ، قال : وهي لغة فصيحة ، وهو ضرب من الطير يشبه الحمر . وكنية الذكر منه : ابو صابر ، وابو الهيثم ، والانثى : ام العلل ، وانشد ابيات طرفة المتقدمة . انتهى .

فظهر مما تقدم ان استعمال القنبر فيما يسميه الاوربيون (Bomb) ليس من اللغة العربية في قبيل ولا دبير .

واقول لك ايها المعترض الكريم : ان احتجاجك بكلام غير العرب باطل ، فالكلمة التي نبحث فيها لم تسمها العرب ، لا قنبرة ، ولا قنبلة ، ولنا ان نصطلح على تسميتها بما نشاء ، وليس ما يشتهيه بعضنا حجة على غيره .

وانا لا اعيب على المترجمين الا خطاهم فيما عرفته العرب وتكلمت به ، ومنعهم جهلهم من معرفته ، فعبروا عنه بعبارات فاسدة ، لا مستند لها . اما آلاف المحدثات من الاجرام والاعمال ، والآلات ، والمكتشفات ، فلا اتعرض لها ، اذ لا يستطيع ان ينشرها الا جماعة من العلماء اللغويين تنتخبهم الامة العربية ، وتتلقى ما يضعونه من الكلمات بالقبول والاستعمال ، ولا يستطيع شخص واحد ان يقوم بهذا العمل ، فدع المغالطة ، واستقم واقتصر على هذا القدر ، وموعدنا الجزء التالي ان شاء الله .

الدكتور تقي الدين الهلالي

حول الأوضاع اللغوية في دنيانا الحاضرة :

العربيّة واللّغاتُ العالمية

للاستاذ المهدي البرجالي

القضايا المهمة التي يطرحها التفكير فى تطور العربية وتمركزها كاداة تبادل فكري وتعبير عن الحياة والفكر ، هذه القضايا لاتنحصر فى المجال القومي للعربية، اي ضمن علاقتها الخاصة بابنائها داخل العالم العربي ، بل ان الامر – بهذا الشان – له ابعاد خارجية ايضا ، تتعلق بعلاقة العربية بالاقطار الاخرى غير العربية ، وخصوصا الاقطار الاسلامية العجمية ؛فهل للعربية اي حظ يعتد به فى هذا المضمار بالنسبة للمستقبل ؟ وما هي الآفاق المكنة لاحتمالات توسع لغوي عربي عبر العالم غير العربي ؟ ثم ما هي المكانة الحالية للعربية بين اللغات العالمية ؟ وماذا يمكن ان تصير اليه ؟

بينما كان العالم العربي – اواخر السنة المنصرمة – مشدودا كله الى الواجهة مع اسرائيل يتدبر نتائج التحركات العدوانية الاسرائيلية وتنشغل الافكار والاعصاب فيه بنتائج هذه التحركات ، وماذا تعنيه ، وماذا هو مترتب عنها – كان هناك نبأ صغير عنيت بايراده محطات الاذاعة والصحف ، ورغم ما اثاره من اهتمام ، فانه يجب ان يثير اكثر من ذلك ، ولا تصدنا الاحداث المصيرية فى الوطن العربي – كقضية اسرائيل – من تدبره ، واستخلاص ما يمكن استخلاصه منه من نتائج وعبر .

النبأ الصغير هذا يتعلق بقبول اليونسكو استعمال اللغة العربية كلغة معترف بها ؛ ودخول لغة الضاد هكذا الى مجال دولي ليس هناك – على ما يظهر – من يستهين باهمية الدخول اليه ؛ واذا وضعنا هذا الى جانب ما اتخذته جامعة الدول العربية من قرار يقضي على الوفود العربية فى هيئة الامم باستعمال العربية فى الخطب التي يلقيها المندوبون العرب فى حظيرة المنتظم العام ، يتبين لنا من كل هذا ، ان هناك اهتماما عربيا متزايدا بفسح المجال امام لغة الضاد ، كي تخرج من اطارها الاقليمي الخاص وتحقق قدرا من الاتصال مع العالم الخارجي اوسع مما كان واقعا لحد الآن من اتصال ؛ كما يتبين من هذا ايضا ، ان هناك قدرا من الاستجابة الدولية ، يمكن ان يحصل عليها العرب بهذا الشأن اذا آمنوا – اولا – بامكانية العمل على التعريف بلغتهم لدى العالم الخارجي ، والحوا على ذلك – بكل الوسائل التي تلح بها اللغات الاخرى على مختلف شعوب الارض ، لتخلق عند الاجانب دافعا ما ، يحملهم على التعرف عليها ، او السماع بها على الاقل – او حتى مجرد الشعور عند هؤلاء الاجانب ، بوجود لغة تدعى كذا او كذا ، لها ادب تعبر عنه ، وثقافة تحتويها ، ومنافذ اتصال بينها ، وبين غيرها من اللغات الحية ، عبر آفاق الثقافة والعلم والحضارة ؛ وليس من ضرورة لافاضة القول فى الدوافع الادبية التي توجب

على اللغات الحية الكبيرة السعي الحثيث الذي يبذله ابناؤها للتعريف بهذه اللغات ، وتقريبها لاذهان الاجانب عنها ؛ فالاهداف التي تدفع لذلك واضحة لدرجة كبيرة ، ولا تتجلى قيمة هذه الاهداف فى مجال معنوي ، كاكتساب تقدير الاجانب للغة ما ، فيدعوهم الحال — بالنتيجة — الى تقدير الثقافة التي تعبر عنها هذه اللغة ، وتقدير الامة التي صنعت هذه الثقافة ونسجت خيوطها ؛ ان هذا التقدير — اذا اكتسبته امة ما عن طريق لغتها وثقافتها الخاصة ، فهو كسب معنوي لا تخفى اهميته ؛ غير ان ثمة مكاسب اخرى يحصل عليها من انتشار لغة من اللغات فى العالم ، لفائدة الامة التي تنتمي اليها هذه اللغة المنتشرة ؛ وهذه المكاسب — فضلا عما تحمله من قيمة معنوية كذلك — فهي تؤدي فى نفس الوقت الى الحصول على منافع عملية ، تخلقها خلقا ، او توسع من نطاقها اذا كانت موجودة من قبل ، لاسباب اخرى غير السبب اللغوي ، والمقصود بهذه المكاسب ، المكاسب التجارية والسياسية والاجتماعية وغيرها ؛ فالامة التي يوجد لها لسان منتشر فى الارض ، فان منتجاتها الثقافية — من كتب واشرطة وغيرها — تجد مجالا للرواج التجاري اكثر ، بحيث لا تبقى هذه المنتجات محصورة بين جدران سوق محلية ضيقة ، وانما تجد اسواقا اخرى للرواج اوسع بكثير من السوق المحلية ، حيث تتناسب هذه السعة مع مقدار ما هو متحقق للغة المؤلفات والاشرطة والصحف المصدرة الى الخارج — من انتشار بين شعوب الارض ؛ ومن المكاسب السياسية والاجتماعية بهذا الشان ، ما يترتب على انتشار لغة ما خارج حدودها القومية — من توثيق روابط عاطفية وفكرية وغيرها بين الامة التي تنتسب اليها هذه اللغة المنتشرة ، وبين الشعوب الاخرى التي الم ابناؤها بقدر من هذه اللغة الاجنبية المنتشرة بينهم ، وتشبعوا بنفحات من آدابها وفنونها المختلفة ، وانطبعت نفوسهم على ذلك بعض الانطباع ! ان النتائج السياسية والاجتماعية لمثل هذا التواصل اللغوي بين الشعوب، قد تكون فى بعض الاحيان — ذات اهمية كبيرة ؛ والرابطة التي تتمثل صورتها فى الكومونولث البريطاني الجامع بين شعوب اوربية وآسيوية وافريقية واوقيانوسية وغيرها — هذه الرابطة يمكن الاستدلال بها فى هذا المقام ، كمثال ذي شان ؛ فنحن ندرك سلفا ان المصالح الاقتصادية بالدرجة الاولى — تلعب — بحق — الدور الرئيسي فى استمرار الكومونولث ونموه المطرد ، غير ان الجامعة اللغوية الانجليزية ، وما تصوغه من احوال تفكير مشتركة — لها نصيبها الكبير فى الامر، خصوصا بالنسبة لبعض الدول الاعضاء ، التي ليس لها من لغة رسمية وذات اعتبار قومي الا اللغة الانجليزية (اوستراليا مثلا) وقريب من هذا ، حالة التقارب الفكري الدائم الذي هو حاصل بصورة مستمرة بين الولايات المتحدة ، والمملكة المتحدة ، وهو تقارب ليس حاصلا اي مثيل له بين دولة واخرى بين دول ضفتي المحيط الاطلسي ؛ وضروري التسليم بان عوامل كثيرة غير العامل اللغوي لها شان مهم فى خلق حالة التناسق الفكري البريطاني الامريكي فى عدة ميادين الا ان مؤثرات العامل اللغوي فى تكوين نظرة مشتركة، واحساسات مشتركة بين الجانبين هي مما لا يمكن اغفاله ؛ وعلى الرغم مما تتيحه الانجليزية من روابط لغوية واسعة المدى بين بريطانيا وعدد كبير من الدول الاخرى فى مختلف القارات ، الامر الذي لا يتهيأ للغة اخرى فى الارض غير اللغة الانجليزية — على الرغم من ذلك ، فانك واجد الانجليز شديدي الكلف بفسح مزيد من المجالات لنشر لغتهم ، وافتتاح كل ما يمكن من الآفاق لانتشارها ، وكأنهم يبتغون من ذلك ان تصبح اللغة الاولي فى كل اقطار العالم ؛ ولا يقل اهتمام الفرنسيين والروس وغيرهم بهذا الامر عن اهتمام الانجليز ؛ ومن المنتظر ان يزداد التسابق اللغوي فى العالم هكذا ، ويتسع نطاقه ، نظرا لارتباط الامر — فى نظر كل دولة — بمصالحها الحيوية فى التوسع المعنوي زيادة على ما تحرص عليه من توسع مادي ، ونظرا ايضا الى تطور رسالة الاعلام فى هذا العصر ، واستيعابها للاعتبارات التي تقوم عليها معركة الثقافات والمدنيات فى القرن الحالي ؛ ومن خلال النظر فى الموضوع بهذا المنظار ، تتبين سعة النطاق الذي تقوم فيه المسالة اللغوية فى العصر الحديث ، وتتبين فى نفس الوقت ، الظروف التي يخلقها كل ذلك حول لغتنا كلغة لها ارتباطات عالمية ، والمقتضيات التي يفرضها الحال ، لكي يستطاع الحفاظ على هذه الارتباطات العالمية المتعلقة بلغتنا ، وتنميتها كل ما امكن ، ومجاراة السباق اللغوي العالمي ان جاز ان تكون لنا قدرة على هذا السباق وامكانيات للتفكير فيه .

* * *

على اي اساس امكن للغة العربية ان تحقق هذا التقدم البسيط فى المجال الدولي عن طريق اليونيسكو، وتفرض هذا القدر من الاعتبار لها . وان كان يبدو محدود الاهمية بدرجة كبيرة ؟

ان هناك اسبابا موضوعية كان من شأنها ان تتيح للغـة الضاد مثل هذا الاعتبـار منذ وقت بعيد ، لولا ان العرب كانوا باكثريتهم فى غيبة عن المجتمع الدولـي الفعال النشيط ، خـلال الربع قـرن الاول ، وكانت عنايتهم بحركاتهم التحررية اكثر من اهتمامهم ، بالبحث عن وضعية منطقية للغتهم فى العالم الدولي .

1) هناك القيمة الذاتية للغة الضاد ، كلغة تعبيـر حضاري اصيل ، ترتبط اهميتها من هذه الناحيـة بالماضي وبالحاضـر .

2) هناك ايضا القيمة العددية للمتكلمين بها مـن المحيط الى الخليج ، وما ينتظر لهم من دور يؤدونه فى حياة العالم المتحضـر .

3) هناك الاعتبار الكبير الذي للغة العربية فـي قطاع دولي كبير كقطاع العالم الاسلامي باعتبارها لغـة روحية حية بالنسـبة للملايـين من الناس فى آسيـا وافريقية غير العربية ، وان كانوا لا يعرفونها معرفـة كافية ، ثم بصفتها كذلك لغة ثقافة دينية ، ووعاء تراث فكري ، يمتد عبر القرون الخوالي . كل هذا بالنسبة للآخذين بالثقافة الدينية ، وما فى حكمها بين المسلمين غيـر العـرب .

اعتبارات من هذا المعنى ، تفرض بطبيعتها اعطاء مجال مـا للغة العربية على الصعيد الدولي الرسمـي، وتجعل عدم اعطائها هذا المجال بمثابـة شيء يختلف ــ على اي حال ــ مع ما يقتضيه المنطق ، اذا رأينـا المنطق من بعض الجوانب المعينة ؛ ان الامر هنا لايشكل فى الحقيقة حالة ، هي عبارة عن حتميـة اساسية او ضرورة منطقيـة لا تتخلف ، فليس ضروريا دائمـا ــ بالنسبة للغة ، لها مجال قومي واسع ، تنتشر فيه ، كحالة اللغة العربية التي يتسع لها العالـم العربـي الضخم الشاسع ــ نقـول ــ ليس ضروريا دائمـا بالنسـبة لمثل هذه اللغة ان تفرض وضعا رسميا لها فى العالم الدولي ، فاللغة الالمانية ، التي ينتسب لها عشرات الملايين ، واللغة الصينية التي يستعملها نحـو خمس سكان الكوكب الارضي ، هما ايضا محدودتا الاستعمال ــ دوليا ــ على الرغم من ضخامة المجال القومي الذي تستعملان فيه كلغة قومية لعشرات الملايين بالنسـبة للاولى ، ولمـآت الملايين بالنسـبة للثانية ؛ وهكذا الامر ايضا بالقياس لليابانية ، والاوردية والبنغالية وغيرها من اللغات التي يتحدث بها عشرات الملايين ؛ هذا من ناحية واقعية ، وحتى من الوجهة النظرية ، لا شـيء يفرض بالضرورة ، ان يكون هناك تلازم بين حجم الامة التي تنتمي اليها لغة من اللغـات ، وحظوظ الاعتراف بها كلغة عالمية ، وذات وزن معتبر فى المجتمع الدولي ؛ ان الامر اذن ــ نقر به ــ ليس ضرورة حتمية ، ولكنه مع ذلك امر منطقي الوقوع ، منطقي ان ينشأ عن حالة وجود مجال قومي عظيم ، تستعمل فيه لغة من اللغات كأداة حية للتفاهم ، وتبادل الافكار ، منطقـي ان تنشأ عن ذلك حظوظ لمثل هذه اللغة فى اكتساب اعتبار على الصعيد الدولي يتناسب مع اهمية مجال انتشارهـا القومي . اما من حيث العدد ، او بالنظـر لاعتبارات اخرى ؛ والمثال الذي اتينا به عن الصينية يعزز هـذا المعنى ، فقد لاحظنا ان الصينية محدودة الاستعمـال دوليا رغم ضخامة المجال القومي المستعملة فيه . لكن ليس معنى هذا ان سعة انتشارها القومي على هـذا النحو الواسع ، لم يفدها بشيء من ناحية دولية ، فنحن ندرك ان الصينية هي احدى اللغات الخمس الرسمية فى الامم المتحدة ، تبعا لرسمية عضوية الدول الخمس فى مجلس الامن ؛ ولم تكتسب الصينية هذا الاعتبـار، الا لسبب واحد ، وهو ضخامة المجال القومي المستعملة فيه . على الرغم من ان رسمية اللغة الصينية فى الامم المتحدة ، لايعني انها ذات قيمة استعمـال دولـي كالانجليزية والفرنسية مثلا ؛ وقد يعترض حول هذه المسألة بالقول ان عدد المتكلمين بالعربية مثلا ، لايتجاوز واحدا الى سبعة ، بالنسبة الى الذين تنتسب اليهـم الصينية كلغة قومية ، ومن ثم ، فلا معنى لمقارنة العربية بالصينية من هذه الناحية ؛ وهذا صحيح الى مـدى واسع ، بيد ان هناك ــ بهذا الخصوص ــ عاملا له شأن لاتنكر قيمته ، وهو ان العربية ــ اذا لم يكـن الذيـن ينتسبون لها كثيري العدد ، كالصينية والهندستانية ، فان الاقطار التي تسود فيها هذه اللغة ــ اقطار العالم العربي ــ لها من امتداد الاراضي على قارتين ، ومجاورة مواقع العالم الحساسة (مواجهة اوربـا ــ الاشراف على العالم الاطلسي غربا ، والمحيط الهندي شرقـا ، وعلى العالم الايراني ــ الهنـدي من خـلال ذلك ــ الاشراف على امتداد القارة الافريقية من الغرب الـى الشرق وعلى امتداد فريقيا الشرقية من ناحية البحر الاحمر ــ متاخمة آسيـا الصغرى الى غيـر ذلك) نقول ــ للغة العربية من هذه الميزات «القومية» شأن عظيم ، فهذا الامتداد العربي عبر القارات والمحيطـات المهمة فى العالم ، وهذه الحساسية الموقعية ، والضخامة الترابية التي تتميز بها البلاد العربية من شأنهـا ان تمنح الوجود العربي اهمية ذات شأو كبير فى العالـم الدولي المعاصر ، يماثل الاهمية التي تضفيها على بعض

بلدان آسيا ضخامة حجمها الديموغرافي وما يتوفر فيها من مورد انساني ضخم .

ولسنا مبتغين من هذا ، مقارنة اقتصادية وما في نوعها ، ولكننا مبتغون فقط الاشارة الى انه اذا كانت بعض اللغات الآسيوية الكبرى ، قد نالت مكانة دولية ، معترفا بها ، بسبب ضخامة الحجم الانساني الذي ينطق بهذه اللغة كلغة قومية له ، فانه يتوافر للعربية — هي بدورها — مجال قومي مهم ، تروج فيه ، وان كان العرب اقل عددا بكثير من الامم الاسيوية الكبرى التي يعد سكانها بمآت الملايين ؛ والمعترف للبعض منها بلغته دوليا نتيجة لذلك ؛ ان المماثلة هنا ممكنة بوجه من الوجوه ، غير انه ليس من اللازم ان تقدر — بهذا الصدد — ان اعطاء اليونيسكو مجالا ما للعربية في حظيرتها ، كان نتيجة لاهمية الموقع العربي في العالم ، او لاجل ضخامة الحجم الانساني ، الناطق بالعربية . وان كان من الجائز جدا ان يكون لهذه الاعتبارات اثر في الامر ، غير ان الاثر الذي يبدو ذا اهمية في الموضوع اكثر ، فهو صفة العربية — اولا — كلغة حضارة عريقة، وذات اتصال فعال بواقع انساني حي موجود ، واقع عربي آسيوي وواقع عربي افريقي يتجه حتميا نحو استكمال شخصية حضارية فريدة ، تعتبر من اهم حلقات التواصل بين حضارة العالم الشرقية والغربية (واليونيسكو وهي — قبل كل شيء — منظمة ثقافية وحضارية على مستوى العالم — لم يكن لها لتتجاهل — الى ما لا نهاية — هذه الحقيقة الثقافة — الحضارية الانسانية ، المتمثلة في وجود لغة كبيرة كالعربية ، وما تمثله من قيم فكرية ذات اصالة ، هذه القيم التي يبدو معقولا وضروريا جدا ان تجد مجالا لها في حظيرة اليونيسكو وهي ملتقى الثقافات الانسانية في عالمنا الحاضر ، انه في امكان المرء أن يدعي بهذا الشان ان العربية اكثر من العرب انفسهم ، قد عبرت عن وجودها .. بهذه الصورة المحدودة في العالم الثقافي الدولي ، كما الفت ان تعبر عن وجودها في اي عصر من عصور الحضارة الانسانية ، على امتداد القرون؛ على ان اطلاق القول هكذا لايجب ان يشير الى ان دور الجيل العربي المعاصر ، دور سلبي لا يؤبه له ، اطلاقا ، فالحقيقة ان نوازع التفتح العربي على العالم، والاتصالات الفكرية المجدية بين العرب وغيرهم من الشعوب ، ثم التطورات الفكرية والتعبيرية التي حققها العرب المعاصرون ، ثم الجهود العربية للتعريف بلغة الضاد ، وافتتاح آفاق لها خارج البلاد العربية ؛ كل هذا وما في معناه لابد ان يكون تاثيره ذا اهمية تذكر فيما حققته العربية لنفسها اليوم ، من اعتبار معنوي خارج العالم العربي . لكن القيمة التاريخية والحضارية لهذه اللغة تلعب في هذا المجال دورا هو — كما اسلفنا — اهم بكثير ، ومن شانه ان يمنح لغة الضاد قيمة بارزة على صعيد جميع الهيآت الثقافية في العالم كاليونيسكو وغيرها ، واستمرار تجاهل العربية في هيآت ومنظمات من هذا القبيل ليس معناه الا انه تجاهل لمعقولية رئيسية لا ينبغي تجاهلها باي حال .

* * *

ناتي بعد كل هذا ، الى الحالة التي عليها العربية اليوم بالنسبة الى العالم غير العربي وهنا يجب ان نضع في حسابنا ملاحظتين ، تطفران — بالضرورة — امام من ينظر في هذا الامر ، الملاحظة الاولى : ان دعوانا ان العربية قد حققت — باعتراف اليونيسكو بها — خطوة دولية محدودة ، هذه الدعوى لا يجب ان تنسينا ان العربية لم تصبح بهذا في مصف اللغة الصينية التي هي — كالعربية — لغة شرقية عتيقة ، وذات مشاكل ذاتية اكثر من العربية بقدر كبير ، ومع ذلك ، فهي لغة رسمية معترف بها في مجلس الامن التابع للامم المتحدة ، ولها بذلك نفس الاعتبار — مبدئيا — الذي للفرنسية والانجليزية والروسية والاسبانية ، وقد حاولنا — من قبل — تعليل اعطاء الصينية اعتبارا في الامم المتحدة ، بصفة انها لغة خمس سكان العالم ، ولكن عقبنا على ذلك ، ان المحيط القومي الذي تروج فيه العربية — وهو العالم العربي — وان كان محدودا من الناحية البشرية ، الى انه محيط عظيم من الناحية الجغرافية والحضارية والفكرية ؛ الامر الذي يبرر ما نالته العربية من اعتبار محدود في اليونيسكو وفي اية منظمة مماثلة ؛ الا ان هذا الاعتبار الذي تفرضه العربية لنفسها في المجال الدولي ، لايمكن ان يصل — في تقدير الكثيرين — الى درجة اعطائها اية صفة رسمية — ولو محدودة جدا — في مجلس الامن ، لان الاسباب التي منحت اللغات الاخرى صفتها الرسمية في ذلك المجلس ، ليست موفورة بصورة كافية في العربية ؛ ولا اخال ان هناك من الاجانب عن العربية كثيرين ممن يقتنعون بوجاهة الفكرة التي سيقت — بهذا الشان — والقائلة بان المحيط القومي العربي يوازي باهميته الجغرافية والحضارية والفكرية ، الاهمية التي للمحيط القومي الصيني الشامل لنحو خمس سكان العالم . وقد تدلي بالقول معترضا ان هناك لغات اوربية ذات اعتبار كبير في الامم المتحدة ، ومحيطها القومي محدود جدا بصورة اقل من المحيط

العربي بكثير ؛ ولكن لا بد ان تجاب على ذلك ، ان مثل هذه اللغات ، هي ذات انتشار عالمي واسع ؛ واستعمالها يتم على نطاق دولي شامل للحياة السياسية والتجارية والثقافية العالمية ؛ وليس للعربية مثل هذه الظروف المعززة لها في المحيط العالمي على الرغم من معرفة الكثيرين بها في العالم الاسلامي غير العربي ، وهي معرفة ضيقة ومحصورة في نطاق خاص لا يمس الحياة العامة عند المسلمين غير العرب ، بالصورة المتوفرة للغات الاوربية الكبرى في العالم .

وهذا ما يقودنا الى النقطة الثانية في الموضوع ، وهي انه اذا كان يعني العرب ان تصبح لغتهم ذات مقام عالمي يعتد به ، فان مجرد اعتراف اليونيسكو او حتى مجلس الامن بها لا يزيد في الامر كثيرا ولا ينقص ؛ فلو فرضنا ان العربية اصبحت — نظريا — كلغة رسمية في جميع المحافل الدولية ، فماذا يجدي ذلك ، اذا كان لا يوجد من يتحدث بها او يفهمها في هذه المحافل الدولية ، الا العرب والعرب وحدهم ، وربما يوجد في احوال قليلة من يفهمها من بين المندوبين المسلمين ، من غير العرب ؛ ان القضية الكبرى في هذا المجال ، لاتنحصر — كما تلاحظ — في مجرد ان تضفي الدول الاخرى اعتبارا معنويا على لغتنا ، وتضعها — نظريا — في مصف اللغات الجديرة بالتقدير ، لان هذا الاعتبار سيبقى — بالضرورة اعتبارا اكاديميا مجردا ، له قيمته في حد نفسه ، ولكنه ليس مؤديا الى شيء يؤبه له عمليا .

ولا بد ان يفرض السؤال نفسه علينا في هذه الحالة : هل نقصد مما سقناه ان يصبح للعربية مجال استعمال واسع في العالم الدولي ، حتى نستطيع حينئذ الاطمئنان على مستقبلها كلغة ربما تصير ذات صفة رسمية في المحافل الدولية ؟

الواقع ان تلازما من هذا القبيل يشكل — في حد ذاته — حقيقة منطقية لاسبيل للمجادلة فيها ؛ فبقدر ما يكون موفورا للغة من اللغات مجال استعمال متوسع في المجتمع الدولي ، بقدر ما تضمن هذه اللغة لنفسها اعتبارا قويا لدى دول العالم الاخرى ، مما قد يحمل هذه الدول على الاقرار لهذه اللغة بصفتها الدولية العملية ، وبحملهم على فسح المجال امامها لتستعمل على نطاق واسع في الحياة الدولية العامة .

لكن يتبقى علينا ان نغضي عن هذا التلازم المنطقي لنعير اهتمامنا للحقائق الواقعية التي تحيط بالموضوع؛ فليس لامريء ان يبلغ به الخيال درجة ان يعتقد بامكانيات تحقيق انتشار لغوي عربي سريع على مستوى العالم ، اكثر مما هو حاصل الآن ؛ فتحقيق مثل هذا الانتشار مرهون بعدة امكانيات عظيمة جدا لايتوافر للعرب منها شيء هام في الوقت الحاضر ، مضافا الى ذلك ، ان ما تنعم به اللغات الغربية الكبرى من مركز عالمي ناتج عن استعمالها على اوسع نطاق في شتى انحاء العالم ، انما يرجع في عدة حيثيات — الى ظروف تاريخية خاصة لاتتكرر دائما ، هذه الظروف هي ظروف الانتشار الاوربي عبر العالم خلال القرون الاخيرة ، في نفس الوقت الذي كانت فيه اللغات والحضارات الاخرى في حالة خدر شامل ، وكان كثير من الشعوب الافريقية وغيرها ، منحصرا في قوقعة لغوية محلية ، انقطعت صلتها بالعالم الخارجي لمدى قرون ، وتضاءلت ممكناتها الحضارية لاحقاب عدة ، فصارت عبارة عن لهجات ضيقة وبسيطة ، الامر الذي فسح السبيل امام اللغات الغربية بافريقيا السوداء ، ولا تزال القضية قائمة الى اليوم ، باعتبارها مشكلة ثقافية وحضارية تواجهها افريقيا الزنجية باستمرار.

هذه الظروف التاريخية المشار اليها مما اكسب اللغات الغربية الكبرى مجال نفوذها العالمي الحالي لم تعد متوافرة بالصورة التي كانت عليها من قبل ؛ بل يوجد اليوم في افريقيا وغيرها ، وعي لغوي ملحوظ يرتبط بالوعي الحضاري القومي الذي يجتاح كثيرا من مناطق العالم الثالث . ومن نتائج هذا الوعي ، اتجاه قوي موجود يرمي الى احياء اللغات القومية الكبرى في افريقيا وغيرها وترميمها بما يمكن من جعلها في المستقبل ادوات بديلة للغات الغربية المسيطرة ؛ وفي نطاق ظروف من هذا القبيل يبدو من اللامعقول — بقدر ما — ان يستهدف اصحاب لغة من اللغات مهما كانت قيمتها القديمة والحضارية ، صنع مجال انتشار عالمي للغتهم بحجة كونها لغة راقية ، او بغير ذلك مما يتعلل به في هذا المجال ، غير ان هذا مما لايقنعنا بوجود القناعة بما عليه العربية اليوم من انتشار محدود في المجال القومي العربي لان انحصار العربية في النطاق العربي الخاص ، لا يتيح لها امكانيات دولية واسعة ، على الرغم من اهمية العالم العربي في حد ذاته . ثم ان هناك في عصرنا الحاضر سياسات متبعة بتدقيق في مضمار التوسع اللغوي عبر العالم ، ينهجها عدد من الدول التي تنتسب اليها لغات عالمية كبرى . فللروسية والفرنسية والانجليزية وغيرها ، سياسات توسع بعيد الافق ، تستهدف تحقيق مزيد من التعريف ، بمثل هذه اللغات ، واضافة شخص

آخر الى بقية الملايين التي تلم بهـذه اللغات قليلا او كثيرا في شتى بقاع المعمور ؛ وليس ما يمنع العرب من ناحية نظرية ، من ان تكون لهم هم الآخرون ، سياسة اشعاع لغوي عبر العالم ، تستخدم فيها الوسائل العصرية التي تتبع في تنفيذ مقتضيات التوسع اللغوي بالنسبة الى اللغات الاخرى التي هي بصدد تحقيق هذا التوسع فعلا ؛ وهناك بهذا الشان ، العوامل المساعدة التي توجد بجانب العربية في هذا المضمار ؛ ومن بين هذه العوامل المساعدة : الرابط الديني والحضاري والعقلي والجغرافي وغيره ، الموجود بين العرب ومعظم الشعوب الآسيوية الافريقية ، لا سيما وبعض هذه الاقطار قد اخذ يبحث عن اساس لغوي راق غير اوربي ، يتخذه كوعاء للتعبير عن ثقافته الجديدة ، وتطلعاته الحضارية المستقبلة ؛ فهل تجد العربية اي حظ في تحقيق نوع من الانتشار ضمن هذه الظروف المرحلية ، التي يجتازها العالم الاسلامي ، والعالم الافريقي الآسيوي عموما ؟ اننا نلحظ بعض المبادرات الملفتة للنظر تتخذها بهذا الشان — بعض الدول الاسلامية غير العربية ؛ نلحظ ما تقدم عليه بعض الاقطار من هذا القبيل من اقرار العربية في مضمار التعليم عندها كلغة ثانية ، كما نلحظ كذلك حالة من الاهتمام بالعربية على مستوى الجامعات واوساط الفكر والثقافة بهذه الدول ، ونعلم ان عددا من الدول الاسلامية لا تزال تعتمد الحروف العربية ، كابجدية قومية لها تكتب بها لغاتها الخاصة ؛ كل هذه احوال ومبادرات قد نعتبرها — نحن العرب — حظوظا ايجابية للغتنا فيما تبتغيه لها من انتشار خارج حدودنا العربية الخاصة ؛ ومن غير تنقيص من هذه العوامل المساعدة ، فانه لابد لنا كذلك ان ندرك عمق المصاعب التي تعترض انتشار لغتنا في العالم الخارجي مع التاكيد على ان الانتشار الذي نقصده ، لايراد به شيء سوى ان تجد اللغة العربية مجرد مجال متواضع للتعرف عليها ، والاطلاع على بعض نواحي ادبها وثقافتها عند الشعوب الاخرى ؛ وفي ذلك تمهيدا لها — لكي تكتسب في الامد البعيد — مكانة ما ، على الصعيد العالمي ، تتناسب مع قيمتها الذاتية كلغة ، ومع اهمية الفكر والحضارة اللذين عبرت عنهما في الماضي ، وتعبر عن حالة انبعاثهما وتجديدهما في الحاضر .

* * *

ما هي المصاعب التي تعترض العربية الحديثة ؟ وماذا تفرضه هذه المصاعب علينا من تبعات ، بالنظر الى مبدأ انتشار العربية خارج العالم العربي ؟

يجب التنبيه — اولا — الى ما يراد بالمصاعب هنا؛ لان لها ظرفا خاصا يجعل منها مصاعب شائكة ، والظرف الذي نقصد هنا ، يتمثل في حالة العلائق الحالية بين العربية والشعوب الاجنبية عنها ، بما فيها الشعوب الاسلامية غير العربية ؛ ففي هذا الظرف بالاخص ، تبدو مصاعب العربية اكثر ما يمكن ، وتبدو هذه المشاكل كاقوى عامل يحول بين لغة الضاد ، وبين امتدادها عبر العالم الخارجي على نحو ما نطمح اليه . ان امامنا بهذا الخصوص حالتان ، لاثالث لهما ؛ فاما ان نستمر على استبقاء هذه اللغة خاصة بنا نحن العرب ، لايعرف عنها من الشعوب الاخرى الا عدد قليل جدا ، من رجال الاستشراق وعلماء الدين في الاقطار الاسلامية العجمية . وفي هذه الحالة يحق لنا ان نعتبر مصاعب العربية ، اهون حالا ، لان العقلية العربية متعودة على هذه اللغة بالفطرة ؛ وقد يقع الكثيرون من المتعلمين العرب في اللحن الفادح ولكنهم مع ذلك يتذوقون اساليب اللغة ويهضمونها بقدر كبير، بل وينتجون بها كذلك ؛ لان البيئة بيئة عربية ، تتضافر فيها شتى العوامل على اكساب الفرد قدرة على هضم الطريقة العربية في التفكير والتعبير ، وتمثيل ذلك بصور تقل او تكثر . اما اذا كان همنا ، ان نصطنع للضاد مجالا ما خارج العالم العربي ، لكي تتعرف اعداد كثيرة من الناس غير العرب على الفكر العربي والحضارة العربية عن طريق اللغة العربية ذاتها ؛ وحتى اذا كان مقصدنا محدودا اكثر من ذلك ، بحيث لانبتغي للعربية خارج العالم العربي الا ان يتعرف عليها افراد عاديون من الاجانب ، ليلموا بها الماما عاديا ، يمكنهم من التفاهم بها ، اذا دعت الحاجة الى تفاهم بها في ظرف من الظروف ؛ اذا كان من اهتماماتنا شيء من ذلك ، فليس لنا من مناص من الشعور شعورا عميقا بمصاعب العربية ، من هذه الناحية ، والاقتناع بان هذه المصاعب لاتساعد لغتنا على اكتساب مكانة ما ذات اهمية في خارج الوطن العربي على الرغم مما قد تغري به بعض الاجانب ، ان يقبلوا عليها ، نتيجة لازدياد اهمية العرب في المستقبل من ناحية سياسية او حضارية او غير ذلك ؛ ومن ابرز هذه المصاعب :

1) ما يتعلق بالاسلوب العربي بما يندرج فيه من عناصر نحوية وتركيبية وما في حكم ذلك ؛ لانقصد بذلك ضرورة استبدال النحو العربي بغيره ، او اصطناع طرق للتعبير بالعربية تناقض في الصميم روح اللغة التي تعبر عن التراث ، وحتى لو شئنا ذلك، لما امكننا لا مبدئيا ولا عمليا ؛ لان اسلوبنا العربي يرتبط

بكل مقومات شخصيتنا الحضارية والتراث الادبي والفني الذي يرتكز عليه تاريخنا في مضمار الحضارة ، الا ان ذلك لايمنع من جهة اخرى من محاولة تبسيط عناصر الجملة العربية وجعلها اكثر قربا للاذهان — معتبرين كمقياس ، اذهان غير المختصين من عامة الطلبة وسواد الناس ، ثم واضعين كذلك في الاعتبار ، مبدأ نشر العربية خارج العالم العربي بما يقتضيه ذلك من تقريبها لاذهان الاجانب ، ولا يتم هذا التقريب الا بجعل الاسلوب العربي اقل اعناتا للذهن كثمن لفهم ما يقرأ بالعربية ؛ والمسألة هنا — كما ذكرنا — مسألة عجز عند الاجانب عن استيعاب كل مقومات الذوق العربي ، الذي يقوم عندنا — نحن العرب — كاساس جوهري في قدرتنا على فهم العربية وادراك منطلقات وابعاد الجملة العربية . وهذا الذوق لاننتظر منه ان يكون متوفرا بالضرورة عند الاجانب ، لكي يلموا باصول القدرة على هضم الاسلوب العربي في التعبير ؛ ولا ينكر ما لهذا الامر من خطورة آتية من وجود الجيل العربي الحالي بين هاتين الضرورتين الاساسيتين: الحفاظ على روح العربية وجوهريتها الاصيلة ، وفي نفس الوقت اعطاء منطلقات عملية لها لمجاراة حركات التوسع اللغوي عبر العالم ، واكتساب مجالات نفوذ تسعى اليها كل لغة عظيمة وراقية ؛ ومنذ اوائل هذا القرن وقبله ، والفكر العربي متأرجح بين شتى الاختيارات من هذا القبيل . وكان من نتيجة ذلك ان حققت العربية تطورات مهمة في معجمها واساليبها التعبيرية ، ومضامينها الفكرية ، الا ان كل ذلك ، لم يصل الى التخفيف من كثافة الحجاب الذي يفصلها عن بقية المناطق الاخرى في العالم غير العربي ، بل ان نقائص عظيمة جدا ، تعانيها العربية بالنسبة الينا نحن العرب ايضا ، فالاجتهاد الشخصي لا يزال قاعدة جاري بها العمل في ايجاد مقابل للالفاظ الاعجمية ؛ ولا يوجد هناك قدر يفي بالمرام من المعاجم الحديثة التي تتميز فيها مدلولات الالفاظ القديمة بالتحديد الدقيق كما في اية لغة اخرى ؛ ثم ان السباق بين ما ينتج من مصطلحات حديثة ، وما يجد من مصطلحات اخرى في العالم ، لا حد لها ، هذا السباق لايزال يربك الحياة اللغوية العربية الحديثة ، ويبقي على « الازمة » قائمة لان مجاراتنا لمقتضيات السباق لا تتم دائما بالصورة المطلوبة ؛ مضافا الى ذلك ، ان القوائم العديدة من المصطلحات التي تولد — وان كانت تضخم هيكل المعجم العربي — الا انها لاتعيش في حياة الناس الا بقدر ضئيل جدا ، مع اختلاف الكتاب والعلماء في استعمالها اختلافا كبيرا .

واذا وضعنا الى ذلك في الاعتبار ، مشاكل الازدواجية الناشئة عن وجود الفصحى والعامية ، كل منهما يتطور في غيبة عن الآخر ، بل وربما يتطور تطورا مناقضا للآخر . اذا وضعنا كل هذا في الحسبان ، فاننا نجد حينئذ ، ان امام الجيل العربي الحاضر ، الكثير مما يجب ان يقوم به لخلق حظوظ للعربية في الانتشار على مستوى العالم الخارجي اذ ان هذا الانتشار يتوقف — علاوة على العوامل التاريخية والثقافية والسياسية والاقتصادية وغيرها ، مما يساعد على توفير « زبناء » للغة من اللغات — يتوقف بالاضافة الى كل ذلك ، على توصل العربية الى حل مشاكلها الذاتية ؛ وللجيل العربي الحاضر ، والاجيال المقبلة ، من الممكنات ما يقدر على تحقيق مرحلة جديدة من هذا الانبعاث اللغوي المنشود ، كما تحققت مراحل سابقة منذ القرن الماضي ، وتحقق معها الشيء الكثير من النتائج الحسنة .

سلا : المهدي البرجالي



لو أبصرت ثلاثة أيام ...

للكاتبة الأمريكية هيلين كيلير
عربها عن الانجليزية الاستاذ عبد الهادي التازي

تعرضت هيلين كيلير وهي في الشهر الخامس من عمرها لمرض حرمها من بصرها وسمعها ومنعها ايضا من الكلام ، بيد انها بفضل العون الذي قدمته لها استاذتها المز آن صاليفان ماسي ـ استطاعت ان تتعلم النطق وهي في السن العاشر ، وبمرور الاعوام عرفت كيف تتخلص من عالم البؤس والصمت الى عالم السعادة والكلام ، وبعد تخرجها بتفوق من كلية راد كليف (ولاية ماساشوستس) سنة 1904 انصرفت للقراءة والتاليف . وقد مكنتها شهرتها من التنقل عبر كثير من بلاد الدنيا حيث لقيت الترحيب والتكريم من سائر رجال الفكر ، وقد كان في جملة البلاد التي زارتها مصر سنة 1952 صحبة سكرتيرتها الآنسة بولي طمسون، وقد كان كتابها « قصة حياتي «The story of my life» اول ما الفت ولكنه ليس آخرها فلها «The world I live in» ولها : «The song of the stone wall» ولها : «The Practice of optimism» وغير هذا من عشرات الكلمات والمقالات التي توحي بالشكر على نعمة الحواس وتدعو الى استعمالها فيما خلقت من اجله . . .

وقد نقل كتابها « قصة حياتي » الى اللغة العربية الاستاذ امين موسى قنديل . كما عرب كتابها حول معلمتها الدكتور حسين فوزي النجار ، هذا الى تعريبات اخرى قام بها بعض الادباء لجملة من نتاجها.

وقد حبب الي ان اقوم بنقل احدى مقالاتها المختارة الى اللغة العربية ، وفضلت هذه المقالة بالذات لانها في نظري افضل نصح واصدقه يمكن ان يقدم الى اولئك الذين تحتف بهم النعم من كل الجهات ثم هم يكفرون بها ويستسلمون للاوهام والياس والقنوط .

فالمقال اذن « دعوة » للناس ان يلتفتوا فيما حواليهم من كنوز وثروات حقيقية .

ولهذا فانني اقترح عليك ايها القاريء ان تستوعبه مهما كانت مشاغلك ، وكيفما كان مركزك، وحيثما كان مقامك ، وسواء اكنت من الذين يدركون حقائق الاشياء فهم يجدون الراحة فيما يحيط بهم من مباهج ، أم كنت من اولئك الذين اضنتهم متاعب الحياة فهم من مباذلها سرمدا يضجون ويشكون . . »

* * *

كل واحد منا قرا اساطير رائعة عاش ابطالها لحظات معينة تطول احيانا حتى ليخيل الينا انها بلغت السنة كاملة ، وتقصر احيانا حتى لا تتعدى في اعتبارنا اربعة وعشرين ساعة ، بيد اننا نهتم دائما بمعرفة الرغبات التي اختارها هذا البطل أو ذاك ليقضي معها اواخر ايامه او اواخر ساعاته . اتحدث طبعا عن اولئك الذين لهم نوع من الاختيار وليس عن الآخرين من الذين حكم عليهم او من الذين ضاقت امامهم الآفاق . .

ان مثل تلك الاساطير تجعلنا نفكر ماذا يجب علينا ان نفعل لو عشنا نفس تلك الظروف ، ما هي الاشياء ؟ ما هي التجارب ؟ ما هي الاعمال التي نختار القيام بها في هذه الساعات الاخيرة من حياتنا ؟ ما هو نوع السرور الذي سننعم به ونحن نعيش هذه الفترات ؟ وما نوع الاسى والاسف الذي سنحسه ؟

لقد فكرت في بعض الاحيان بان افضل طريق واحسنها هي **ان نعيش كل يوم كما لو اننا سنموت غدا** . وان مثل هذا الشعور منا سيقوي من قيمة الحياة ومتعتها في نظرنا ، يجب علينا ان نعيش كل يوم

ونحن نقدر تمام التقدير وندرك تمام الادراك النعم التي تحيط بنا ، والتي غالبا ما تفقد قدسيتها عندما يمر امامنا الزمان في هذا المشهد العام الدائم الذي يمضي بايامه وشهوره واعوامه ... اولئك طبعا هم الذين يعيشون دوامة ابيقور المتخلصة في « كل واشرب وامرح » بيد ان اغلب الناس يريدون أن يعيشوا في عذاب وهم يشعرون بحقيقة الفناء الوشيك .

ان البطل المحكوم عليه في مختلف الاساطير كثيرا ما نراه ينجو في آخر لحظة عن طريق اسعافة من حظ سعيد ، لكن الملاحظ اننا في اغلب الاحيان نرى احساسه بقيم الحياة كثيرا ما يتغير ، انه يمسي اكثر تقديرا لمعاني الكون ولاسراره الروحية الدائمة ... وفي جل الحالات نرى ان اولئك الذين يعيشون أو عاشوا في ظلال الموت ، وعلى مقربة من شبحه هم الذين يتذوقون لذائذ الظروف التي يحيونها .

لكن معظمنا مع كل ذلك ياخذ الحياة على انها ممنوحة له مخولة . فنحن نفهم انه لابد من يوم آت لا محالة نسلم فيه الروح بيد اننا غالبا ما نتصور أن هذا اليوم بعيد وبعيد جدا !! وعندما نكون في حالة صحية جيدة فأن الموت عندئذ يمسي امرا غير وارد بتاتا بل انه لا يخطر على بالنا الا عابرا ، وهكذا فان الايام تتعاقب في طريق غير ذي حد ، وهكذا ايضا نسير في زحمة اشغالنا الطفيفة الزهيدة عالمين — ولكن بصعوبة — بموقفنا ازاء هذه الحياة ...

وان هذا السبات نفسه هو الذي يهيمن علينا فيما اعتقد حتى فيما يتعلق باستعمال حواسنا وطاقاتنا . ان الاصم وحده هو الذي يقدر نعمة السمع، وان الكفيف وحده هو الذي يقدر ضروب السعادة التي تكمن في نعمة البصر . ان هذه الملاحظة تنطبق عمليا على اولئك الذين فقدوا حاسة النظر او حاسة السمع في حياتهم المبكرة . لكن الذين لم يسبق لهم ان اشتكوا من الحرمان ، لم يسبق لهم أن فقدوا بصرا او سمعا ، اولئك قليلا ما يحسون بعظمة النعمة في الاستفادة من هذه الحاسة المقدسة .. ان ابصار هؤلاء تقع على كثير من المناظر كما ان اسماعهم تتلقى مختلف الاصوات ولكن دون اكثرات ودون امعان بل وبقليل من التقدير ! انها نفس الكلمة التي تردد : لايعرف المرء بمقدار النعمة الا عند ما يسلب منها ، ولا يعرف الانسان بمقدار عافيته الا عندما يكون طريح الفراش!
كثيرا ما فكرت في أن هذا الانسان اي انسان لو اصيب بفقد بصره او فقد سمعه لبضعة ايام من بداية حياته الاولى لظل يشعر سرمدا بأريج السعادة الذي يحف به . ان الظلام سيجعله لا محالة اكثر تقديرا للنور الذي يراه صباح مساء ، وان الصمم المطبق سيعلمه دون شك متعة وقع الصوت على مسمعه !

لقد كان يلذ لي احيانا ان اسال رفاقي الذين يبصرون لاعرف عن بعض ما كانوا يرون ، وقد تقبلت في هذه الايام زيارة صديقة من اعز صديقاتي كانت قد رجعت منذ قليل من جولة لها طويلة في احدى الغابات المجاورة ، سالتها ما ذا رات وماذا لاحظت ؟ فكان جوابها بالحرف : « لا شيء يستحق الذكر ! » ولو انني لم اكن معتادة مثل هذا الجواب لداخلني الشك فيما سمعت. لقد اقتنعت منذ زمن بعيد ان هؤلاء الذين يبصرون لا يرون في الواقع الا قليلا !

قلت في نفسي : كيف يكون من الممكن ان يتجول المرء لمدة ساعة من الزمن بين منعطفات الغاب ولا يرى شيئا يستحق الذكر ! انا التي لا استطيع ان ابصر شيئا اكتشفت مئات الاشياء التي تهيمن من خلال اللمس العابر ... اشعر — وانا المس — بالتناسق اللطيف الذي اجده بين اوراق الشجر ، امر بيدي انحسس هذا الاديم الناعم الذي يلف بعض الاشجار الفتية بل وحتى هذا اللحاء الاشعث الخشن الذي يكسو الصنوبر ... وفي فصل الربيع ألمس الغصون وفروع الشجر وكلي أمل في البحث عن البراعم ، عن الطلائع الاولى للطبيعة اليقظة بعد سباتها العميق في فصل الخريف . احس بالبهجة والنعومة وانا ارتب الزهور واكتشف ما في طيات هذه الورود من جمال، هناك تظهر لي معجزة الطبيعة في اجلى مظاهرها .. ومن وقت لآخر — اذا ما اسعدني الحظ — اضع يدي بلطف وتؤادة على شجرة صغيرة لاتحسس الرعشات المتعشة التي تنبعث من طائر وهو في اوج سروره ، ساكون سعيدة عندما اشعر — من خلال اصابعي المتفتحة — ببرودة المياه المتدفقة في الجداول بالنسبة الي فان فراشا ناعما من اوراق الصنوبر المتناثرة ، او من الربيع الاسفنجي احب الي من اروع زربية حتى ولو كانت فارسية !! وبالنسبة الي فان مشاهد تدرج الطبيعة من فصل الى فصل يعتبر عندي رواية تمثيلية اخاذة غير ذات نهاية انعم بها من خلال تلمس انامل ...

يصرخ قلبي من اعماقه في بعض الاحيان وفي شوق متزايد ليشاهد هذه الاشياء ، واذا استطعت ان

احصل على متعة مثل هذه : مجرد لمس عابر فاي جمال واي بهاء اشعر به وانا ارى ذلك رؤيا عين . ان اولئك الذين يتوفرون على عيون ، يبصرون فعلا كما يجب ، ان المنظر الشامل لمختلف الالوان ومختلف الحركـــات التي يزدان بها هذا الكون كل ذلك يلاحظه معظم الناس دون ادنى تفكير ... قد يكون من الانسانية ان نقـدر قليلا الاشياء التي تحت تصرفنا وان نتوق الى الاشياء التي ليست فى متناولنا ، بيد انه مما يدعو الى الاشفاق الكبير اننا فى عالم النور نلاحظ ان حاسة البصر تعتبر لدينا على انها اداة زهيدة فقط قبل ان تعتبر على انها وسيلة تضفي على الحياة الكمال والجمـال .

لو كنت رئيسة جامعة لكان علي ان افرض مادة اجبارية حول موضوع : « كيف تستفيد من عيونك » يكون على الاستاذ فى هذه المادة ان يحاول افهام طلبتـه الوسائل التي تمكنهم من ان يضاعفوا المتع التي تزدان بها حياتهم عن طريق **الرؤية الحقيقية** للاشياء التي تمر امامهم دون أن يعيروها ادنى اهتمام ، نعم يكون عليـه ان يحاول ايقاظ طاقة طلابـه وبعثهـا من نومهـا وفتورهـا ...

اعتقد انه من الممكن ان ارسم على سبيل التخيل ماذا يكون علي ان ارى **لو انني وهبت نعمة البصر فقط لمدة ثلاثة ايـام ..** فحاولوا ان تشاركوني فى هـذا الخيال كذلك .. ركزوا تفكيركم فيما اقول وانا احاول ان نجد استعمالا للزمن طيلة هذه الايام الثلاثة التـي سنبصر فيها بأم عيوننا نحن ...

عندما تشعر بأن الليلة الثالثة ستحمل معهـا اقتراب عودة الظلمـة الدائمـة ، وعندما تشعر بان الشمس سوف لا تعود ابدا للظهور مرة اخرى ، كيف تقضي تلك الايام الثلاثة الثمينة المحددة المزدحمـة ؟ ماذا ستختار ان يقـع بصرك عليـه ؟

ساختار انا طبعا ان ارى اكثر الاشياء التي اصبحت عزيزة علي طيلة السنوات المظلمة التي عشتها ، وانتم كذلك ولا شك ستفضلون ان تتركوا لعيونكم الحريـة الكاملة لتقع على الاشياء التي امست محببة لديكـم وذلك حتى تستطيعوا ان تحتفظوا لانفسكم بذكراهـا فى الليل البهيم الذي يعترض طريقكم .

نعـم اذا ما منحت بقدرة قادر فرصة النظـر لمدة ثلاثة ايام اكون بعدها مهددا بانتكاسة تسلمني الى الظـلام الدائـم ، آنذاك سأوزع هذه الفتـرة من حياتي على ثلاثة مراحـل :

ففي اليوم الاول سيكون اول ما اقوم به هـو رؤية هؤلاء الناس الذين جعلوا من حياتـي شيئـا يستحق الذكر بفضل عطفهم ولطفهم واخلاصهم . اولا سيكون علي ان انعم النظر طويلا فى محيـا عزيزتـي واستاذتي المس صاليفان ماسي التي وردت علي ذات يوم وانا ما ازال طفلة وفتحت امامي هـذا العالـم الجديد .. لا اريد ان تكون رؤياي عابرة تقتصر على تلمح الخطوط البارزة لاسارير وجههـا من اجـل الاحتفاظ بذكراها فى مخيلتي فقط ، ولكني اريـد ان ادرس ذلك الوجه درسا لاقرا فيه الشاهد الجلي على ذلك العطف والود والصبر الذي كانت تتحلى به وهي تقوم باداء مهمتها الشاقة من اجل تربيتي وتعليمـي . اريد ان ارى عيونها المليئة بالعزم والقوة التي جعلتهـا تقف وقفة شهم حازم امام سائر المصاعب .. عيونها المليئة بالرحمة والشفقة بجميع افراد الانسان .

لا اعرف ماذا ساراه فى اعماق قلب صديقة مـن خـلال العين : « نافذة الانسان » كنت استطيـع ان « ارى » بواسطة اناملي واصابعـي فقط الملامـح المتجسمة لو جه ما من الوجوه ، استطيـع ان اكتشف الفرح والحزن وسائر الانفعالات الظاهرة .. اعـرف صديقاتي واصدقائي عن طريق لمس وجوههم ، لكنـي لا اقدر حقيقة ان ارسم صورة فى مخيلتي لاشخاصهم عن طريق مجرد اللمس ، اعرف شخصياتهم طبعا مـن خلال « الوسائل الاخرى » من خـلال الافكـار التي يعبرون لي عنها ، من خلال اعمالهم وتصرفاتهم مهمـا كانت .. ومع ذلك فاني محرومـة من النفـوذ الى اعماقهم ذلك النفوذ الذي يتم دون شك عن طريـق النظر فى وجوههم ، عن طريق ملاحظة ردود الفعل التي يقابلون بها مختلف النظريات التي يسمعونها او الظروف والملابسات التي تمـر بهـم عن طريـق التفاعلات والاحساسات المباشرة والعابرة التي تتجلـى مـن العيون وملامح الوجـوه .

اعرف جيدا الصديقات اللاتي يترددن علي لانهن ظللن عبر الشهور والاعوام يشخصن امامي فى شتـى المظاهر ، بيد ان الزملاء العابرين ليس لي منهم الا بعض الانطباعات الناقصة ، انطباعات توفرت عليها عن طريق احتضان او سلام ، عن طريق بعـض الكلمـات التي التقطها من بين شفاههن ، بمساعدة اناملي او بعـض الكلمات التي ينقرن بها على راحة يدي . كم يكون سهلا وكم يكون من بواعث الارتياح بالنسبة اليكم انتم الذين تستطيعون أن تبصروا بعيونكم وان تدركوا بكل سرعة الصفة الاساسية للاشخاص الآخرين بمجـرد رؤيـة

الحركات التي تصحب التعبير عادة ،بمجرد رؤية اهتزاز الاطراف ، بمجرد اشارات اليد ... ولكن هل خطر مرة ببالكم ان تستعملوا بصركم لتنفذوا به الى الطباع الداخلية لصديق لكم او رفيق ؟ اليس ان معظمكم - ايها الذين تبصرون - انما يدركون عن طريق الصدفة فقط ، معالم الوجوه وقسماتها ثم تتركون ذلك يمر كانه لا يعني .. ؟

ولاضرب مثلا ادق اسالكم هذا السؤال : هل تستطيعون ان تصفوا بدقة وجوه خمسة من الاصدقاء الذين تعرفونهم جيدا ؟ بعضكم ربما قدر على ذلك ، لكن عددا منكم كثيرا لا يستطيع ... وكتجربة خاصة قمت بها انا اذكر انني سالت بعض الازواج ممن عاشروا زوجاتهم طويلا عن اللون الذي تمتاز به عيون ازواجهم ... وفي اغلب الاحيان عبروا لي عن خجلهم وارتباكهم .. واعترفوا بانهم لا يعرفون حقا الوان عيون زوجاتهم ! ولهذا اتذكر بهذه المناسبة ان كثيرا من الزوجات لايفتأن رافعات عقيرتهن بالشكوى من ازواج لهن لا يولون اهتماما لما يطرا على البيت من ترتيبات طارئة ... ان عيون هؤلاء الذين يبصرون لا تلبث ان تعتاد رؤية الاشياء ، ولا تلبث أن تصبح تلك الاشياء التي تجري من حواليهم رتيبة مبتذلة .. والناس لا يعيرون فى العادة اهتمامهم الا لبداية الامور او للغريب الغير العادي منها ، على انه مع كل هذا ، ففي اغلب الامور التي تستحق المشاهدة نلاحظ ان العيون تمسي كسلانة لا تتحمل استجلاء الاشياء ، وهناك حقيقة ينبغي ان تسترعي اهتمامنا هي ان مجالس القضاء والمحاكم تكشف كل يوم عن خطا الذين يتقدمون اليها على انهم « شهود عيان » ! فعلا هناك عدد من الحوادث يشاهد على عدة طرق تبعا للاداء المختلف لشاهدي العيان ! احدهم تكون ملاحظته اقوى من الاخر لكن القليل من الناس هو الذي يرى كل شيء يدخل تحت مجال بصره ..

آه ! ما اكثر الاشياء التي علي ان اراها لو توفرت لدي حاسة البصر لمدة ثلاثة ايام فقط !

نعم سيكون اليوم الاول من اكثرها ازدحاما فى العمل .. سيكون علي ان ادعو سائر اصدقائي واعزائي لاتملى من النظر الى وجوههم طويلا وذلك لاطبع على مخيلتي المشاهد الظاهرة للجمال الذي يعلوهم ، سيكون علي ان اترك الفرصة لعيوني كيما تاخذ راحتها فى النظر العميق الى وجه طفل من الاطفال وذلك لآخذ فكرة عن الجمال الصاعد البريء الذي يتقدم على مرحلة شعور الشخص بما ينتظره فى الحياة من صراع ونزاع .

وكذلك فان مما سيطربني دون شك ان احدق بامعان فى عيون كلابي الوديعة الامينة (صكوتي) (ضاركي) الصغيران اللذان يمتازان بجديتهما وذكائهما .. وكذلك (كويط دان) و (هيلكا) الضلعين الحاذقين هاته الكلاب التي كانت لي نعم العزاء ونعم السلوى بملمسهما الناعم ، وصداقتهما الوفية .

في هذا اليوم الاول المليء بالاشغال سيكون علي ان ارى هذه الاشياء البسيطة الصغيرة التي يضمها بيتي ، اريد ان ارى هذه الالوان الدافئة التي تتوفر عليها هذه الزرابي التي اطاها بقدمي ، هذه الصور التي تزدان بها الجدران ، نعم هذه الاشياء الزهيدة والمحببة فى الوقت ذاته التي تحول البناء من مجرد بناء الى حيث يمسي بيتا ناوي اليه ونشعر بالحنان نحوه . ان عيوني ستتركز باجلال على هذه الكتب بحروفها البارزة التي مرت بها قراءة منذ زمن ، ستكون عندي اكثر حظوة واعتناء من تلك الكتب المطبوعة التي اعتادها المبصرون ، ان جميع تلك الكتب ، سواء منها التي قرات بنفسي او التي تليت علي ، اقامت امام مخيلتي طيلة الليل البهيم الذي صحبني فى حياتي ، اقامت للذين الفوها منارة شاهقة مشرقة تكشف امامي الفجوات العميقة للحياة الانسانية ، للفكر الانساني .

وفيما بعد ظهر اليوم الاول من هذه الايام المبصرة الثلاثة سيكون من برنامجي ان اقوم بجولة طويلة داخل الغاب لاني اريد لعيوني أن تسكر ، ان تغيب فى جمال الطبيعة فى محاولة من اجل ان استوعب - فى اوقات قليلة - هذا البهاء العظيم الذي يعرض نفسه باستمرار على اولئك الآخرين الذين يتوفرون على حاسة النظر.. وفي طريقي الى بيتي من جولتي فى ذلك الايك الجميل ساعرج قليلا على بعض الضيعات حتى يتسنى لي ان اشاهد بعيني هاته الجياد الكادحة التي تشق الارض بمحراثها او اشاهد فقط جرارا من تلك الجرارات واقف بعين راسي على اولئك الرجال الذين يفترشون الغبراء فى هدوء وايمان وقناعة ، هناك ساقوم باداء صلاة الشكر امام هذا الرواء الذي يتجلى فى الوان الشمس عند مغربها !

وعندما يخيم الظلام هناك ايضا سيكون فى متناولي ان استمتع بالمتعة المزدوجة عندما يكون فى

استطاعتي ان ارى ايضا عن طريق **النور الصناعي** الذي شاءت عبقرية الانسان ان تبتكره حتى يمدد في امد الضوء ، في الوقت الذي تحكم الطبيعة فيه على الناس بالظلام ! !

وعند الليلة الاولى من هذا اليوم الاول من ايامي الناظرة سوف لا يجد النوم سبيلا الى عيوني لان ذكريات الساعات الماضية ستزدحم على مخيلتي ...

* * *

وفي اليوم الموالي ، اعني اليوم الثاني من ايام النور سأستيقظ مع الفجر لارى تلك المعجزة الهائلة : معجزة انسلاخ الليل عن النهار وتحول الطبيعة من عالم مطبق الى عالم مشرق ! سأقف باجلال وخشوع امام هذا المنظر البديع الرائع للشمس وهي تنتشر على الارض توقظ الناس من سبات المنام .

وسأخصص هذا اليوم لشيء آخر ... اني اريد ان آخذ لمحة سريعة عن هذا العالم ، ماضيه وحاضره، سيكون علي ان اقف على مظاهر تقدم الانسان ، وعلى الآثار التي تعبر عن مختلف العصور .. لكن كيف استطيع ان اضغط كل هذا في يوم واحد ؟ من خلال المتاحف طبعا .. لقد سبق لي أن زرت في أكثر الاحيان متحف نيويورك للتاريخ الطبيعي لالمس بيدي كثيرا من الاشياء المعروضة هناك بيد اني كنت اتوق لارى هذا بعيوني انا ، تاريخ الدنيا المتشابك المتكاثف بما فيه من اولئك الذين كانوا يعيشون هاتيك العصور : اجناس بشرية ، حيوانات نحتت او صورت في بيئتها الاولى وشكلها الاصلي ، سأرى الجثث الهائلة لحيوانات زاحفة انقرضت الآن : دينوصور ، ومستودون اللتي جابت هذه الأرضين قبل ان يظهر الانسان بقوامه الصغير وعقله الكبير ليفتح مملكة الحيوان تلك معارض واقعية لمظاهر التدرج والارتقاء بالنسبة للحيوانات وبالنسبة للانسان ، وبالنسبة كذلك للادوات والعدد التي استخدمها الانسان من اجل ان يجد لنفسه حياة آمنة على ظهر هذا الكوكب ... والف مظهر ومظهر للتاريخ الطبيعي ...

كم يا ترى عدد قراء هذه الاشياء من الذين تنبهوا لضرورة مشاهدة هذه المعالم المرسومة للاشياء الحية في ذلك المتحف الملهم بكل معاني الحياة ... كثير منهم بطبيعة الحال لم تكن لديه الفرصة ليطبق ما يشاهد على ما يدرس ، على انني متأكدة من ان كثيرا من اولئك الذين سنحت لهم الفرصة لم يستعملوا ابصارهم كما يجب . هناك في تلك المتاحف يوجد بكل تاكيد المكان الذي يستحق من المرء أن يستعمل بصره ... انت الذي ترى يمكنك ان تقضي اياما منتجة هناك ، اما انا في هذه الرحلة الخيالية التي لا تتجاوز ثلاثة ايام من عمري فلن استطيع ان احظى باكثر من لمحة عابرة ثم اغدو الى ليلي الحالك .

وستكون وقفتي التالية في متحف العاصمة للفن، وكما كشف المتحف الوطني للتاريخ الطبيعي عن مختلف المظاهر المادية لهذا العالم فان متحف العاصمة يكشف لنا عن العدد العديد من حقائق الفكر الانساني ، فمن خلال تاريخ الانسانية نرى ان الحاجة الى التعبير الفني كانت من الضرورة بحيث تضاهي الحاجة الى الطعام ، الى المأوى ، الى الاولاد ... هناك في تلك الغرف الفسيحة الارجاء من متحف العاصمة تنتصب امامي حياة مصر واليونان وروما متجلية في فنونها ... كنت اعرف جيدا عن طريق لمس الهياكل المنحوتة – آلهة ارض النيل القديم – وقد اخذت صورة عن هيكل بارثينون (Parthenon) ، وادركت الجمال البديع الذي كان طابع المحاربين اليونانيين الامناء ... ابولو الاه الجمال ، وفينيس ربة العشق ، وتمثال النصر المجنح في سامو تراس ، كل هذه كانت صديقة لاناملي ، كانت قسمات وجه الشاعر اليوناني هوميروس بلحيته واساريره ، كانت عزيزة على ملمسي ، انه هو كذلك كان اعمى ! ! كانت يدي تجد راحتها وهي تلمس الرخام الروماني المنقوش تماما كما المس نحت الاجيال المتاخرة ... وقد مررت بيدي على لوحة جبسية من صنع النحات الايطالي ميشانجيلو للبطل الملهم موسى ، وادركت عبقرية النحات الفرنسي رودان . لقد ظللت معجبة بابداع الفكر المتجلي في النحت الخشبي القوطي . ان هذه الفنون التي يمكن لمسها لها معاني خاصة بالنسبة الي بيد ان معانيها وهي مرئية افضل منها وهي ملموسة. استطيع فقط ان اصل عن طريق الحدس والتخمين الى الجمال الذي تظل بقاياه وملامحه غائبة عني ، استطيع ان ابدي اعجابي بالخطوط البارزة التي تزين زهرية من الزهريات الاغريقية بيد ان الزخارف المرسومة تظل بالنسبة الي مفقودة .

نعم هكذا سأقضي ثاني يوم من ايام نوري، سيكون علي ان انفذ الى اعماق الروح الانساني من خلال ما خلفه ذلك الانسان من فنون . ان الاشياء التي اعرفها عن طريق اللمس ، يجب علي اليوم ان اراها رؤيا عين ... هذه الروعة الكاملة التي يتوفر عليها عالم الرسم ، ينبغي أن تتفتح امامي في ابهى مظاهرها من العهود الايطالية الاولى بنسكها الديني

الهادىء الى العصور الحاضرة بمظاهرها المحمومة المضطربة ... سيكون علي ان انظر بامعان الى الصور المرسومة على القماش والتي هي من عمل رفاييل، وليوناردودافينشي تيتيان ريمبراندت ... ساقيم لعيوني عيدا عندما اسمح لها بأن تقف قليلا امام اللون الدافىء لفيرونير Veronese وبأن تدرس اسرار الكريكو . وبأن تكتسب نظرة جديدة للطبيعة من كوروط Corot . آه ، هناك كثير من المعاني الثرية ، ومن الجمال البديع فى شتى الفنون التي تمثل مختلف العصور بالنسبة اليك انت الذي تنعم بعيونك تستطيع ان ترى بها كلما اردت ذلك !

وبعد هذه الزيارة القصيرة لمعبد الفن هذا سوف لا استطيع ان اعيد النظر الى جانب واحد من هذا العالم العظيم من عالم الفن الذي يظل فى متناولكم انتم كل وقت وحين ... سأستطيع فقط ان احصل على بعض الارتسامات السطحية ... عدد من الفنانين يذكرون لي ان تقدير الفن التقدير العميق الصحيح من شأنه ان يعمل على تربية حاسة النظر . ان المرء عن طريق تجربته يعرف كيف يقدر الكفاءات ، يتعلم عن طريق التجربة وامعان النظر كيف يزن الامور ويتأمل الامكانيات وابعاد الخطوط وترتيبها واشكالها والوانها ... لو كانت لي عيون كم اكون سعيدة الحظ ان اتعاطى دراسة جذابة من هذا النوع ! يحكى لي دائما عن عدد من الناس من بينكم – ايها الذين تبصرون – لا يهتم بعالم الفنون هذا ، وانه بالنسبة اليكم يظل عالما مجهولا بل ليلا مظلما ... فهو – اي ذلك العالم – لا يرى النور ولا يحظى بمن يحاول اكتشافه !

سأترك متحف العاصمة وانا اشعر بمرارة ما عليها من مزيد ، فقد كنت افضل ان اظل هنا بجانب المفتاح الذي يحتضن انواع الجمال ، الجمال الضائع المهمل .. نعم ان هؤلاء الذين يبصرون لا اراهم في حاجة الى متحف من هذا النوع يبحثون فيه عن مفتاح الجمال ذلك . ان هذا المفتاح يظل منتظرا على الابواب، فهناك متاحف صغيرة تتمثل فى تلك الكتب التي تضمها رفوف المكاتب ... لكني بطبيعة الحال ، وفي هذا الوقت المحدد من ايام « رؤيتي الخيالية » ملزمة ان اختار المكان الذي يوجد فيه المفتاح الذي يكشف لي عن اعظم كنز واثمنه وفي اقصر وقت كذلك !

وفي مساء اليوم الثاني من « ايام النور » سيكون علي ان اقضيه فى مسرح او سينما ... لقد حضرت الى الآن طائفة من التمثيليات المسرحية من كل نوع وشكل بيد ان حركة الممثلين انما كانت تهجى لي من طرف رفيقتي . لهذا فكم اكون سعيدة ان ارى اليوم عن طريق عيوني انا ودن حاجة الى ترجمان شخص (هامليت) الفاتن ، و (فالسطاف) العاصف بين الزخارف الملونة لاليزابيث ، وكم اكون سعيدة ان اتتبع سائر حركات (هامليت) الرشيق القد ، وسائر اطراف (فالسطاف) القوي الجسم ، سأشاهد فقط تمثيلية واحدة ، وسيكون علي ان اجابه عددا من المفاجآت بما فى ذلك الاشارات الفنية التي ارغب ان اراها بعيني ... انتم الذين لكم عيون يكون فى متناولكم ان تروا اي شيء يروقكم مهما تريدون ، فكم منكم يا ترى عندما يقع بصره على تمثيلية فى مسرح او رواية في سينما او اي العوبة ، كم منكم يدرك بل كم منكم يزجي آيات شكره وتقديره لمعجزة البصر التي ينعم به والتي تجعله قادرا على ان يستمتع بلونها وحسنها وحركتها ؟

لا استطيع ان اتمتع بجمال الحركات الايقاعية ، وكل ما كنت استطيعه فى دائرتي الضيقة هو ان المس بيدي ... كل ما كان فى مقدوري هو ان اتخيل ، ولكن فى غموض فقط ، جمال (بافلوفا) ومع ذلك اعرف بعض الاشياء البهيجة فى ايقاعها ، وفي اغلب الاحيان استطيع ان اشعر بذبذبة الميزان الموسيقي وهي تنساب من تحت قدمي على وجه الارض ، اتصور جيدا ان حركة ايقاع النغم يعتبر من اجمل المناظر فى العالم ، واستطيع كذلك ان ادرك بعض الاشياء عن طريق التحسس بأناملي على السطور المنقوشة ، فاذا كان هذا الجمال الهادىء محببا الى الناس فكيف يمكن ان نتصور الابتهاج الذي يتملكنا ونحن نرى هذا الجمال الصاخب امام ابصارنا ؟ !

لا انسى احدى الذكريات العزيزة علي يوم اذن لي الممثل الامريكي جوزيف جيوسون فسمح لي بلمس وجهه ويديه عندما كان يقوم ببعض الحركات ويلقي بعض الكلمات من قصته المحببة لدى الشعب الامريكي : « ريب فان وينكل » Rip van Winkle لقد استطعت فقط ان ادرك بعض الملامح عن عالم القصة ، ولكنها كانت تافهة ، وسوف لا انسى ابدا تلك المتعة التي شعرت بها فى تلك اللحظات ومع ذلك فكم هي الاشياء التي ضاعت مني ! وكم هي المتعة الفائقة بالنسبة للذين يرون والذين يمكنهم ان يقتبسوا عن طريق ابصارهم ومسامعهم الكلمات والحركات المتبادلة بين الفنانين فى تمثيلية ما ! لو استطعت ان ارى يوما واحدا فقط سأعرف كيف ارسم فى ذاكرتي مشاهد لآلاف التمثيليات من التي قرأتها او التي

نقلت الي عن طريق الحروف الهجائية ... وهكذا فانه فى هذا المساء من يومي الثاني لرؤيتي الخيالية فان الرسوم ، والخطوط العريضة للادب الدراماتيكي ستريح النوم عن بصري ...

* * *

وفي الصباح الموالي لابد لي ايضا ان استيقظ مع الفجر لانني ارغب فى ان اظل على موعد مع اكتشاف المتعة الرائعة التي تتجلى فى مطلع الشمس ... انه من الجدير باولئك الذين لهم عيون تبصر حقيقة ان يتخذوا من اغنية الفجر ومشهد الفجر كل يوم وبكيفية دائمة مناسبة يحتفلون فيها باستقبال هذا الجمال المتجدد ..

ان هذا اليوم سيكون فى برنامج رؤياي المتخيلة هو اليوم الثالث والاخير من ايامي ... سوف لا يكون لدي وقت اضيعه فى الاسف او التمني .. هناك كثير من الاشياء التي ما تزال تستحق الرؤية ، لقد خصصت اليوم الاول لصديقاتي واصدقائي سواء منهم الحيوانات والجمادات بينما كشف لي اليوم الثاني عن تاريخ الانسان وتاريخ الطبيعة .. اما هذا اليوم فساقضيه فى هذا العالم المتحرك المشتغل ، عالم الحاضر بين ديار الناس ومتاجرهم وهم يغدون ويروحون لمشاغلهم في الحياة ، واين يجد المرء هنا مكانا يحتوي على اكبر قسط من النشاط والحركة كما يجده فى نيويورك ؟ ولهذا فاني اتجه شطر هذه المدينة فى يومي هذا ..

سابدا انطلاقتي من بيتي بالضاحية الهادئة الصغيرة (فوريست هيلس) ــ لونك آيلاند ، هنا حيث الحشيش الاخضر والاشجار والزهور وحيث تنتصب بيوت انيقة جميلة ، حيث اشعر بالسعادة مع الاصوات والحركات التي تنبعث من جماعات السيدات والاطفال، حيث ينعم الرجال بالراحة المطلقة بعد رجوعهم من عنائهم المتتابع بالمدينة ... ساخترق هذه المجموعة من الابنية المتراصة من الفولاذ التي تكون جسر غرب الوادي وهناك ساشعر ببداية جديدة لمشاهد القوة ، لمشاهد العبقرية اللتين يتوفر عليها هذا الانسان . سيقع بصري على هذه المراكب الراسية هنا ... وفيها ما ينهمك اصحابه فى الشغل المتواصل ، وفيها ماتنطلق منه اصوات مدوية ... هناك سفن اخرى تزمجر في محاولة للقيام ببعض الحركات ... لو كانت لدي ايام اخرى طويلة ما تزال تنتظرني لكنت اقضي منها نصيبا فى تتبع هذا النشاط الرائع الذي يجري حوالي الوادي

ارى امامي ذات اليمين وذات الشمال تنتصب المنارات الغريبة ، ناطحات السحاب التي عرفت بها مدينة نيويورك ، المدينة التي يظهر انها انحدرت من صفحات تاريخ مهول ... ما اعظمه من مشهد مثير مرعب يتجلى فى هذه البروج اللامعة ، في هذه المصارف الرحبة الواسعة الارجاء المشيدة بالصخر والفولاذ .. بنايات يخيل اليك انها من صنع آلهة بنوها من اجل انفسهم هم !! وهذه الصورة الحية هي جانب من جوانب حياة ملايين الاشخاص كل مطلع شمس ... كم هو يا ترى عدد الذين يعطونها اكثر من نظرة ثانية .. انهم قليلون فيما ارى ... ان عيونهم عمياء عن هذه المناظر الرائعة لانها بالنسبة اليهم امست امرا عاديا لا يحتاج لاعادة نظر .

سابادر الخطى لاصل الى قمة احدى هذه البنايات الشاهقة الضخمة ، بناية امباير سطيط بيلدنيك (102 طبقة) لقد كنت فى اوقات قصيرة خلت «رايت» مدينة نويورك ولكن من خلال عيون كاتبتي الخاصة! اما الآن فاني فى اشد الشوق لاقارن بين الخيال وبين الحقيقة الواقعة ، اني متاكدة من انني سوف لا اشعر باكتئاب مطلقا وانا امام هذه المباني المتناثرة امامي ، سيكون هذا بالنسبة الي مشهدا من عالم آخر .

والآن ساشرع فى تجولاتي عبر المدينة بعد ان اخذت فكرة عنها من فوق اعلى بناية وفي باديء الامر سأقف فى زاوية جد مزدحمة من المدينة يقصدها على الخصوص جمهور الناس وذلك لاحاول عن طريق النظر اليهم معرفة بعض الاشياء عن حياتهم ، ارى البسمات تعلو الوجوه وانا جد مسرورة ، وارى العزم والنشاط يشع من عيون الناس وانا جد معتزة ، وارى كذلك العذاب والعناء وانا مشفقة .

سأتجول فى شارع « فيفث افنيو » وسأسلط نظراتي على النقاط التي يجتمع فيها النور وذلك لاتمكن ليس فقط من رؤية الاشياء الخاصة ولكن فقط لمشاهدة الالوان الزاهية اني متاكدة من ان هذه الالوان التي تمتاز بها ملابس النساء اللاتي يسرن فى هذه المواكب المتراصة .. ان هذه الالوان تمثل وحدها مشهدا بديعا لا اشكو منه التعب ابدا بيد انه من الممكن ــ اذا كان لي بصر ــ ان اكون مثل اولئك النساء الاخريات متهمة ايضا بالاشكال والازياء التي تثير انتباه العامة اكثر لجمالها وبهائها ... واني مقتنعة كذلك بأن علي ان اقف امام احدى واجهات المتاجر لارى من خلال النوافذ .. ساشعر بمتعة زائدة وعيوني تطوف بين الآف الاصناف الجميلة المعروضة .

ومن شارع « فيفث افينيو » ساطوف على المدينة عبر « بارك افينيو » عبر الاحياء الشعبية ، عبر

المعاقل ، عبر الحدائق التي يقصدها الاطفال للتلهي ، وسأقف قليلا لازور الاحياء الاجنبية ... وفي كل هذه التحركات ستكون عيوني مفتوحة على مصراعيها كما يجب ، وعلى كل المناظر التي تقع عليها عيوني ، سواء منها الجميل والرديء وذلك لاتمكن من النظر بعمق لاضيف الى معلوماتي شيئا حول الطريقة التي يعيش عليها الناس ويشتغلون ... ان قلبي مليء بالصور: صور الاشخاص ، وصور الاشياء ايضا ... وعيوني تمر دون ترو متغاضية عن الامور الزهيدة ، انها تكد وتجاهد من اجل ان تلتقط معها وفي انتباه ويقظة كل شيء تقع عليه ، هناك بعض المناظر مما يدخل السرور على القلب بل مما يملأه انشراحا وغبطة ، لكن بعض المشاهد محزن فعلا .. وبالنسبة الى هذه ايضا فاني لا اغمض عيوني عنها ايضا لانها فى نظري تمثل جانبا من جوانب الحياة واعتقد ان صرف العيون عن مثل هذه المشاهد ولو انها محزنة هو بالذات اغلاق للقلب واغلاق للفكر .

ان يومي الثالث من ايام البصر يقترب من نهايته ومن الممكن ان يكون هناك عدد من الاشياء الجدية التي تقتضي مني تخصيص بعض الساعات الباقية لرؤيتها بيد اني اعتقد ان مساء هذا اليوم الاخير يجب علي ان اقصد فيه ايضا الى المسرح حيث انعم برؤية تمثيلية هزلية مضحكة وذلك ليتسنى لي ان اخذ فكرة عن وقع الكوميدي فى الفكر الانساني

وعند منتصف الليل تكون الرخصة الموقتة التي قضيتها بعيدا عن ظلمتي قد اخذت نهايتها ، ويحل الليل البهيم الدائم من جديد ليخيم فى ساحتي مرة اخرى ، وبالطبع لم ار فى هذه الايام الثلاثة القصيرة كل ما كنت اريد ان اراه ، وعندما ينيخ الظلام بكلكله علي ، هناك سأعرف كم هي الاشياء الكثيرة التي تركتها واغفلتها دون ما اتمكن من رؤيتها ، بيد ان ذاكرتي ستزدحم بالذكريات المشوقة التي احتفظ بها منذ ذلك الوقت القصير الذي آسف على فراقه ، ومنذ هذا الوقت فان لمس اي شيء سيحمل معه ذكرى حية عن حقيقة ذلك الشيء .

❋ ❋ ❋

وربما يكون هذا العرض الوجيز عن استعمال الزمن طيلة هذه الايام الثلاثة من ايامي المبصرة ، اقول وربما لا يتفق مع المنهاج الذي قد تختارونه لنفسكم لو انكم كنتم مكاني ، ولكني مع ذلك متأكدة من انكم اذا واجهتم هذا القضاء فان عيونكم ستفتح امام الاشياء التي لم تروها قبل مدخرين ذكرياتكم الى الليل الطويل العريض الذي ينتظركم .. كل شيء رايتموه سابقا يمسي بالنسبة اليكم عزيزا .. ينبغي ان ترى عيونكم كل شيء يدخل فى دائرة عملكم .. عليكم ان تبصروا حقيقة الاشياء ، انكم اذا فعلتم ستشعرون بأن عالما جديدا من الجمال يكشف نفسه امامكم ...

استطيع ــ انا الكفيفة ــ ان اعطي اشارة فريدة لاولئك الذين يبصرون ... اعطيهم عظة وتنبيها لاولئك الذين يرغبون فى ان يستغلوا هذه النعمة : نعمة البصر ... **استفيدوا من عيونكم كما لو كنتم مهددين غدا بافتقاد هذه النعمة ... وان نفس النصح ينبغي تطبيقه على سائر الحواس الاخرى .. استمعوا الى الصوت الجميل ، الى هزيج الطير ، الى نغمات الموسيقى كما لوكنتم غدا ستصابون بالصمم ... المسوا كل ما يستحق منكم اللمس ... تنسموا أريج الزهور وعبير العطور ! تذوقوا بلذة كل طعام سائغ لذيذ تتناولونه كما لو انكم ستفقدون غدا حاسة الشم والذوق ... تمتعوا بكل حاسة من حواسكم ... استمتعوا بكل اللذائذ ، وانعموا بكل مظاهر الجمال التي تتفتح امامكم فى هذه الدنيا على شتى الاشكال ومختلف الطرق .. التي تتقدم اليكم بها الطبيعة الخلابة .**

ان كل هذه الحواس هبة تستحق الشكر بيد ان نور البصر يعتبر من اجمل واروع ما يدخل البهجة الى النفوس .

الرباط : عبد الهادي التازي

هل سيتحرر الفكر العربي من رجس سارتر؟

للأستاذ عبد العلي الوزاني

سارتر ... المفكر الذي اشتغل به الادباء العرب كما لم يشتغلوا بأي مفكر آخر من مفكري اوربا المعاصرين ، واتخذوه مثلا اعلى للمفكر الحر المهتم بقضايا الحرية فى العالم ، واقبلوا على كتبه يقلبونها ظهرا لبطن ، مستخلصين منها آراء وافكارا تكون موضوعا لبحوث ومؤلفات ، بل هم يترجمونها الى لغة الضاد ، لتقريبها الى اكبر عدد ممكن من قراء العربية .

سارتر ... الذي القى ظلاله على عقول الكثيرين من الشباب المثقف العربي ، وكادت بعض المجلات الادبية فى البلاد العربية ان تصبح سفيرته فى دنيا العرب ، حيث تفسح المجال واسعا لكل ما يكتب عنه وعن ادبه وفلسفته ، وتخصص له اعدادا بكاملها فى غير ما مناسبة ، وعندما رفض اخذ الجائزة العالمية (نوبل) اهتزت الاوساط الثقافية والادبية فى مجموع البلاد العربية لهذا الحدث ، واعتبرته رمزا لحرية الفكر وترفعه على القيم المادية مهما تضخمت . سارتر ... الذي سبق له خلال هذه السنة ان قام بزيارة للجمهورية العربية المتحدة وقطاع غزة ، فاتصل بالفلاحين والعمال والمثقفين ، وعندما ساله فتحي احمد ابراهيم من كلية الآداب قائلا : (لقد ابديتم رايكم في مختلف قضايا العالم التحرري ، وقد زرتم سيادتكم قطاع غزة ورايتم اسوء وابشع فظائع الاستعمار والصهيونية على حقيقتها ، ونعلم انكم ستزورون فيما بعد اسرائيل ، فما راي سيادتكم فى قضية فلسطين بعد ان رايتموها على الطبيعة ونحن نعلم انكم قاسيتم من الاستعمار والنازية الالمانية عام 1940 ؟) اجاب سارتر بما نصه : (الذي استطيع ان اقوله لكم الآن بعد ان زرت غزة هو ملاحظتان : الاولى هي انني احسست احساسا عميقا بماساة كل هؤلاء اللاجئين الفلسطينيين الذين يعيشون فى ظروف بائسة ، بل لا تحتمل فى بعض الاحيان ، الذين يعيشون على حدود البلد الذي هو بلدهم . والملاحظة الثانية هي انني اعتبر حق الفلسطينيين القومي فى العودة الى البلد الذي كانوا يعيشون فيه هو حق لهم لاتجوز مناقشته اطلاقا) وقال للاجئين الفلسطينيين فى غزة ما نصه : (شكرا لكم ، فبفضل معونتكم استطعت ان ارى الواقع الفلسطيني ، وان افهم جيدا ما يمكن ان يشعر به الرجال والنساء والاطفال الذين يعيشون فى معسكرات بعيدين عن اراضيهم ، وان افهم ايضا رغبتهم العميقة فى العودة اليها ، وانا اعرف انكم تنظمون انفسكم للوصول الى الهدف ، وعلى ذلك وبسبب فهمي فان عواطفي معكم)

هذا الرجل هو الذي ياتي فى احرج ظروف الامة العربية وهي بصدد معركة المصير ليطعنها من الخلف، فيوقع عريضة هو ومجموعة من ادباء بلاده ، ملحين على حكومتهم ان تقف الى جانب اسرائيل ضد العرب.

وقضية الحرية بالنسبة للشعوب العربية وشعب فلسطين ، لا يمكن ان تقرر مصيرها عريضة يوقعها سارتر والف من امثاله ، وانما تقرره الشعوب العربية نفسها بكفاءتها الذاتية ، ورغم انوف اعداء الحرية ،

لكونها قضية عادلة ، وتسير من ورائها امة عظيمة اقسمت لتسترجعن حقها في الحياة الحرة الكريمة ولو تحالفت عليها كل قوى الشر . الا ان مما يحز في النفس ، ويشكك في قيمة المواقف التي يتخذها الادباء والمفكرون من القضايا العليا للانسانية ، ان يقف سارتر موقفه المخزي الحقير الذي لابد ان يحمل على اعادة النظر في صدق مواقفه الاخرى ازاء حرب الفيتنام والميز العنصري وما الى ذلك ، خصوصا اذا نحن عرفنا ان سارتر لا يفرق بين الوجهين النظري والعملي للثقافة ، فهما عنده شيء واحد ، الامر الذي يكذبه موقفه المشين هذا ، اذ لا يتطابق مع نظرياته في قضايا الحرية كمثقف وفيلسوف .

واذا كان الحق نسبيا احيانا ، فان القضية الفلسطينية حق مؤكد واضح لامراء فيه ، فلم يسبق للتاريخ ان عرف ماساة كماساة شعب فلسطين ، شعب عرف الطرد الجماعي من وطنه ، وفي اسوء الظروف ، وعلى مراى ومسمع من العالم اجمع ، العالم المتحضر ، في عصر العلم والمدنية والنور ، وفي القرن العشرين ، ليعيش على حدود بلاده تحت الخيام ، وعلى افضال المحسنين ، والاوغاد يتدفقون من كل انحاء العالم ليحتلوا بلده الذي عاش فيه قرونا طويلة . واذا كان سارتر يصر على انه مثقف حر في تفكيره ، فقد جاء موقفه من قضية العرب العليا العادلة ليطعن في مدى ايمانه برسالته بوصفه مثقفا ، وبالمعنى الذي يعطيه هو لكلمة الثقافة في كثير من كتبه ومقالاته .

واذا كان هذا راي سارتر في قضية فلسطين ، فهلا وجد من نفسه الشجاعة الكافية ليصارح اهل القضية يوم ان زارهم برايه الحقيقي ؟ الامر لا يخلو من احد احتمالين : اما انه كان يجاملهم وقت ان عبر لهم عن ايمانه بمشروعية قضيتهم ، وهذا يحمل دلالة لها مغزاها ، وهي انه منافق شان رجال السياسة لا شان رجال الفكر ، مما يتنافى مع اهم ميزات المثقف الحر ، وهي الصراحة في القول ، والشجاعة في الراي ، وهي لا اخلاقية ثقافية ياباها كل ذي ضمير حي ، واما انه كان صادقا معهم ، ولكنه خضع فيما بعد لعوامل اجنبية عن الفهم الصحيح للقضية عندما اتخذ منها موقفه السخيف . وفي هذه الحالة لا يكون هو ذلك المثقف المناضل عن قضايا الحرية ، والذي يتخذ سماته فيما ينشر على الناس من انتاج .

وهنا آن الأوان لنقول كلمة طالما هممنا بالجهر بها ، وهي ان سارتر افسد صفاء سلامة الفكر العربي الحديث ، بالنسبة للكثيرين من حملة الاقلام في البلاد العربية ، فهو المسؤول عما شاع في الادب العربي الحديث من امراض عقلية ضارة جدا ، تتركز في رفض المثل والقيم والمعتقدات الدينية ، في حين ان الامة العربية في امس الحاجة الى الدعوات البناءة الصادقة ، لانها بصدد بناء حاضرها ووضع تخطيط لمستقبلها ، واكثر اقطارها لم ينل استقلاله الا منذ وقت قريب . وهو المسؤول عما اندفع اليه شبابنا العربي في المغرب والمشرق من استهتار بكل المبادىء الخلقية ، وعدم التزام بقواعد مجتمعاتهم وشعوبهم ، فداسوا بالاقدام على كل السلطات من اخلاقية وتربوية واسروية ، وتمردوا على كل التقاليد والاعراف التي اثبت التاريخ صلاحيتها . اذ ان دعوة سارتر الى التحرر الكامل للفرد ، يتفق مع ما طبعت عليه نفوس الشباب من رغبة في التحلل من كل قيد ، فعملت عملها البغيض . وقد كنا ننظر مشفقين على الادب العربي والمجتمع العربي ان يصير نهبا لهذا الطاعون الفتاك ، وكان يؤلمنا ويملؤنا اسفا ان نرى بعض كبار المثقفين العرب يتبنون الدعوة الوجودية بالتاليف والترجمة والتعليق والشرح ، مما يزيد الشباب ايمانا بجدوى ارتمائهم في احضان المذهب الهدام . وقد عبر غير ما واحد من ادباء العربية عن استنكاره لهذه العدوى الوجودية السارية في اوصال الحياة الادبية ، ولكن ما كان لصوتهم ان يحد من هذا التيار ، لكثرة من جرفهم من الانصار والمعجبين . ولكن اليوم ، وبعد ان كشف فيلسوف الوجودية وابن الحضارة الفاجرة عن نواياه السيئة ، وعن كذبه الصراح ، يتجدد الامل ويقوى في ان تكون هذه مناسبة ياخذ فيها الفكر العربي باسباب التحرر من قبضة سارتر ، فترتخي شيئا فشيئا ، وتعود الى الفكر العربي اصالته وسلامته الصحية ، منطلقا من حاجات الوجود العربي ، ومدعما للامة العربية في نهوضها وتوثبها وانطلاقتها نحو غد افضل .

واذا كان من غير الممكن ان يسحب المثقفون العرب ما كتبوه عن سارتر وفلسفته لدخوله في حكم التاريخ وذمته ، فالمجال ما زال مفتوحا لتصحيح الاخطاء واستدراك ما فات ، « وان الرجوع الى الحق خيرمن التمادي في الباطل » اننا ناخذ سارتر بعمله ، لان العمل عنده لا ينفصل عن النظرية ، فقد قال في المحاضرة التي القاها بجامعة القاهرة في مارس الماضي والتي بعنوان (دور المثقفين في المجتمع المعاصر) ما نصه : (ان المثقف رجل معرفة ، الا انه رجل معرفة عملية لانه لا يوجد الان فرق حقيقي بين المعرفة النظرية والمعرفة العملية) ومن آرائه المعروفة أن مواقف الرجل هي التي تصنعه ، والمواقف العملية هي الميدان الذي

تختبر فيه نظريات المثقف وآراؤه ، فيظهر مقدار اقتناعه بها وايمانه بحدودها .

والرجل الذي ينصب المحاكم لمحاكمة الدول والحكومات ، ما احوجنا نحن المثقفين العرب الى ان ننصب محكمة لمقاضاته والتدليل على معاداته لقضايا الحرية كما تجلى ذلك في موقفه من قضية فلسطين . واحرى بالذي ينصب نفسه قاضيا يصدر احكامه على الآخرين ، ان يقف موقف المتهم ، اذا ارتكب جريمة من جرائم الفكر التي هي اشد بشاعة من الجرائم المادية . وما اخال المفكرين العرب الا فاعلين ، بل اننا لننتظر من المفكرين العاملين الاحرار ان يدخلوا في هذه المحاكمة ، ليقولوا فيها كلمتهم بصفتهم من حماة المعاني الانسانية والقيم الخالدة . ولعل المحاكمة قد بدات فعلا ، فقد وردت الانباء من بلاد عربية شقيقة بأن كتب سارتر صودرت او احرقت في الساحات العامة ، الا ان هذا النوع من المحاكمة الذي يكتسي صبغة الحكم والتنفيذ ، لا يغني عن المحاكمة الفكرية التي توقف سارتر في قفص الاتهام ، وتقاضيه بمنطق الحق والفلسفة التي نادى بها طيلة حياته الادبية .

ان لنا نحن العرب من رحابة الصدر وسعة الافق ، وبعد عن كل تعصب مقيت ، ما يجعلنا على استعداد لقراءة الادب ايا كان مصدره ، حتى ولو كان صادرا عن الد اعدائنا ، واشد خصومنا مجافاة لنا ، لكوننا ندرك الفرق بين ادب شعب ما ، وتصرفات افراد او هيئات او منظمات من هذا الشعب ، وقد قرات الشعوب العربية وتقرا كثيرا لاولئك الذين كانت دولهم تضع اقدامها على رقابها ، ولم يخطر ببال عربي قط ان يقاطع الادب الفرنسي او الانجليزي او الايطالي او الاسباني ، لانه قاسى كثيرا تحت وطأة دول الاستعمار الاوروبي . وعلى هذا ، فنحن على استعداد لنقرا لسارتر كما نقرا لغيره ، حتى بعد اساءته الى قضيتنا ، ولكن بشرط ان نتعامل معه من الآن فصاعدا تعاملا تكتنفه الحيطة والحذر ، وواجب ادباء العربية الكبار ان يعينوا الشباب العربي المثقف على اتخاذ تلك الحيطة وذلك الحذر مما يكتبه اكبر مدافع عن الحرية واكبر اعدائها في وقت واحد .

ولو ان العرب كانوا في حالة حرب مع دولة فيلسوف الوجودية ، لا مع الصهاينة ، وبقي محافظا على موقفه المعروف من قضايا الشعوب المظلومة ، لما اثر ذلك على مكانته في البلاد العربية على الاطلاق ، بل لربما ازداد العرب تقديرا له واحتفاء به ، ولكن اما وهو قد خرج عن طوره ضاما صوته الى الاصوات المنكرة ، فليس من سبيل الى استقراره في تلكم المكانة التي كان يتمتع بها عند الكثيرين من ادباء العرب وقرائهم قبل اليوم .

وهنا يجدر بنا ان نتساءل : ما هي الاسباب التي جعلت مفكر فرنسا الكبير يتخذ موقفه ذاك الغريب بين « مواقفه » المعروفة ؟ اهو جهل بالقضية العربية العليا ، واقتناع بوجهة النظر الاسرائيلية التي نالت من الشيوع ما لم تنله وجهة النظر العربية ؟ اننا نستبعد هذا لسببين : اولهما ان سارتر ليس من اولئك الذين يقفون مكتوفي الايدي ، في انتظار ان تسعى اليهم المعلومات المتعلقة بهذا الطرف او ذاك ، فالرجل معروف بالبحث الجاد عن اسرار المشاكل العالمية الكبرى . وثانيا لانه وقف بنفسه مؤخرا وفي مارس الماضي بالذات ، على المشكلة في واقعها الذي يدحض كل حجة يتسلح بها الخصم ، وقد اعترف صراحة وامام الملأ بعدالة القضية العربية في صراعها مع الصهيونية ، واعدا باصدار عدد من مجلته (العصور الحديثة) يحرره كتاب من العرب وكتاب من اسرائيل ، كل حسب وجهة نظره الخاصة ، دون ان يتدخل هو بابداء وجهة نظره ، اي انه سيقف موقف الحياد ، فاذا به يتحيز كلية وبكيفية عملية ، طالبا من حكومته ان تقف الى جانب اسرائيل ضد العرب . فاين نزاهة المفكر ، ورزانة الباحث المدقق ؟ واذا استبعدنا ان يكون سارتر جاهلا بجوهر القضية ، بقي لنا ان نتيقن او بالاحرى ان نرجح انه مطلع عليها اطلاعا يفوق المستوى العادي بكثير . وهنا تنتصب علامة استفهام كبيرة : هل راى سارتر ان اسرائيل هي صاحبة الحق الشرعي ، وانها تقف في مواجهة العرب موقف المظلوم من الظالم ؟ وكيف يصح هذا وابسط انسان في العالم يومن بالحق والعدالة والحرية ، لا يمكن أن يماري في ان العرب هم المظلومون في هذه القضية ، حتى الصهاينة انفسهم يعرفون ان الحق ليس في جانبهم ، وانهم غاصبون معتدون ، ولكن يصدهم عن الجهر بذلك ما عرف عنهم من تعصب بغيض ، وميل جارف الى الاقتصاص من الشعوب ، حتى تلك التي آوتهم وعدلت في معاملتهم ، مقابل ما نزل بهم من عذاب في احقاب التاريخ ، نتيجة لجرائمهم الشنعاء ، ولا ادل على ذلك من الكتابات الصادرة عن بعض الكتاب اليهود الذين كانوا اقوى من انفسهم فجاهروا بعدائهم للصهيونية معترفين بحق شعب فلسطين في العودة الى بلاده . ولا حاجة بي الى اعطاء امثلة على ذلك ، لانها معروفة لعدد كبير من

القراء . وما لنا نذهب بعيدا وهو نفسه قد صرح بما لا يدع مجالا للشك فى انه عرف حقيقة القضية العربية وتبين له وجه الصواب فيها ، عندما انهى زيارته لقطاع غـزة ؟

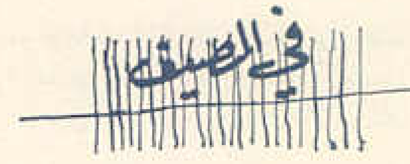
واذن لم يبق الا انه تأثر بنزعة اخرى بعيدة كل البعد عن الوعي الصحيح للقضية . فماذا تكون هذه النزعة ؟ انها الصهيونية ولا ريب . نعم هي الصهيونية ولا شيء غيرها وليست الصهيونية فى عرف الباحثين هي مجرد ان يكون الشخص يهوديا متعصبا للعرق ، مجندا نفسه لخدمة الصهيونية بكل ما يملك من وسائل ، فقد لا يكون الانسان يهوديا على الاطلاق ، ومع ذلك يوسم بانه صهيوني متى كان يساعد الصهيونية بطريقة من الطرق ، وهنا تبدو لنا الصهيونية فكرة قبل كل شيء ، تلطخ كل من يعمل لصالحها ، وعلى ذلك لا نبعد اذا قلنا ان سارتر صهيوني ، خصوصا اذا عرفنا ان لليهودية صلة ببعض الاصول المباشرة التي انحدر منها .

لقد عرف العالم اجمع موقف سارتر الثوري عندما كانت بلاده ترزح تحت الحكم النازي ، فهل رضي لبلاده ان يسقط فيها الحكم الوطني لتقع في قبضة الاستعمار ؟ وماذا يكون رايه اليوم لو ان احدا صارحه بأن النازية كانت صاحبة الحق فى احتلال بلاده ، حتى بعد مرور عدة سنين على ذلك الاحتلال ؟ لئن كان رد فعل سارتر مفروغا من الاتجاه الذي يسير فيه حينئذ ، فكيف به يقر المعتدي على عدوانه واغتصابه للارض التي ليست له ، ولا يكتفي بذلك ، بل هو يطلب تأييد المعتدي وتعزيز موقفه ؟

وان المتامل فى انتاج سارتر قبل هذه الازمة بمدة طويلة لواجد صلة بين موقفه القديم من « المسألة اليهودية » وموقفه الاخير من القضية الفلسطينية . فقد كتب سنة 1944 كتابه (اليهودي والمعادي للسامية) دافع فيه عن اليهود مناهضا العداء للسامية، وموضحا ان الصفات التي عرف بها اليهود عبر التاريخ ، انما هي ابنة الظروف التي صنعها الآخرون لهم ، والصورة التي وضعوها لهم ، وليست راجعة الى طبيعتهم الاصيلة ، واذا كنا نتفق مع سارتر فى الا يحتقر اليهود لانهم يهود ، فلسنا متفقين معه فى الشق الآخر من رايه فى المسألة اليهودية . والمهم فى هذا الصدد هو ان سارتر اذا كان ذا نزعة يهودية فى موقفه الفكري القديم ، فهو ذو نزعة صهيونية فى موقفه السياسي الحديث .

فـاس : عبد العلي الوزاني





الحقيقة غول

للأستاذ عبد القادر زمامة

كان احد الفلاسفة المعاصرين يجيب طلبته عن سؤال وجهوه اليه عن اسطورة الغول ! ولكنه ترك الجواب عن الغول لينتقل الى موضوع آخر ، فقال على الفور : يجب ان تعلموا ان (الحقيقة هي الغول) فكل الناس يفرون من الغول ، وكل الناس يفرون من الحقيقة ..

وزاد الفيلسوف قائلا ان الضعيف والمريض والمصاب والمفلس والضال والمخطىء والفاشل يفرون دائما من حقائقهم الواقعية لانها في نظرهم غول يفتك بهم ويطاردهم ويهولهم ، فهم دائما يلتمسون طريقا اخرى غير طريق الحقيقة ليعيشوا بعيدين عن واقعهم محلقين في دنيا اخرى من الاحلام والخيالات ، وكلما اشرف عليهم غول الحقيقة اغمضوا اعينهم وسدوا آذانهم وفروا الى حيث لا يرون ولا يسمعون .

وهذا امر واقع ليس له من دافع في حياة الافراد والجماعات فلو تصفحنا سجلات الجرائم والحوادث والمآسي والانحرافات الشخصية والاجتماعية لوجدنا ان الضعف الانساني لا يقف امام الحقائق ، وكثيرا ما يفر منها لانها قوية فينحرف في فراره ، وتلك هي المشكلة العويصة التي تولد مشاكل وربما مآسي وموبقات فبعد ما يشعر المرء انه في مستوى اجتماعي او فكري لا يرضى عنه نراه يحاول ما يملك من وسائل ، وحيل ان يغطي ذلك النقص بايهام الناس اولا ، وايهام نفسه ثانيا ، انه بمنجاة من النقص وبمنجاة من المستوى الذي لا يرضى عنه ، والحقيقة التي لا يجب ان تظهر للناس كما هي في الواقع ..

وهذا الموضوع تنبه الى اهميته كتاب القصة والمسرحية كما تنبه اليه الفلاسفة الاجتماعيون وعلماء التربية وعلم النفس ..

ولقد كتب برناردشو الكاتب الساخر عشرات الاقاصيص في الموضوع ملونا قصصه باللون الساخر العابث الذي يبحث عن عنصر النكتة في الموضوع .. والنكتة هنا وليدة التناقض ونتيجة التفاقل والفرار من غول الحقيقة الى دنيا الاوهام والخيالات ..

والحياة العصرية لها اثر فعال في تنمية الدوافع والاسباب التي تجعل الانسان يحاول الفرار من غول الحقيقة ..

فعالمنا يسير بل يطير في كل لحظة بفتوحات في العلم واساليب في الاقتصاد وطرق في المعاش والاكتساب واكتشافات واختراعات في كل ميدان من ميادين الحياة .. وهذا وضع يجعل الحياة صراعا عنيفا بين الافراد والجماعات . كما يجعل كل وسيلة من وسائل العيش مرتبطة بغيرها ارتباطا قويا بحيث لا مناص لنا من العمل في شتى الميادين ، ومن الصعب بل ومن المستحيل ان نكون اقوياء بالدرجة التي نريدها لانفسنا .. في جميع هذه الميادين ..

وهنا تاتي عبقرية الشجاعة لتقف امام غول الحقيقة ، لا تخشى ولا تلين .. فالانسان الذي يعرف الحقيقة عن نفسه وعن اوضاعه ويواجه الصعوبات والنقص ويظهر بمظهره الحقيقي ويعمل على ان يكون هو عين حقيقة نفسه جدير بان ينال تقديرنا واعجابنا

لانه انسان شجاع لا يفر من غول الحقيقة ، وذلك هو الانسان المثالي .

الى القمــــــر .. !!

قال صديقي الشاعر : ما ذا يحدث لو ان القمر اصبح (ارضا) مسكونة مثل ارضنا .. ؟ واصبحنا نسير اليه كما نسير الى قارة من قاراتنا الارضية .. ؟

قلت : ان القمر لن يكون بعد السكنى به كما كان من قبل .. فى اعين الناس ، ومنهم الشعراء بالطبع ..

فالقمر فى الشعر كان ملهما وانيسا ويتبوعا لشتى العواطف الشعرية فى مختلف الاجيال الماضية .. ونسجت الاساطير حوله قصصا واحاديث وخرافات كانت وما تزال تغذي المواهب الشعرية بتراث من الخيال الشعري عند الامم الغابرة .

والقمر فى العلم كان مصدر رصد طويل وحساب دقيق لحركات الافلاك القريبة والبعيدة حتى صارت حركته قياسا زمنيا فى السنة القمرية وحركات المد والجزر فى شواطيء البحار والانهار ..

والقمر فى الدين كان آية من آيات الله التي بثها فى ملكوته تجري بحسبان ، وعندها يلتقي الليل والنهار لقاء ازليا شاهدا على عظمة الخالق وحكمته الخالدة ..

فصديقي الشاعر يريد ان يقول ان القمر اذا زالت مكانته وانتهكت (حرمته) سوف لا يعود انيسا فى الوحشة .. ولا رفيقا فى الغربة .. ولا ملهما للشعراء .. ولا مصباحا للسامرين .. ولا موعدا للعاشقين .. ولا ضياء للسارين .. لا ، لا .. ايها الصديق الشاعر ، فالقمر لن يتبدل .. وانما الذي يتبدل هو شعورنا نحوه .. على ان الينبوع الشعري لا يغيض لمجرد ان الانسان غزا القمر واستطاع ان يثبت اقدامه فوق سطحه فى يوم من الايام .. فهناك اولا وقبل كل شيء القمر فى واقعه والقمر فى خيال الناس .. ومن حسن حظ الانسان ان له قدرة عجيبة على الفرار من غول الحقيقة كلما احس ان هذه الحقيقة تنغص عليه حياته او تقطع شريط احلامه الذهبية .

فالقمر خالد فىعواطفنا ما دمنا نملك هذه العواطف .. والقمر يعيش فى ذاكرتنا ما دمنا نملك هذه الذاكرة .. والقمر عنوان الجمال ما دمنا نملك الذوق الذي نقدر به هذا الجمال .

وسواء اصبح القمر عالما مسكونا او مهجورا فلن يغير ذلك من الواقع شيئا على ان موضوع غزو القمر سيصبح هو الاخر موضوعا شيقا لاقلام الكتاب ومواهب الشعراء .. فالفكرة نفسها (زيادة على مدلولها العلمي) لها ابعاد عميقة فى ضمير الانسان وخيال الانسان وفكر الانسان ..

ولعل الشعر لا ينسى قمر القرن العشرين بعد ان حاول العلم فى هذا القرن ان يمحو من ذاكرتنا كل شيء لا يمت الى الماديات بصلة ..

زوبعــة في كاس

آمنت ، ثم كفرت ، ثم آمنت، ثم كفرت بالحب .. وكان ايمانها لا يسير متئدا ولا هادئا .. وكان كفرها لا يمر سهلا عاديا .. ولكن لكل منهما طنين ورنين وزوبعة واعاصير .. فعند ما تقول انها مومنة بالحب تقيم شهيدا من لسانها وآخر من مظهرها وثالثا من حركاتها.

وعند ما تقول انها كافرة بالحب لا تقيم شهودا ولكنها تصبح لحنا ناشزا فى جوقة الحياة يؤذي كل اذن ويؤلم كل انسان ، ويتعب كل مخلوق .. من حيث يدري او لا يدري ..

وليس هنا مجال لمنطق ولا عقل ولا تفكير لان زمامها حطم المنطق وتجاهل العقل وصدم التفكير ..

فالحب جنة : والحب نار ! والحب شيء آخر ، ليس له اسم و لون ..

قال الصديق هذا وهو يتلهف ويصخب ويريد ان يقيم الدنيا ويقعدها مستنجدا بما يملك من لسان حاد وسخرية لاذعة وانتقاد مر ..

وقد حسب المسكين ــ سامحه الله ــ ان حياته ستمر كما يمر الماء الصافي فى النهر .. او كما يهب النسيم فى الصباح الباكر .

فقلت دعها تومن متى شاءت الايمان وتكفر متى شاءت الكفر ..

فهي زوبعة فى كاس .. اما انت فاعصار .. وكلاكما .. عادى جدا ..

فــن اللبــاس

الانسان ــ ذكرا او انثى ــ هو قبل كل اعتبار .. مظهر لا ترى العيون الا اياه .. فقبل ان اعرف مكانتك فى العلم او الادب او المال او الفن ارى مظهرك الخارجي من راسك الى قدمك ..

ولهذا كان اللباس هو العنوان الذي اقرأه قبل ان اقرا اي شيء آخر من مواهبك او افكارك او مكانتــك الاجتماعية ..

والمراة هنا والرجل سواء ما دمنا نعيش في عصر فتح ميادين الحياة كلها امامنا جميعا لنتعارف ونتعاون ونتصادم احيانا من اجل انجاز ضروريتنا في المعاش اليومي والدولاب الاجتماعي الذي ندور فيــه صبــاح مساء في الشارع والمكتب والمعهد والمصنع وفي كل مكان.

فلباسنا عادة يكون كثيفا و ــ مغلوقا ــ كلما كنا نعيش في فترة الشتاء .. وهو عادة خفيف وقصيــر و (مفتوح) كلما كنا نعيش في فتــرة الصيــف .. وفي الفترات الاخرى يكون بين حسب الاذواق والحاجات والمناسبات ..

ولبنات حواء هنا عبقريات ومواهب تتفتح كــل يوم عن ابتكار واختراع في عالم الازياء الذي يطفح كل يوم بالجديد من الالوان والانواع الموافقــة (لموضــة) الصيف والخريف والشتاء والربيع ..

وهنا يقف الانسان متسائلا :

هل يلبس الانســان ما يوافق ذوقه وحاجتــه أم يلبس ما يوافق ذوق الناس وما يرونه مناسبا ؟ كمــا يتساءل ...

هل هناك مقاييس عند تصميم الازياء للرجــال والنســاء .. ام هناك رغبات ودوافع .. ؟ او بعبــارة ادق ...

هل هناك تصميم يجب ان يكون (عالميا) أم هناك ذوق يجب ان يكون محليا .. ؟ وعند جوابنا عن هــذه الاسئلة نجد انفسنا في حرج لا مناص لنا من الاعتراف به .. ولا نذيع سرا اذا قلنا ان الازياء اصبحت (حتى في عواصم الفن والذوق) محــل انتقاد من الرجــال والنساء على الســواء ، ولا ندخل في التفاصيل ، وانمــا نعطي فكرة موضوعية نرجو ان تكون مفيدة ..

وهذه الفكرة تتلخص في شيئين :

اولا : ان ملابسنــا ليســت غاية ولكنها وسيلــة لاظهارنا بمظهر لائق جميل ومحترم في الوقت ذاته ..

ثانيا : ان الملابس يجب ــ ذوقيا ــ الا تهدف الى شيء آخر غير المظهر المقبول والسمت المحترم .. الذي لا يؤذي ولا يحرج الغير .. ولا يلفت الانظار ..

اما ان تصبح الملابس عنوان اغراء وسبب اعــلان عن الذات .. وغاية من الغايات فهو ما ينتقده كل من يحترم الانســان ويسمو به سواء كان ذكرا او انثى عن التسفل الى الحضيض الذي يتردى فيه كل من يحاول ان يجعل من ملابسه شيئا آخر غير الملابس ... !!

ـــ السـراب ـــ

كان علماء النفس يتحدثون عن السر في سعــادة الناس وشقوتهم من الناحية النفسية طبعا .. وكانوا يصورون السعادة ــ شعورا ــ ذاتيا خاصا في حقيقته قبل ان يكون اي شيء آخر .

وفي احدى الجامعات التي تهتم بدراسة الفلسفة وعلم النفس جلس استاذ قدير لــه خبــرة ومعرفــة ليحاضر طلبته عن السعادة ... وكان يبــدو من أول كلمة في محاضراته انه متفائل اكثر من اللازم ... وانه سعيد اكثر من الواقع وانه يريد ان يقنع طلبته اقناعا حقيقيا بانه مثالي ومتمتع بالســعــادة التي فقــدها المتشائمون والعصبيون واهل المطامع .. واصحــاب المطامــح .

وكان محور حديثه يدور حول اسس عملية يجب ان تتوفر لطالب السعادة في هذه الحياة ... وبدونها لا يمكن ان يكون سعيدا ... وبدونهــا لا امــل له في ان يقطف زهرة من زهرات الحياة الناعمة ... والعيش الرغيــد ..

وهذه الاشياء لخصها الاستاذ لطلبته في ثلاث نقط هي :

شيء نعمله ... وشيء نحبه ... وشيء نطمح اليــه ..

فالعمل .. والحب .. والطموح .. هي الاركان الاساسية للسعادة ..

ثم راح الاستاذ يناقش ويحلــل هذه الاركــان تحليلا اكاديميا .. ويحدد الاسماء والمسميات .. وهو في اثناء ذلك يضرب الامثال .. ويوزع الملاحظات .. ويزيف اقوال واعمال المتشائمين الذين يحملون المنظار الاسود على عيونهم فلا يرون في حياتهم الا عبئا ثقيلا وجسرا طويلا من الاحزان والاكدار والتعــب .. ولا يرون في اعمالهم الا فلما غريبا مزعجا يبتدىء (بالوعوعة) يوم الميلاد .. وينتهي (بالغرغرة) يوم الممات .

واخذت المحاضرة ساعة من الزمان عاش فيهــا الطلاب على اعصابهم .. يهزون رؤوسهــم تــارة ..

ويهزون اكتافهم اخرى باستثناء طالب كان يجلس في الصف الامامي .. كان يبدو عليه انه مهتم بالموضوع وبآراء الاستاذ فيه .. وكانت بيده كراسة وقلم وهو يسجل ما يظهر له من آراء ويهيء اسئلة ليلقيها على الاستاذ مستفهما مستوضحا او طالبا مزيدا من الشرح والتحليــــل ..

وانتهت المحاضرة وفتح الاستاذ باب المناقشة .. واشرابت اعناق الطلبة الى زميلهم الذي كان يبدو ان اسئلته ستكون دقيقة ومفيــدة .. وارهفت الآذان استعدادا لاجوبة الاستاذ ..

فرفع الطالب اصبعه وانتصب واقفا وجمــع اوراقه وتوجه الى الاستاذ بهذا الاقتراح الغريب وهو :

ـ ارجو يا سيدي الاستاذ ان تنتبهوا الى الحيرة والدهشة اللتين استولتا علينا منذ انرايناكم وسمعناكم تجعلون عنوان محاضرتكم ـ السعادة ـ والحالة هذه وانتم تتكلمون عن ـ السراب ـ .

وارتجت القاعة بتصفيق الطلبـــة ..

ولم تهدا العاصفة الا بعد ان اخذ الكلمة الاستاذ المحاضر .. واعتذر لهم عن هذا الخطا الغير مقصود .

واسرع الى الباب طالبا النجاة ..

قرات هذا في احدى المجلات فالقيت على نفسي هذا السؤال ..

اين يبتدىء الحق في هذه القضية .. واين ينتهي البـــاطــــل .. ؟

وفورا وجدت نفسي مقتنعة ان الانسان اذا فقد الايمان بالحياة .. وفقد شعوره بما فيها .. من معان نبيلة زائدة عن المادة .. فان السعادة تصبح امامــه ـ ســـرابــــا ـ .

وتلك مأساة الانسان في هذا العصر .

حرب الاجيــال .. وحرب الايــام ..

كل جيل من الناس تدفعه حتمية الحياة الى انواع من التجربة .. وضروب من التفكير .. يشاهد بهـا ميلاد اشياء .. ومصرع اخرى .. ويعيش حـوادث تطبع تصرفاته بطابع خاص .. وكل جيل تأبى عليـــه انانيته الا ان يقول : ان الجيل الصاعد في وجهـه عاق لا يعترف بالجميل ولا يحترم افكار السابقين .. ولا يقدر مواهبهم .. ولا يحافظ على التراث الذي ابدعوه في العلم والادب والفن .. وسائر ضــروب النشـــاط الانساني .. اما الجيل الصاعد فهو بدوره لا يرى في الجيل (الهابط الا جسرا يؤدي مهمته .. ثم ينتهي .. ليفسح الطريق امام ضغط الحياة وتزاحم الاحياء .. وبطبيعة الحال لا يعرف كل جيل من الجيلين اين تنتهي مهمة (الهابطين) واين تبتدىء مهمة (الصاعدين) ومن اجل ذلك تحتدم معركة الصراع دفاعا عن النفس واثباتا للـــذات ..

وليس ضروريا ان تكون المعركة حامية الوطيس بل ان حرب الاجيال تتم في شتى الميادين وتدور رحاهـا بين الرجال بعضهم مع بعض .. وبين النساء بعضهن مع بعض .. وبين هؤلاء واولئك .. في برودة ولباقة .. احيانا ولا يدري الغالب ولا المغلوب .. انه يفعل شيئا زائدا عما يفرضه الواجب .. وما توحى به (طبيعة) الاشيـــاء ..

ولعل في منظر معارض الازياء .. وفي واجهات المتاجر .. وفي اي مكان يكون مفروضا فيه ان يضـم افرادا من هذا الجيل .. وآخرين من الجيل السابق .. ما يوحي الينا بمظهر من مظاهر حرب الاجيال .. اما في عالم الفكر والثقافة .. واما في عالم السباق العلمي .. فليس هناك حرب الاجيال .. لان العلم والثقافـة وما اليهما من مبتكرات اصبحت متحركة متطورة اكثر من اي شيء آخر .. فالحرب فيها حرب الايام والساعات .. ففي كل يوم (يقفز) العلم .. وفي كل يوم (تقفز) الثقافة .. وبطبيعة الحال بمحو اللاحق آثار السابق .. وتلك حرب الايام .

فـــاس : عبد القادر زمامـــة

اجتهاد القضاء العصري

وكيف تستفيد منه ...

للأستاذ أحمد باكو

— 1 —

يسن التشريع عادة، في قواعد كلية، توضع لتسري على جميع الناس، وتحسم كل ما عسى ان ينشأ عن علاقاتهم الاجتماعية من انواع النزاع. وتكون هذه القواعد مظروفة في الفاظ لغوية وجيزة مركزة، قد تخل بالمعنى لقصور اللغة، وتعرض المشرع للسهو والخطأ في التعبير

ويتم وضع التشريع في زمان ومكان محدودين لزمان ومكان غير محدودين، وفي غياب تام عن الاقضية التي يتناولها بالتنظيم والفصل؛ فطبيعة التشريع تقتضي ان توضع قواعده في تاريخ معين، وان تتولى وضعه هياة معينة، في مكان معين، ولو انه يستهدف أن يعم الناس والزمان والمكان. ولهذا يستحيل ان نتصور تشريعا ينتظر طروّ « القضية » ليشرع لها الحل ويخصها واطرافها بحكم، او تشريعا ينشا في مكان لقضية، او من اذهان اشخاص من بيئتها؛ اذ ان في ذلك كله قلبا لحقيقة القانون عموما، ونفيا للتجريد الذي يعتبر من خصائص القاعدة القانونية، وبهذا يختلف التشريع عن الاحكام القضائية التي تنشا مع القضية زمانا في كل الاحيان، ومكانا وبيئة في بعض الاحيان؛ فلا يقع النطق بالحكم الا في قضية يعرض نزاعها على القضاء ليفصل فيه، كما ان الغالب عملا ان تعرض القضية على محكمة مكانها، وقد يتولى الفصل فيها قضاة من مكانها كذلك.

ونتيجة كل هذا ان النص القانوني الذي يعينه المشرع للفصل في اقضية الناس، لا يمكن ان يجيء على الصورة المثالية التي نتخيلها ونرجوها جميعا، وهي ان يكون واضحا لا لبس فيه، ناقلا كل المعنى الذي اراده المشرع، صالحا لكل انواع النزاع وكل انواع الاقضية التي تتفرع عنه؛ فاللغة مهما بلغت دقتها قاصرة عن التعبير، لاتستطيع دائما ان تسع كل ما يريد الواضع ان يحملها من معان؛ وبشرية المشرع تعرضه للخطأ والسهو والنسيان، وتعجزه عن استحضار كل انواع النزاع التي ستحدث، ليكون النص جامعا لها كلها، صالحا لها كلها؛ ولا تستطيع هياة تشريعية، مهما بلغت فطنتها ومعرفتها، ان تعطي نصوصا لا تختلف المحاكم في تطبيقها، ولا يختلف الفقهاء في فهمها وشرحها، ولا تستعصي على التكيف مع بعض انواع النزاع التي تحدث بين الناس في علاقاتهم الاجتماعية.

— 2 —

ولكن كل ما يقصر او يعجز عنه المشرع، يطيقه القضاء ويكمله؛ فمن طبيعة القضاء ان يصدر حكمه، بعد ان يشجر النزاع وترفع اليه القضية ويتناضل فيها الخصوم أمامه؛ ومن طبيعته أن يبحث القاضي اول ما يبحث في تكييف القضية تمهيدا لتنزيل النصوص على الوقائع وتطبيق القانون؛ ومن طبيعته كذلك، ان احكامه قابلة لانواع متعددة من المراجعة تمتحن بها فتؤيد او تعدل او تلغى، فلا يرتقي الى الحجية التي يكتسبها، الا بعد ان يختبر عدة مرات؛ ومن طبيعته اخيرا، ان القاضي ملزم بالحكم فيما يعرض عليه، ولو

افتقد في التشريع نصا يعين الحل ويحسم النزاع ، فالنكول عن الحكم امر لا يجوز ، بل مجرم بنص القانون (1)

وبهذه الخصائص ، كان القضاء قادرا على ان يستدرك على التشريع كل ما فاته وكل ما عجز او سها عنه او اخطأ فيه ؛ فبها يستطيع ان يوضح ما غمض من الفاظ النص ، فيعين مدلوله الذي يجب الاخذ به دون سواه ؛ وبها يستطيع ان يصوب ما اخطأ المشرع التعبير عنه ، او قصرت اللغة بطبيعتها عن نقله ، وبها يستطيع ان يصلح اغلاط المشرع المادية التي تشوب النصوص القانونية في كثير من الاحيان .

على ان هذه الخصائص تجريء القضاء احيانا ، على ما هو ابعد حين يكتشف القاضي ، ان تطبيق النص الذي يعينه التكييف ، لايعطي حكما عادلا في القضية، لظروف مكانية او زمانية او شخصية . وتجرئه اكثر من هذا على ان يحكم براي من عنده حين تعرض عليه نازلة لم ينظمها المشرع بنص لكونه سها عن ذلك او لكون القضية جدت بعد الوضع ؛ فهنا يبتكر القاضي من اجتهاده حكما يحسم النزاع مستهديا بقواعد العدالة ؛ وهنا نفاجأ بالقاضي يحل محل المشرع فتزدوج مهمته ويقوم بتكليفين اثنين : اختيار حل من اجتهاده ، وتطبيقه على النازلة ؛ وهنا تعظم مهمة القاضي في المجتمع وتسمو الى اعلى مقام . وما زالت القبلة التي طبعها النبي صلى الله عليه وسلم على جبين رسوله معاذ بن جبل ، حين استقضاه على اليمن ، اعجابا بتوفقه الى وجوب الاجتهاد والراي عند انعدام النص ... ما زالت هذه القبلة خير تكريم ، واسمى اعتبار للقضاء في هذا المقام ، وخير دليل يبرز جلال الغنم الذي يجنيه المجتمع ، حين يقوم القضاء برتق الشقاق بين افراده وحسم النزاع بينهم .

وقد ادرك المشرع قيمة ما يضيفه القضاء الى النصوص من تكميل وتحسين وتعديل ، فحرص ان يملي له في ذلك ما وسعه الاملاء . ولذلك جعل من الشروط الاساسية التي يجب مراعاتها في التقنين ، ان يقتصر فيه على المبادىء العامة دون الجزئيات ، وان تصاغ قواعده في مرونة تسع اجتهاد القاضي عند التطبيق (2)

وللقضاء ميدان آخر يخدم فيه القانون ويمهد له ، هو ميدان العرف ، صنو التشريع . فكثيرا ما يضع باحكامه بذور العرف بين الناس ، فقد يؤدي استقرار المحاكم على قضاء معين الى ان يختاره الافراد قاعدة لمعاملاتهم ويؤدي تكاثرهم واطرادهم عليه الى ان ترسخ في نفوسهم فيتولد عندهم الشعور باحترامها ، فينشأ من ذلك عرف ملزم ، ويصير ما كان قبل قضاء غير ملزم قانونا يلزم الاطراف وتحكم به المحكمة وجوبا (3). وعندما يحكم القاضي بعرف يحقق فائدة لاتقل عن الاولى ، هي تسجيل العرف وتثبيته ، فيرتفع حوله النزاع ، ويصبح له وجود قانوني بعد ان كان شائعا غير مقطوع بتحقق اركانه . وتعظم اهمية هذه الفائدة اذا علمنا ان اهم عيوب العرف هي صعوبة التثبت من وجوده (4) . وقد ذهب بعض الفقهاء لهذا ، الى اعتبار حكم القضاء بالعرف لازما لتكونه ، وانه لا يصير قانونا الا اذا طبقه القاضي (5)

— 3 —

كل هذا الكلام على اهميته ، انما نريد ان نمهد به لمعالجة قضية جديرة بكثير من الاهتمام هي قضية اجتهاد « القضاء العصري » الذي انتجه الفرنسيون ، خلال المدة التي تولوا فيها تطبيق المدونات القانونية المغربية ، وهي تجاوز نصف قرن (1913 — 1965) . فلا جدال في ان التشريعات المغربية لم تسلم من العيوب والشوائب التي سبق ان لاحظنا انها لازمة كل تشريع . ففيها كثير من النصوص الغامضة التي لم تفصح بالدرجة اللازمة عن نية المشرع ، لسبب من الاسباب

1) الفصل ، 24 من ق.ج.م. « كل قاض او موظف عمومي له اختصاصات قضائية ، امتنع من الفصل بين الخصوم ، لاي سبب كان ، ولو تعلل بسكوت القانون او غموضه وصمم على الامتناع بعد الطلب القانوني الذي قدم اليه ، ورغم الامر الصادر اليه من رؤسائه ، يمكن ان يتابع او يحكم عليه بغرامة من مائتين او خمسين الى الفين وخمسمائة درهم على الاكثر وبالحرمان من تولي الوظائف العمومية من سنة الى عشر سنوات »

2) د. عبد الفتاح عبد الباقي نظرية القانون الطبعة الرابعة ص 172

3) المصدر السابق ص 186

4) المرجع السابق ص 178 و 186

5) المرجع السابق ص 185

التي سبق ان اشرنا اليها . ويخشى ان يكون غموضها قد ازداد كما وكيفا بسبب الترجمة . كما ان هذه التشريعات لم تخل من اخطاء مادية اومعنوية ارتكبها المشرع . ويتأكد هذا اذا تذكرنا ان كل تشريعاتنا المكتوبة وضعت بطريقة « ادارية » من غير ان تتولى وضعها سلطة تشريعية تتداول فيها وتعرضها للنقاش المفتوح والجدال العام ، وما يؤدي اليه من مراجعة وتنقيح . ومن الاكيد ان المشرع المغربي سار على النهج المألوف في التقنين ، فنص على الكليات ، وترك كثيرا من الجزئيات للقضاء يتصرف فيها حسب ظروف مكان الخصام وزمانه واشخاصه وغير ذلك من الاعتبارات(1) وآكد من هذا انه احال على العرف في كثير من المناسبات وخصوصا في المواد التجارية . ولا نفترض مستحيلا ، اذا قلنا ان المشرع ، قد يكون سكت عن مسائل يجب النص عليها ، لسهو منه ، او لكونها جدت بعد الوضع . وهذا من النقص الذي يستدركه القضاء ويكمله .

وقد اهتم القضاء الفرنسي ثم العصري بالاحكام التي كان يصدرها ، فداب على نشرها في نشرات تصدر بانتظام ، كما داب على تدوينها مبوبة مفهرسة في مجموعات ؛ فهناك احكام المحاكم « الابتدائية » ، وهناك قرارات محكمة الاستئناف بالرباط وغيرها ؛ ثم هناك قرارات محكمة النقض بفرنسا فيما كان يطبق فيه امامها من احكام المحاكم المغربية ، ثم احكام « القسم العصري » بالمجلس الاعلى . وفي كل هذا ثروة علمية هائلة نفترض ان فيها ما يوضح التشريع المغربي ويفسره ويكمله . ومن المتوقع أن تكون هذه الاحكام قد سجلت كثيرا من الاعراف التجارية وغيرها ، فرفعت عنها التنكير وطهرتها من النزاع .

— 4 —

ولا يكاد يوجد قانون من قوانيننا النافذة يستغني عن الاحكام القضائية المطبقة له تطبيقا صحيحا ، يرفع اشكاله ويفسر غامضه ويكمل نقصه ، فهناك مدونة العقود والالتزامات التي تضم قواعد القانون المدني التي تهيمن على جميع فروع القانون الاخرى ، باعتبارها اصلا لها وقد وضعت وضعا « اداريا » كغيرها ، وورثت من زمانها والاشخاص الذين وضعوها والقانون الفرنسي الذي قلدته (2) ما لابد أن يتسم به كل تشريع وضعي من قصور ، عسى ان تكون الاحكام الصادرة في تطبيقها قد ازالته بالتوضيح والتكميل والتعديل .

ومثل هذا يقال عن قانون المسطرة المدنية ، الذي صدر مع قانون العقود في وقت واحد ، وفي ظروف متشابهة ، والذي ينظم اسلوب التداعي ويبين كيفية استعمال الدعوى التي هي السبيل الى حماية حقوق الناس . وربما تكون قواعدها لهذه الاسباب ، اخطر وادق ، وبه تكون الاحكام المطبقة لها اهم من كل ما عداها . وتاتي في الدرجة الاولى منها ، الاحكام الصادرة في مسائل الاختصاص ، اذ أن التنازع بين المحاكم في الاختصاص ، يؤدي ، في غالب الاحيان ، الى تاخير الفصل في الدعوى ، بدرجة قد تقنط صاحب

---

1) يبدو أن المشرع لم يسلك هذا النهج الا بالنسبة للمدونات الرئيسية كقانون العقد والالتزامات وقانون المسطرة المدنية والقانون التجاري ، والقانون العقاري ، واما في غيرها من القوانين ، فقد حاد عن قواعد التقنين وكتب باسلوب يعتمد على التقرير والتفصيل المفرط والاستطراد الى كثير من الجزئيات والاطناب الذي لايستدعيه المقام ، ويهمل التبويب والتنظيم والمرونة في الصياغة . ويحيل للتكميل لذلك، على ظهير 31 ديسمبر 1914 المتعلق ببيع المحلات التجارية ورهنها ، حيث نجد أن الفصل الواحد يكاد يستغرق صفحتين احيانا من غير ان يجزأ على الاقل الى فقرات تنظم محتوياته .

2) يمكن التمثيل للاخطاء الموروثة عن القانون الفرنسي بنص الفصل 448 من قانون العقود والالتزامات الذي يجعل « اشباه العقود والجرائم » من الحالات التي يجوز اثباتها بغير الدليل الكتابي استثناء . وهو خطأ مشهور في القانون الفرنسي ارتكبه المشرع المغربي تقليدا ، لان الجرائم واشباه العقود وقائع يجوز اثباتها بكل الطرق ، فاستثناؤها من قاعدة لزوم الدليل الكتابي خطا ، لان القاعدة لاتسري عليها (انظر مجموعة الاعمال التحضيرية للقانون المدني المصري ج 3 ص 412) والجدير بالذكر ، اضافة الى ما سلف ، ان المشرع اجمل فيه القول بالنسبة للمانع الادبي اجمالا مخلا يكاد يخفيه عن الفهم ، وكان ينبغي ابرازه نظرا لاهميته في العمل . وبذلك يكون هذا الفصل نموذجا للنصوص التي تحتاج احتياجا الى الاحكام القضائية المصوبة لاخطائها والمفصلة لاجمالها (قارن الفصل المذكور بالمادة 403 من القانون المدني المصري)

الحق من نيل حقه . واذا علمنا ان مقاييس الاختصاص بين محاكم السدد والمحاكم الاقليمية ، قد تغيرت منذ تعميم قانون المسطرة المدنية ، واذا افترضنا ما هو متوقع من نشوء تشاح فى الاختصاص ، ادركنا القيمة الكبرى التي للاحكام المطبقة لقواعد الاختصاص والفاصلة فى التنازع السلبي والايجابي الذي يشجر بين المحاكم عادة .

وتعتبر قواعد البطلان فى المسطرة موضوعا مهما يساوي موضوع الاختصاص او يكاد ؛ لانها مثله من الشكليات التي يعوق الاشكال فيها النظر فى موضوع القضية ، والحكم الذي الحق فيها ، مهما يقم لحقه من حجة ، اذ ان الحكم فى موضوع الدعوى فرع عن قبولها شكلا . ومن المعلوم ان المشرع جاء فى اخريات قانون المسطرة ونص فى الفصل 549 على « ان حالات البطلان ، او الاخلال بالشكليات ، او اجراءات المسطرة التي تنتج من مخالفة احكام هذا الظهير ، يقررها القاضي ، مراعيا ظروف الحال ومصلحة الخصوم »

ومفهوم ان النص يفيد ان الاخلال بالاوامر والنواهي الشكلية فى المسطرة ، لايؤدي حتما الى رد الدعوى وعدم قبولها ، ولكن الامر فى ذلك موكول الى القضاء يقدر فى كل حالة ما اذا كان الشكل المنخرم مؤثرا فى الدعوى موجبا لعدم قبولها ، او غير مؤثر ، فتبقى الدعوى مع ذلك سليمة مقبولة للنظر فى موضوعها . وقد تعدى القضاء فى كل التشريعات التي اختارت هذا النهج فى البطلان ، لوضع عدة قواعد ومعايير فى هذا الموضوع . والمرجو أن يكون القضاء الفرنسي ثم العصري ، قد سار على هذا النهج فترك عدة سوابق تمهد للفصل فى الاخلال باجراءات المسطرة، وتفقد فى ذلك القواعد التي تقرب القضاء الى العدل ، والمتقاضين الى حقوقهم . ولا شك فى الفوائد التي ستحققها هذه السوابق ، اذا وضعت امام القضاء المغربي ليستهدي بها فى هذا الموضوع الدقيق .

ويتميز القانون التجاري بكثرة احتكامه الى العرف كما هو معلوم . وقد سلف ان القضاء ينشر العرف بين الناس عندما يصطلحون على احكامه عرفا بينهم ، وانه يسجل العرف عندما يحكم به فيرفع عنه التنكير ويطهره من النزاع . ومن ذلك يتجلى النفع الكبير الذي يذخره الاجتهاد القضائي الصادر فى المواد التجارية ؛ اذ لاريب فى أنه سجل اعرافا كثيرة ينبغي ان تكون فى تناول الاطلاع ليسهل الرجوع اليها والتاكد منها عند الاحالة عليها من المتقاضين .

ولا حاجة الى الاسهاب والاستطراد ؛ فلن نستطيع الاستقصاء مهما اسهبنا واستطردنا . بيد انه لابد من الاشارة الى مجال تعظم اهمية السوابق القضائية بدرجة خطيرة ، هو مجال **القضاء المستعجل**. فمن المعلوم ان مغزى ايثار المستعجلات بمسطرة خاصة ، هو عنصر الاستعجال الذي تتميز به ويجعلها لا تطبق الاجراءات العادية وما فيها من بطء . ومن **المعلوم كذلك ان المشرع حدد الاستعجال بمعيار موضوعي مرن ، من غير أن يحصر حالاته بنص** . ومن هنا نتصور الفوائد الجليلة التي تدخرها السوابق القضائية فى هذا المجال . فلا ريب انها تمكن من اقتصاد كثير من الجهد بما تعرضه من نماذج ونظائر فى موضوع موكول الى جهد القاضي واجتهاده ، كما أنها تمكن بذلك من اقتصاد كثير من الوقت فى نزاع يعتبر حسمه بسرعة مناط العدالة فيه .

وتبقى اهمية السوابق القضائية حتى بالنسبة لنوع القضايا التي أسند المشرع اختصاص النظر فيها الى قاضي المستعجلات بالنص . فلا شك ان الباعث على ادخال هذه القضايا باجراءاتها وموضوعها ، في اختصاص القضاء المستعجل ، هو رغبة المشرع في ايثارها بمسطرته المستعجلة . وهناك عدة تشريعات اسند المشرع تطبيقها لقاضي المستعجلات ، نخص بالذكر منها ، تشريعات الكراء من تجارية وغيرها . وتبدو خطورة احكام القضاء المستعجل ، فى مسائل هذه التشريعات ، فى انها لا تقتصر على الاجراءات المؤقتة او التحفظية كما هو الاصل فى القضاء المستعجل ، بل ان احكامه فيها تنفذ الى الموضوع وتفصل فيه ، كما يفصل القضاء العادي تماما . ولا ريب ان تحقيق هدف المشرع فى هذه القضايا يدعو الى ان تكون الاحكام الصادرة فيها ابتدائيا مستقرة غير مهددة بالالغاء او التعديل فى الدرجة الثانية او النقض . وهذا امر يؤكد حتمية الاستهداء بالسوابق القضائية وما تسجله من نماذج واحكام وقواعد .

— 5 —

على هدي ما سلف تتقرر لدينا حقيقة لا جدال فيها ، ولا يجوز ان تكون محل جدال ، هي وجوب وضع اجتهاد القضاء العصري ، فى متناول القضاء المغربي ليستهدى به في تطبيق النصوص التشريعية التي تولى تطبيقها ، بعد ان اصبحت عامة تطبق على الجميع بدون ميز . وطبيعي ان التكليف بهذا يتوجه اول ما يتوجه الى وزارة العدل ؛ فهي المختصة بالامر ، وهي الملزمة به دون غيرها . وبديهي ان السبيل للقيام بهذا

العمل ينحصر فى رفع العجمة عن القضاء المذكور بترجمة هذه الاحكام المدونة الآن فى عدة مجموعات غير مجهولة المظان . ولكن ترجمة كل ما جمع من هذه الاحكام ، يأخذ وقتا طويلا لايطيقه الاستعجال الذي يتطلبه الامر ، بل ربما يكون من هذه الاحكام ما هو مكرر لاحكام سابقة أو مكرر بأحكام لاحقة ، فيكون في ترجمة حكم منها اغناء عن الباقي (1) . وربما يكون فيها عنو آخر لا تدعو الحاجة لتحمل مشقة ترجمته ونشره لاسباب يظهرها البحث والاستقراء . ومن ذلك يبدو أنه لا بد قبل الترجمة من اجراء تمهيدي ، يستهدف اجراء استقراء على هذه الاحكام ينتهي بانتخاب ما تدعو الحاجة الى تقريبه الى قضاتنا بالترجمة والنشر . وهنا لابد من معرفة القياس الذي يعين ما يجب اختياره من هذه الاحكام وما لا يجب . وهناك مقياس شكلي ينظر الى درجة المحكمة التي اصدرت الحكم . وبناء عليه تكون احكام محكمة النقض الفرنسية الصادرة فى القضايا المغربية ، واحكام « القسم العصري » من المجلس الاعلى هي أول ما يجب اختياره والبدء به . وهناك مقياس آخر يسهل درجة المحكمة المصدرة للحكم ويعتمد نوع القضية التي يفصل فيها الحكم ، من كونها مما يروج كثيرا ، او كون الحق المطلوب فيها ذا اهمية معينة او كون الراي الذي تعرضه ذا قيمة علمية عالية ، أو غير ذلك من الاعتبارات . وربما يكون من الاوفق والاصلح الا يقتصر على مقياس واحد من هذين ، بل يستهدى بهما معا ، لتحقيق نوع من من التكامل فى الاختيار ؛ اذ ان كلا منهما يحقق نفعا لا يحققه الآخر ، وكلا منهما يجلب عيبا يدفعه الآخر . وكيفما كان النهج الذي سيسلك ، فانه يجدر الانتباه الى أن لهذه الاحكام ترتيبا آخر فى الاهمية ، باعتبار الغاية من ترجمتها ونشرها . واذا لاحظنا أن الهدف من ذلك هو وضع مدخل امام القضاء المغربي يمهد سبيل الوصول الى حكم عادل للقضية المعروضة ويوفر الجهد والوقت ويقلل الخطأ فى الاجتهاد . . . اذا لاحظنا هذا ، اتضح لنا أن انجاز هذا الامر يتوقف على انتخاب آخر يرفع الى المقدمة احكام الشكل الباتة فى تنازع الاختصاص بنوعيه ، ويلحق بها الاحكام الصادرة فى العلاقات ذات العنصر الاجنبي ، التي تثير موضوع تنازع القوانين . وترتفع الى هذه المنزلة ايضا الاحكام المقررة لمعيار البطلان فى المسطرة المدنية والمبنية لجزاء الاخلال بالاوامر والنواهي الشكلية فيها وما يؤدي منها الى بطلان الدعوى وما لا يؤدي . وترتفع الى هذه المنزلة كذلك الاحكام المفسرة لنص غامض او مبهم والاحكام المصوبة لخطأ مادي أو معنوي وقع فيه المشرع والاحكام المفصلة لما اجمله النص والباتة فى الجزئيات الدقيقة التي يتركها المشرع عادة للقضاء . وترتفع الى هذه المنزلة أخيرا ، الاحكام الاستعجالية الناشرة لامثلة الاستعجال ونماذجه والمفصلة لما اجمله الفصل 319 من قانون المسطرة المدنية ، والمطبقة لظهائر المستعجلات الكرائية وغيرها.

وتستطيع وزارة العدل بالجمع بين هذه المقاييس أن تنتخب مجموعة من الاحكام متنوعة متعددة المواضع تكون مدخلا بين يدي قضاتنا تقلل الخطأ فى اجتهادهم، وتقربهم الى العدل فى احكامهم ، وتقرب المتقاضين الى حقوقهم وتحقق الاستقرار فى معاملاتهم . وربما يبين البحث والاستطلاع واستفتاء المختصين ، اعتبارات اخرى تكشف عن مقاييس اخرى تقصر عنه التجربة المحدودة لكاتب هذه السطور فى ميدان القضاء . ومهما يكن فان الظروف تستعجلنا ان نسرع برفع العجمة عن اجتهاد القضاء العصري وتقريبه بالتبويب والترتيب وبحثنا على ذلك ، فوق ما سلف من اعتبارات ، ان مرافعات الخصوم قلما تخلو من الاحالة على احكام قضائية يحتجون بها لدفوعهم او تفسيرهم لنص او غير ذلك ، وبقاء السوابق القضائية محجوبة بالفرنسية، يعدم كل فائدة من ذلك ، ويجعل الاحالة عليها احالة على مجهول .

ومن الضروري ان يقع تبويب هذه الاحكام بكيفية تدنيها من التناول باقصى ما يمكن . ومن المفيد جدا ان تذيل بشروح وهوامش وتنبيهات ، كلما كان ذلك ضروريا لرفع التباس ، او شرح غامض ، او تقرير مغزى خفي .

على أن التكليف بهذا الواجب وان كان يتوجه بصفة اساسية الى وزارة العدل ، فانه يتوجه كذلك الى كل الذين لهم اتصال بميدان القضاء ويطيقون ان يفعلوا شيئا فى هذا السبيل . واجدر من يبادر الى ذلك، المحامون الذين يمثلون الخصوم ويدافعون عن حقوقهم بخبرتهم وعلمهم ، ويشتركون مع القضاء فى تكوين الاحكام ، فمن مقالاتهم ودفوعهم وجدالهم القانوني

1) على أن هذا التكرار نفسه له دلالة على اطراد القضاء على اجتهاد معين وهو امر له قيمة قانونية كبرى ، ولذلك لابد من التنبيه اليه والاحالة على الاحكام المكررة للحكم او المكررة به .

يكون الحكم متوجا فى الاخير براي المحكمة الذي يحسم النزاع .

وتتعدد الطرق التي يمكن ان يخدم بها المحامون هذه الفكرة ، وادناها أن يقتصروا على الاقتراح والنصح ، باعتبارهم من المختصين الذين يستشارون فى الموضوع . واقصاها ان يتولوا هم انفسهم ترجمة بعض هذه الاحكام ونشرها مع التعليق عليها . وتستطيع هيآتهم فى مختلف الاقاليم ان تؤسس لهذا الفرض مجلات ، او نشرات على الاقل ، تتولى نشر الاحكام المختارة مع التعليق عليها . ويحسن تنسيق عملهم مع عمل الوزارة قبل ذلك ، حتى لا يكرر كل منهما عمل الآخر . ولا ريب ان للمحامين فى هذا ، فوق النفع العام ، نفعا خاصا ، اذ انه قلما تخلو مذكراتهم من الاحالة على احكام قضائية يحتجون بها لاجتهادهم . ومن مصلحتهم ان يمكنوا القاضي من الاطلاع على ما يحيلون عليه من احكام والا كانت احالتهم لغوا وعبثا .

البيضاء : احمد باكو

... ولن يكتب للامم العربية ان تنهض من كبوتها ، الا بامعان النظر ، في اسباب هذه العثرة ، وان تسلك من السبل ما هو كفيل بجمع الكلمة ، واتحاد الصف، واحكام الخطط والتدابير ، وان تستبدل الاساليب التي كانت اثيرة لديها ، محببة اليها باساليب طريفة جديدة ، خليقة بان تفضي بالجهود المبذولة الى الغايات المطلوبة ، والاهداف المخطوبة ...

من خطاب صاحب الجلالة بمناسبة المولد الشريف

التحكيم في الفقه والقانون

الأستاذ الحسن الحجوي

(2)

نجد فى النزاعات الزوجية مادة خصبة لتطبيق قاعدة التحكيم فى الفقه الاسلامي . فعلى ذكر الآية الكريمة الواردة فى التحكيم « وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها » نشير الى ان الفقه الاسلامي خصص بابا واسعا للتحكيم بين الزوجين عند تنازعهما فى حقوقهما ، وقرر ابن عرفة ان حكم الحكمين على وجه الحكم لا الوكالة فينفذ ولو خالف مذهب القاضي الباعث للحكمين ، فهذا هو المعمول به فى مذهب الامام مالك . وفى التحفة :

وان ثبوت ضرر تعذرا
لزوجة ورفعها تكررا
فالحكمان بعد بيعثان
بينهما بمقتضى القرءان
ان وجدا عدلين من اهلهما
والبعث من غيرهما ان عدما
وما به قد حكما يمضي ولا
اعذار للزوجين فيما فعلا

ومعناه ان المراة اذا تكررت شكواها بضرر زوجها واستنفذ الحاكم وسائل الاستخبار عن نوع هذا الضرر كشهادة الجيران والسكنى بين القوم الصالحين ولم يتبين له الامر فحينئذ يبعث حكمين فقيهين عدلين من اهلهما او من غير اهلهما عند عدم وجود الاولين . فيدخلان عليهما القيتة بعد الاخرى ويجتهدان في الاصلاح بينهما وتذكيرهما بواجبهما ، وفى تاليف قلبيهما على المودة وحسن المعاشرة ، فان تعذر الاصلاح نظرا فيمن تجيء الاساءة منه للاخر ، فان كانت الاساءة تاتي من قبل الزوج وحده طلقا عليه بلا عوض ، وان كانت الاساءة تاتي من قبل الزوجة وحدها كان لهما احد امرين : الاول ان ياتمناه عليها بمعنى انهما يجعلانه امينا عليها بالعدل وحسن المعاشرة ، وذلك ما لم يرد فراقها ، والثاني ان يفرقا بينهما بعوض ياخذانه منها ويجوز ان يكون هذا العوض اقل من صداقها الذي اخذته ، كما يجوز ان يكون مساويا لصداقها ، وان يكون اكثر منه ان كان سددا . . . وان وجدا ان كل واحد منهما يسيء الى الاخر ، فان استطاعا ان يعلما ايهما اشد اساءة الى صاحبه كان هذا بمثابة المسيء وحده ، وان لم يمكنهما معرفة ذلك اعتبراهما متساويين فى الاساءة ، وفى هذه الحالة ينهج المذهب نهجين : اولهما ان على الحكمين ان يطلقا الزوجة بلا خلع ، وثانيهما ان يكون الطلاق بعوض، وجرى على هذا الراي الثاني اكثر علماء المالكية .

وما يحكم به الحكمان فى جميع الاحوال المشار اليها ينفذ ولا اعذار للزوجين فيه لانهما لا يحكمان بالبينة القاطعة ـ على حد قول ابن عرفة ـ وانما يحكمان بما خلص اليهما من علم احوالهما بعد النظر والكشف، لانهما نائبان عن القاضي كالموجهين للتحليف والحيازة ونحوها ، فلا اعذار فى ذلك (1) .

والملاحظ ان التحكيم فى القانون المغربي لا يمكن ان يتناول الانفصال بين الزوج والزوجة او التطليق بينما الشرع الاسلامي لا يرى مانعا فى ذلك ، وقد تقدم شرح ذلك بخصوص ما هو معمول به فى مذهب الامام مالك . فمن المعلوم ان الفصل 527 من ظهير المسطرة المدنية بعدم جواز الاتفاق على التحكيم فى الانفصال والتطليق انما هو نسخة طبق الاصل للمادة 1004 من القانون الفرنسي للمرافعات المدنية ، ولا يخفى ان ظهير 12

1) انظر التسولي والتاودي على التحفة صفحة 309

غشت 1913 المكون لقانون المرافعات المدنية بالمغرب والذي اصبح مطبقا امام المحاكم الموحدة بمقتضى قانون 26 يناير 1965 ، لا يطبق حتى يومنا هـذا على مواد الاحوال الشخصية للرعايا المسلمين بالمغرب ، وذلك بنص الفصل الثالث من قانون التوحيد نفسه الذي قضى بان « النصوص الشرعية ... الجاري بها العمل حاليا تصبح الى ان تتم مراجعتها مطبقة لدى المحاكم الموحدة» ، ورغم المنع الصادر عن ظهير 12 غشت 1913 فان مدونة الاحوال الشخصية حافظت على روح التشريع الاسلامي في مادة التحكيم في النزاعات الزوجية ، الا ان الحكمين المنصوص عليهما في الفصل السادس والخمسين من المدونة لم تبق لهما سلطة الحكم بالتطليق كما هو الشأن في المذهب المالكي وانما « يبعثهما القاضي للسداد بين الزوجين ، وعليهما ان يتفهما اسباب الشقاق ويبذلا جهدهما في الاصلاح على طريقة معينة يقررانها ، واذا عجزا عن الاصلاح رفع الامر الى القاضي لينظر في القضية على ضوء تقريرهما » .

فيبدو جليا ان المشرع المغربي اخذ هنا بمذهب الشافعية بعدم لزوم حكم التحكيم وباعتباره مجرد فتوى تبقى فيها الكلمة في الاخير للقاضي . وقد اخذ القانون التونسي بنفس المذهب فقررت مدونة الاحوال الشخصية في فصلها الخامس والعشرين انه اذا اشكل على الحاكم تعيين الضرر بصاحبه فيعين حكمين وعليهما ان ينظرا فان قدرا على الاصلاح اصلحا ، ويرفعان الامر الى الحاكم في كل الاحوال .

ويتضح من كل ما تقدم ان المشرع المغربي لم يخول للحكمين — في مادة النزاعات الزوجية — سلطة اكثر من الوساطة للصلح او رفع تقريرهما للقاضي عند العجز عن السداد دون الفصل بحاكم منهما ، فالنصوص التشريعية المقننة لمادة التحكيم في النزاعات الزوجية بالمغرب — مهما تعددت — تهدف كلها الى تجريد الحكمين من سلطة الحكم بالتفريق بين الزوجين . ونرى في ذلك ابتعادا عن المعمول به في مذهب الامام مالك سيما وان الفصل 56 من المدونة بحصره لمهمة الحكمين ، لم يترك مجالا للقضاة لتطبيق الفصل 297 من نفس المدونة الذي يسمح بالرجوع الى الراجح او المشهور او ما جرى به العمل من مذهب الامام مالك في كل ما لم تشمله فصول المدونة ، فهذه ملاحظة نطرحها على انظار المشرع المغربي لاستيعابها عند مراجعة القوانين المدنية المعمول بها حاليا سواء الموضوعية منها او المسطرية ، واصدار قانون موحد . فهل يا ترى سيحذو القانون المغربي الجديد حذو الفقه المالكي في مادة التحكيم في المنازعات الزوجية ام انه سيبقى على التشريع الحالي على ما هو عليه من تقصير في سلطة الحكمين ؟

ويسوقنا هذا الى محاولة الكشف عن سند المالكية في مشروعية السلطة المخولة للحكمين للفصل قضائيا في النزاعات الزوجية والى مناقشة هذه النظرية من حيث ملائمتها وفعاليتها في حل المشاكل الزوجية والمحافظة على خير الاسرة .

لقد راينا ان المذهب المالكي ينزل الحكمين في النزاعات الزوجية منزلة القضاة فهو يعطي لحكمهما قوة الشيء المقضى به ويخول لهما السلطة المطلقة عند العجز عن الاصلاح للبث في التطبيق بجميع انواعه واحكامه .

نعم ، ان من المذاهب الاخرى من اعتبر حكم الحكمين على وجه الشهادة او الوكالة فقد روى عن ابن عباس قول الحسن وابن زيد بان الحكمين شاهدان يرفعان الامر الى الامام ويشهدان بما ظهر اليهما ، وبه قال ابو حنيفة والشافعي . ويذهب الشافعي واصحابه مذهبا ثانيا فيرون ان الحكمين لا يبعثان الا برضا الزوجين وتوكيلهما بتولية امرهما لهما ، فهما اذن وكيلان للزوجين ، وبسبب ذلك فانهما لا يملكان الا الصلح بينهما بما يريانه ، اللهم ان وكل الزوج حكمه في الطلاق ، فالحكم يملك الطلاق بالتوكيل لا بالتحكيم وان وكلت الزوجة حكمها في بذل مال ملكه بالتوكيل ايضا ، فهذا كله مبنى على ان الحكمين وكيلان للزوجين .

وقد تولى القاضي ابو اسحاق الرد على هذا القول بان الامر ببعث الحكمين يقتضي الحكم بغير حكم الازواج وبتنفيذه عليهما بغير اختيارهما ، فان الله خاطب غير الزوجين ببعث الحكمين . واذا كان المخاطب غيرهما فكيف يصح ان يكون ذلك بتوكيلهما ؟ والمخاطب على حد قول المالكية قد يكون السلطان — اي القاضي — وقد يكون الوالي فيفعله القاضي تارة ، ويفعله الوالي تارة اخرى . واذا امر احدهما ببعث حكمين فهما نائبان عنه وما يحكمان به ينفذ . وقد روى محمد بن سيرين وايوب عن عبيدة عن علي كرم الله وجهه قال : جاء اليه رجل وامراة ومعهما جمهور من الناس فامرهم فبعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ثم قال للحكمين : اتدريان ما عليكما ؟ ان رايتما ان تجمعا جمعتما ، وان رايتما ان تفرقا فرقتما ، فقالت المراة : رضيت بما في كتاب الله لي وعلي وقال الزوج : اما الفرقة فلا ارضى ! فعاتبه على تركه الرضا وامره ان يرجع عليه ، كما يجب على كل مسلم .

واستنتج ابو اسحاق من هذا ان الامر موكول الى الحكمين الذين بعثا من غير ان يكون للزوج والزوجة راي فى ذلك ، فلو كان الحكمان وكيلين لم يقل لهما على: اتدريان ما عليكما بان يقول : اتدريان بما وكلتكما . وما نصت عليه الاية الكريمة (حكما من اهله وحكما من أهلها) يقتضي ان الحكمين قاضيان لا وكيلا ولا شاهدان . فلكل من الحكم والوكيل والشاهد اسم فى الشريعة ومعنى ولا ينبغي لشاد ان يركب معنى احدهم على الاخر ، فذلك تلبيس وافساد للاحكام (1) ، وفى الرواية ان فاطمة بنت عتبة بن ربيعة جاءت عثمان رضي الله عنه واشتكت له بزوجها ، فارسل ابن عباس ومعاوية ، فاتياهما فوجداهما قد سدا عليهما ابوابهما واصلحا امرهما ، فقال معاوية : ارجع فاني ارجو ان يكون قد اصطلحا ! واجاب ابن عباس : افلا نمضي فننظر امرهما ؟ فرد معاوية : فتفعل ما ذا ؟ فقال ابن عباس : اقسم بالله لئن دخلت عليهما فرايت الذي اخاف عليهما منه لاحكمن عليهما ، ثم لا فرقن بينهما ! (2) .

ونستخلص من كل ذلك ان المذهب المالكي ينزل الحكمين منزلة القضاة لا منزلة وكلاء ولا منزلة شهود وان فعلهم ينفذ كما ينفذ فعل الحاكم فى الاقضية ، والحكمة فى ذلك ان القاضي لا يقضي دائما بعلمه او بمفرده فخص الشرع بعض النوازل كالنزاع الزوجي وجزاء الصيد واقتتال طائفتين بحكمين لينفذ حكمهما بعلمهما وترتفع بالتعديد التهمة عنهما . وارى فى ذلك مظهرا للقضاء الجماعي فى الفقه الاسلامي .

ونظرية مالك هذه نظرية جد وجيهة وصائبة لا يجاد الحلول العلمية للمحافظة على خير الاسرة ولمسايرة الواقع الزوجي والعائلي . وهي فى نظري خير ما يحافظ على قول الله عز وجل : « فامساك بمعروف او تسريح باحسان » . فالعلاقات الزوجية من ادق واعمق العلاقات البشرية ، وما يكتنفها من خفايا ومن تعقيد نفسي لا يتاتى دائما للقاضي الوقوف عليه بمفرده وادراكه حق الادراك ، ولا نبالغ اذا قلنا بان قضاة الاحوال الشخصية مهما بلغوا من المهارة محتاجون الى شتى الوسائل للمس الشقاق الزوجي فى عمقه النفساني وواقعه الواضح وبصورة تاتي بالحكم العادل والحل اللازم المصيب ، فكثيرا ما يكون ظاهر النزاع وعوارض الشقاق عكس ما تنطوي عليه الحقائق الخفية التي لا يمكن ادراكها الا بالملازمة لحال الزوجين وتتبع علاقاتهما عن كثب ودراسة ظروفهما الخاصة دراسة انسانية وعميقة ، فتلك هي مهمة الحكمين وتلك هي الحكمة فى مشروعيتها ، وما دام راي الحكمين مبنيا على الدرس الشامل والاحتكاك بالواقع والاقتناع المباشر فاي سبيل للقاضي لتبني عملهما والقيام مقامهما ؟ هذا على فرض انه يكون مقيدا برايهما كما هو الشان فى القانون المصري مثلا ، فكيف اذن والحالة ان الفصل 56 من المدونة يترك للقاضي المجال للنظر فى القضية مستعينا بالطبع بما يقرره الحكمان لكن من دون ان يكون مقيدا برايهما ، فيكون الحكمان فى الواقع ادرى من القاضي بجوانب الشقاق وباسبابه الخفيةمنها والظاهرة واولى بتقرير وسائل العلاج والحكم بالجمع او بالتفريق

ونلاحظ مع شديد الاسف ان قضاتنا قليلا ما يستعينون بعمل الحكمين لفض المنازعات الزوجية التي تكتظ بها محاكم السدد ، فهم لا يبعثون بالحكمين الا نادرا فى حين ان مؤسسة كهذه كان من اللازم الحرص على رعايتها وفتح المجال لتطويرها واعتبارها طريقة من طرق التحليل النفسي (Psychanalyse) الذي اصبح ذا اهمية فائقة فى العصر الحاضر فى الميادين الطبية والاجتماعية والقضائية ، والدليل على ما تقدمه هو ما يلاقي قضاة الاحوال الشخصية من مصاعب فى استكشاف اوجه الضرر المدعى به من احد الزوجين او من كليهما معا وبالاخص فى استجلاء الاسباب الحقيقية التي تحدو ببعض الازواج الى ترك بيت الاسرة وببعض الزوجات الى مغادرة بيوت ازواجهن ، سيما ونحن نعرف ان نشوز غير الحامل لا يسقط نفقتها وان عقوبة اهمال الاسرة لا تطبق على الطرفين الذين لا يكون لهما من بعضهما ولد . فالمشاكل العديدة التي يعانيها القضاة تظهر على الخصوص عند ما يتعلق الامر بتنفيذ احكام النفقة او الرجوع لبيت الزوجية او الفراش .

وقد علمتنا التجربة القضائية ان مصاعب التنفيذ قد تاتي فى بعض الاحيان من اسباب لها علاقة بالعدالة نفسها . والسبب فى ذلك ان بعض المنازعات الزوجية يقع البت فيها ـ طبق مشروعية الطلب طبعا حسب اجتهاد القاضي ـ دون ان تاخذ حظها الوافر من الفحص طبق وسائل « التحقيق » العملية الكفيلة بصيانة ما يهدف اليه الشرع الاسلامي من مصلحة العائلة . والعهدة هنا ليست كلها على القاضي ، فلئن عمل هذا الاخير حسب الوسائل القانونية التي بيده ، يبقى ايضا

1) ـ 2) راجع تفسير ابن العربي صفحة 186 .

على المشرع ان يكون دائما بالمرصاد لما ينم عنه القانون من نقص ولسد كل فراغ يظهر فى النصوص . فالصعوبات التي ما فتئت تعترض سبيل تنفيذ احكام النفقة والرجوع لبيت الزوجية او الفراش هي التي ادت بالمشرع الى سن عقوبات اهمال الاسرة التي لم يعرفها القانون الجنائي المغربي قبل ظهير 3 اكتوبر 1959 المتعلق بالزجر عن اهمال الاسرة (1) والذي ادرجت مقتضياته بعد تحويرها بالفصل 479 من مجموعة القانون الجنائي الموحد الجاري بها العمل فى البلاد ابتداء من 17 يونيه 1963 . فالعقوبة تطبق من جهة على الاب او الام اذا ما ترك احدهما بيت الاسرة دون موجب قاهر لمدة تزيد على شهرين وتملص من كل او بعض واجباته المعنوية والمادية الناشئة عن الولاية الابوية او الوصاية او الحضانة . كما تطبق من جهة ثانية على الزوج الذي يترك عمدا لاكثر من شهرين ودون موجب قاهر زوجته ، وهو يعلم انها حامل . فنظام الزجر لم يشمل كل زوجة غادرت بيت الزوجية وكل زوج ترك زوجته . فكثيرا ما يحدث بالنسبة لمن لا ولد لهم ان تغادر زوجة حامل او غير حامل فراش الزوجية او يترك زوج عمدا زوجته وهو لا يعلم انها حامل او قد تكون هاته غير حامل بالفعل ؛ فيلجأ احدهما الى القاضي ويحكم هذا الاخير بالرجوع لبيت الزوجية او الفراش وقد يحكم بالنفقة ويمتنع هذا الطرف او ذلك عن التنفيذ ، وقد يستمر الامتناع فيبقى حكم المحكمة حبرا على ورق ، ويبقى القاضي مكتوف الايدي،ويتعذر تطبيق عقوبة اهمال الاسرة لعدم توفر العناصر القانونية للمتابعة ، وذلك كله رغم الحكم الذي اصدرته المحكمة المسؤولة قانونا عن تنفيذه الامر الذي يشمئز منه المحكوم لهم ويسر له المحكوم ضدهم ويؤدي بالتالي الى الاضطراب فى نظام الاسرة والتشجيع على التمرد والتملص من الواجبات المادية والمعنوية التي يقوم عليها سياق العائلة .

الا اننا استفدنا من الوقائع التي تمر امام المحاكم ان الداعي الى مغادرة بيت الزوجية والامتناع من تنفيذ الحكم بالرجوع اليه قد لا يكون دائما هو التمرد من اجل التمرد والميل الى حرية العزوبة او التملص من اداء الفروض العائلية ، فالواقع قد يكون فى بعض الاحيان بخلاف ذلك كله ويتعلق الامر لا اقل ولا اكثر بعدم انسجام وتلاؤم بين الزوجين مرجعه الى عوامل نفسية واسباب جوهرية يتعين معها حل واحد وهو الانفصال والتفريق بينهما . وهذا هو الميدان الذي يجب ان يتجسم فيه عمل الحكمين بكل فعالية وايجابية، وتلك هي المهمة التي توخاها للتحكيم المشرع الاسلامي وحدد نطاقها المذهب المالكي باعطاء الحكمين السلطة المطلقة لتقرير مصير الزوجين بالجمع او التفريق .

فحبذا لو اتسع الفصل 56 من المدونة الى نطاق يصبح معه للحكمين سلطة القول الفصل فى النزاعات الزوجية وتقرير التطليق عند العجز عن التوفيق طبق ما هو معمول به فى مذهب الامام مالك . فتعم بذلك الفائدة وتتلقى المصلحتان : مصلحة ما يهدف اليه الشرع من المحافظة على خير الاسرة ومصلحة ما يرمي اليه القانون الجنائي من عدم متابعة الزوجين ممن لا ولد لهما من بعضهما .

ونلاحظ ان القانون المصري اخذ براي المالكية في هذه المسالة بعد ما كان العمل فيها بمحاكم مصر الشرعية على مذهب ابي حنيفة فراى المشرع المصري ان يقتبس من المذهب المالكي مواد القانون رقم 25 لسنة 929 المتعلقة بالتحكيم فى المنازعات الزوجية . وقد نص القانون المذكور على انه يجب « على الحكمين ان يتعرفا اسباب الشقاق بين الزوجين ويبذلا جهدهما فى الاصلاح ، فان امكن على طريقة معينة قرراها وان عجزا عن الاصلاح ، وكانت الاساءة من الزوج او منهما او جهل الحال قررا التفريق بطلقة بائنة » وجاء فى مادة اخرى انه يجب « على الحكمين ان يرفعا الى القاضي ما يقررانه ، وعلى القاضي ان يحكم بمقتضاه » (2) فالقانون المصري على نقيض القانون المغربي ، خول للحكمين سلطة تقرير التطليق وقيد القاضي بالحكم بمقتضى ما قد يقررانه من جمع أو تفريق .

فذلك هو الاتجاه الذي يرمي اليه الفقه المالكي وهو الاتجاه بالذات الذي بسطنا خصائصه وحاولنا الدفاع عنه بابراز فوائده وآثاره على منفعة العائلة والواقع الزوجي .

الحسن الحجوي

1) صدر قبله ظهير 12 يناير 1943 الذي طبق بمقتضاه قانون 23 يوليوز 1942 المتعلق باهمال الاسرة امام ما كان يسمى بالمحاكم الفرنسية بمنطقة الحماية الفرنسية ، كما صدر ظهير خليفي فى 17 يونيه 1942 بالزجر عن اهمال الاسرة بالمنطقة الشمالية سابقا .

2) راجع نصوص القانون رقم 25 \ 1929 من المادة 6 الى 11 .

الوجادات

للأستاذ عبد القادر زمامة

- 4 -

55 ـ جهـل فاضـح ... !!

في كتاب ـ البيان المطرب ـ لابن عذارى المراكشي ج 1 ص 140 ط بيروت .

« في ترجمة الامير محمد بن الاغلب خامس امراء الدولة الاغلبية بتونس :

« ذكر ان ـ رجاع ـ الكاتب كان يوما بين يديه وكتب الامير محمد : ـ لحم ضبي ـ بضاد مسقوطة ، فلما خلا المجلس قال له كاتبه :

ايد الله الامير ... ـ الظبي ـ يكتب بظاء مرفوعة ... فقال له الامير محمد :

قد علمنا فيه اختلافا ... !!

فابو حنيفة يجعله بالظاء ... !!

ومالـك يجعلـه بالضـاد ... !!!

فعجب الحاضرون من قوله ... !!! » .

56 ـ من اجل تدريس كتاب ـ سيبويه ـ

في القسم الثاني من السفر الخامس من كتاب الذيل والتكملة ص 650 .

في ترجمة محمد بن احمد بن طاهر الانصاري الاشبيلي نزيل فاس .. وكان من النحاة المشهورين في عصره ـ وحج واقسم ان ينتهي في رحلته تلك الى ـ البصرة ـ **حتى يقرىء كتاب ـ سيبويه ـ في البلد الذي الف فيه ... متحريا الموضع من الجامع الذي كان يوخذ فيه عن سيبويه ...**

فاعانه الله على بر قسمه واقراه هنالك فيما قيل ... والله اعلم .

57 ـ ابن رشد في جانب ..! وآثاره في جانب ..!

روى الامام محيي الدين بن عربي الحاتمي قال :

« لما توفي الامام ابن رشد بمراكش سنة 595 هـ نقلت جنازته الى قرطبة .. وحضرت دفنه مع اثنين من اصدقائه ... وهناك راينا تابوت ابن رشد في جانب من جانبي المركبة ... ! كما راينا كتبه وآثاره في الجانب الآخر ... ! » .

58 ـ بالتين والزيتون والعنب .. !

نظم الوزير عمر الحراق بيتين في الافتخار بمسقط راسه ـ شفشاون ـ فقال :

ما شعب بوان ما مرج دمشق وما
نيل بمصر وما العاصي لدى حلب
في جنب شفشاون الغراء ان فخرت
بتينها ، وبزيتـون وبالعنـب

59 ـ حاملـة السيـف .. !

في تاريخ المولى اسماعيل ـ رحمه الله ـ انه كان ذات يوم يمشي في ابهى قصره ، وخلفه جارية تحمل

سيفا .. !! فالتفت الى من كان حاضرا معه من الادباء .. واستوصفهم ، فقال كاتبه عبد الحق السحيمي :

حملت سيوف الهند وهي غنية
عن حملها بفواتر الاجفان
حسب الفتاة جلالة ومهابة
عز الجمال وهيبة السلطان

60 ـ من عادات اهل الاندلس وبدعتهم ...

فى كتاب الحوادث والبدع (1) لابي بكر محمد بن الوليد الطرشوشي صاحب سراج الملوك ص 140 .

« ومن البدع اجتماع الناس بارض الاندلس على ابتياع الحلوى ليلة سبع وعشرين من رمضان .. ! وكذلك على اقامة ينير ـ يناير ـ بابتياع الفواكه كالعجم .. !! وخميس ابريل (2) المجبنات والاسفنج .. وهي من الاطعمة المبتدعة .. !

وخروج الرجال جميعا او اشتاتا مع النساء مختلطين للتفرج ، وكذلك يفعلون فى ايام العيد .. ! ويخرجن للمصلى ويقمن فيه للتفرج لا للصلاة ... !!

ودخول الحمام للنساء مع الكتابيات بغير مئزر والمسلمين مع الكفار فى الحمام .. !!

والحمام من البدع .. ! ومن النعيم .. ! »

61 ـ يهجره لحضور صباح القبر .. !! .

« وبلغني عن الشيخ ابن عمران الفاسي وكان من ائمة المسلمين .. ان بعض اصحابه حضر صبحة (3) .. فهجره شهرين وبعض الثالث ... !! حتى استعاب الرجل عليه ... فقبله وراجعه .. ! واظنه استتابه الا يعود ... !!! » .

62 ـ كفرحة الذمي بالسبت

فى كتاب الاستبصار فى عجائب الامصار عند ذكر مدينة ـ تاهرت ـ بالمغرب الاوسط :

« وبلد تاهرت شديدة البرد ، كثيرة الغيوم والثلج قال بكر بن حماد يصفها :

ما اصعب البرد وريعته
واطرف الشمس بتاهرت
تبدو من الغمام اذا ما بدت
كانها تنشر من تحت
نفرح بالشمس اذا اشرقت
كفرحة الذمي بالسبت .. !

63 ـ حلال وحرام ... !!

فى كتاب ـ الاستبصار ـ ص 116 عند الكلام على مدينة ـ رقادة ـ

« وذكر ان احد ملوك بني الاغلب كان قد اصابه الارق وشرد عنه النوم اياما ... فعالجه اسحق المتطبب ... وامره بالخروج والتنزه والمشي ... قيل فلما وصل الى موضع رقادته نام ... !! فسميت رقادة .. ! من يومئذ .

« قيل ومنع بيع النبيذ بمدينة القيروان واباحه بمدينة رقادة بسبب جنده وعبيده .. ! فقال فى ذلك بعض الشعراء .. :

يا سيد الناس وابن سيدهم
ومن اليه القلوب منقادة
ما حرم الشرب في مدينتنا
وهو حلال بارض رقادة .. ! »

64 ـ خديم بفاس .. !!

فى جذوة الاقتباس ص 92 .
فى ترجمة ابرهيم بن عبد الله النميري المعروف بابن الحاج قوله :

يا عجبا كيف تهوى الملوك
محلي وموطن اهل وناسي
وتحسدني وهي مخدومة
وما انا الا خديم بفاس .. !

65 ـ ملك للجراد ... !!!

فى معجم اصحاب الصدفى لابن الابار المطبوع بمدريد سنة 1885 م . ص 194 . فى ترجمة المنصور ابن محمد ابن الحاج الصنهاجي اللمتوني .

---

1) كتاب فريد فى بابه طبع بتونس سنة 1959 م . بتحقيق محمد الطالبي .
2) من الاعياد المسيحية .
3) صباح القبر .

« واضر الجراد باهلها (مرسية) فى بعض الاعوام فكان هو الخارج بهم لابادته ... وربما اشتد فى ذلك على الناس حتى قال ابو الحسن المعروف بابن الزقاق .. وملح ما شاء ...

لنا ملكان حازا كل فخر
بما ملكاه من رق الاعادي

فيحيى للفوارس مستعد
وانت ابا علي للجراد .. !

66 ـ هـذه بتلك ... ! !

فى نفح الطيب ج 2 ص 14 من الطبعة الازهرية . فى ترجمة الحكيم ابن الفضل محمد بن عبد المنعم الغساني الجلياني المهاجر الى المشرق من الاندلس .

« واراد القاضي الفاضل كاتب صلاح الدين الايوبي ووزيره ان يغض منه فقال له بحضرة السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب :

ـ كم بين جليانة وغرناطة ... ؟ ؟
فأجابه على الفور :

ـ مثل ما بين بيسانة وبيت المقدس ... فسكت القاضي الفاضل ... وادرك انه اجيب عن تعريضه بالمثل .. :

وكانت بيسان مسقط راس القاضي الفاضل

67 ـ ظهر الفساد فى البر والبحر .. !

فى نفح الطيب ج 2 ص 100 نقلا عن شرح ابن الخطيب لرقم الحلل :

« ان يعقوب المنصور الموحدي طلب من بعض اعيان دولته رجلين لتاديب ولده يكون احدهما برا في دينه ... والاخر بحرا فى عمله ... ! ! فجاءه بشخصين زعم انهما على وفق مقترح المنصور فلما اختبرهما لم يجدهما كما وصف .. ! فكتب الى الذي اتى بهما ...

ـ ظهر الفساد فى ـ البر ـ و ـ البحر » ... ! !

68 ـ تملص ذكي ...

فى جذوة الاقتباس ص 337 نقلا عن ذخيرة ابن بسام ـ يحيى بن الزيتوني الاديب من اهل مدينة فاس احد من وفد على اشبيلية ايام ملوك الاندلس وله شعر بديع ، وتصرف مطبوع ، وكان حاضر الجواب ، ذكي الشهاب .

قال له ابو الوليد ابن زيدون يوما بين يدي المعتمد بن عباد وكان استجهله واراد ان يفحمه ويخجله ... :

ـ افاس انت يا ابا زكرياء ... ؟ ؟

يوهم انه يسأله عن بلده .. ! وخبأ له فيها شيئا .. ففهم يحيى بصفاء خلده ذلك ، واجابه سريعا .. :

ـ منسوب ! عزك الله ... !

69 ـ كلها عذبة .. !

فى نفح الطيب ج 2 ص 23 . فى ترجمة عبد الله ابن يوسف القضاعي . قال انشدني ابن سارة ، فى وصف سقوط شهاب :

وكوكب بصر العفريت مسترقا
للسمع فانقض يدنى خلفه لهبه

كفارس حل اعصار عمامته
فجرها كلها من خلفه عذبه . !

70 ـ دار البركة ...

فى كتاب فتوح مصر والمغرب لابن عبد الكريم

« كتب عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب :

انا قد اختططنا لك دارا عند المسجد الجامع ... فكتب اليه عمر : انى لرجل بالحجاز تكون له دار بمصر ... ؟ وامره ان يجعلها سوقا للمسلمين ... !

قال ابن لهيعة : **هي دار البركة** فجعلت سوقا ، فكان يباع فيها الرقيق .. »

تعليق : من الغريب المستغرب ان هذا الاسم وهو : **دار البركة** ، استعمل فى القيروان للسوق التي يباع بها الرقيق .. !! كما استعمل فى مدينة فاس نفس الاستعمال ... فكان فندق البركة بالقطانين محلا لبيع الرقيق .

وهكذا انتقل هذا الاسم من الفسطاط بمصر الى القيروان بتونس الى فاس بالمغرب .

ومن الامثال قولهم : « قالو انا عبدك .. ! قالـوا دوز للبــركـــــة ... !! » .

71 ـ ليريــه عظمـة الاسلام

فى معالم الايمان ج 3 ص 201 .

بعث المعز بن باديس (406 ـ 453 هـ) الى ابى عمران القاسي يستفتيه فى مسالة مع طبيبه وخاصته ابى عطاء اليهودي .. ! فما كان من ابي عمـران الا ان غضب غضبا شديدا واسمع اليهودي ومرسله الملك ما يكرهان ..!! وامر ان يعلم اليهودي بالعلامة التي كانت معروفة عند ابناء ملته فى ذلك العصر ... !! وهي ان يصبغ طرف عمامته بلون خاص ... !!

فلما وصل الطبيب الى سيده قال :

ـ ما ظننت ان بافريقية ملكا غيرك الا يومـي هذا .. ! ولقد وقفت بين يديك فى حال غضبك الشديد فما ادركني من الفزع ولا اصابني من الرعب ما اصابني فى يومي هذا ... !! فقال له المعز بن باديس :

ـ انما فعلت ذلك لاريك عز الاسلام ، وهيبــة علمـاء المسلميـن .. ! وما البـسهم الله من شعائـــر الاولياء .. ! لعلك تسلم .. !!

فاس : عبد القادر زمامة



ديوان المجلة

قولوا لصهيون اللعينة اننا
سنكون بعد غد على ميعاد

للاستاذ
عبد الرحمن الدكالي

قف تاج خير الرسل والاسياد — واهتف بنور الدهر والآباد
واعلم بأنك فى المديح مقصر — مهما سموت بمنطق فى الضاد
هو نور هذا الكون هو « محمد » — جلت خلائقه عن التعداد
اثنى عليه الله فى قرآنه — ببدائع الآيات بالاحماد
يا من اتى يهدي الورى وينير سبـ — ـل الحق والايمان والاسعاد
يا من يرى من هديه وسلوكه — في كل مظلمة شعاع هادي
ها نحن امتك التي حصنتها — وتركتها اقوى من الاطواد
دستورها القرآن يرفع شانها — ويصونها من شرة الالحاد
نرمي وراء ظهورنا قرآننا — ونعيش في الاجرام والافساد
ونحارب الاسلام فى اعلامه — ونبيح كل محرم وفساد
عبنا على الاسلام ما اسدى لنا — من نعمة الاصلاح والارشاد
حرب الشتائم والنقائص بيننا — ما شئت من مال لها وعتاد
داء الخلاف واي داء مثله — قد هدنا بقطيعة وبعاد
هاذي النتائج ما نرى فى مصر فى — ارض الشام واردن الامجاد
القدس بيت الله اول قبلة — قد دنست بعصابة الاوغاد
تلك المحارب والمنابر ضمخت — بدماء من رغبوا في الاستشهاد
الله في علمائنا وشيوخنا — ونسائنا والعرض والاولاد
لبست ربى الاردن ثوبا احمرا — حيث الجهاد يفوق كل جهاد
واستبسل الشعب (الحسيني) فى الفدا — واتى القضا بالويل والانكاد
كم من حرائر فى الخدور تمزقت — اعراضهن وهن فى الاصفاد
كم من يتامى الآن تحت سياطهم — وانينهم اغرودة الجلاد
لهفي على الاسلام يهدم ركنه — من مجرمين مدنسين اعادي

لهفي على الاسلام سلم للورى ... ويثير فيهم كامن الاحقاد
جمعوا لـه من كل صقع عصبة ... ورموا بها الاسلام في الاكباد

* * *

يا امة الاسلام في شرق البـ ... ـلاد وغربها يا امة الآساد
دين الرسول « محمد » يدعوكم ... لتسارعوا للبذل للانجاد
هبوا لنصرة دينكم فعدوكم ... اضحى لهذا الدين بالمرصاد
قد جرد المستعمرون سيوفهم ... لن يرجعوها قط للاغماد
بالله بالاسلام بالجرح الذي ... في كل ناحية وكل فـؤاد
الا رفعتم راية الاسلام فو ... ق رؤوسكم لمعامع وجهاد
ونصرتم الله الذي ان تنصر ... وه يمدكم بالنصر والارفاد
يا امة القرآن يا ابناء يعـ ... ـرب اننا قمنا على استعداد
اعداؤنا لن يستغلوا خلقنا ... فاخاؤنا ارسى من الاوتاد
عهد التضامن والوفاء نصونه ... حتى نورثه الى الاحفاد
قولوا « لصهيون » اللعينة اننا ... سنكون بعد غد على ميعاد
ان تتركوا « صهيون » فوق ترابكم ... فلتلبسن الذل ثوب حداد
الروضة الفيحاء حيث « محمد » ... والبيت في البلد الحرام ينادي
من لم يقل : لبيك اني مسلم ... للروض للبيت العتيق جهادي
فبراءة الاسلام منه براءة ... تبقى على الاحقاب والآباد

* * *

الله اكبر يا سليل « محمد » ... يا ابن الرسول وخيرة القواد
الله اكبر كم دعوت لوحدة ... واخوة وتعاضد ووداد
حاولت جمع صفوفهم لمقاصد ... اسمى من الالقاب والافراد
حب لذات الله منك تحبهم ... والحب خير مقاصد الاسياد

* * *

يا من عرفنا العز فوق جبينه ... والراي فيما رامه لمراد
اخلاقك الغر الصفايا انها ... احدوثة الاباء للاولاد
والمجد يورث كابرا عن كابر ... هو سيرة الآباء والاجداد
فاذا جرت ريح الحوادث عاصفا ... فلانت يا مولاي خير عماد
مولاي انت لما ترى من امرنا ... من حكمة وتبصر وسداد
انت الذي وابوك قدس روحه ... اصل الفدا في معمع وجهاد
انا وراءك امة عربية ... معروفة في كل يوم جلاد
شعري الذي القيه بين يديك في ... ذكرى الرسول وليلة الميلاد
قبس من النور الكريم وصرخة ... في كل ناحية وكل بلاد

الرباط : عبد الرحمن الدكالي



حوار بين الشاعر، وفلسطين، والعرب
للشاعر: مفدي زكرياء

الشاعـــر :

أناديـــك ، فى الصرصـــر العاتيـــة
وادعـــوك ، بيـــن ازيـــز الوغـــى
واذكـــر جرحـــك ، فى حـــربنـــا
فلسطيـــن .. يـــا مهبـــط الانبيـــا
ويـــا حجـــة اللـــه فى ارضـــــه
ويـــا قدســـــا ، بـــاعـــــه آدم
واضحى ابنـــه ــ بيـــن اخوانه ــ
فلسطيـــن .. والعـــرب فى ســكـــرة
رمـــاك الزمـــان ، بكـــل لئيـــم
وكـــل شريـــد (علـــى ظهرهـــــا)
والقـــى بـــك الدهـــر ، شـــــذاذه
وصـــب بـــك الغـــرب ، اقـــذاره
وحـــط ابـــن (صهيـــون) انذالـــه
ومـــن ليـــس يهتـــز فيه ضميـــر
وبالمـــال ، تغدقـــه المدقـــات
ودس (ابـــن خريـــون) اوساخـــه
بكيـــت ، فلسطيـــن ، فى حائـــــط

وبيـــن قـــواصفهـــا الـــذاريـــة
وبيـــن جمـــاجمهـــا الجـــانيـــه
وفى ثـــورة المغـــرب القـــانيـــه
ويـــا قبلـــة العـــرب الثـــانيـــه
ويـــا هبـــة الازل ، الســـاميـــه
كمـــا بـــاع ، جنتـــه العاليـــــه
يلقبـــه العـــرب ، بالجـــاليـــه ..
قـــد انحـــدروا بـــــك للهاويـــه
زنيـــم ، مـــن الفئـــة الباغيـــه
تسخـــره ، بطنـــه الخاويـــــه
ومـــن لـــم تؤديـــه (المـــانيـــه)
ورجـــس نفايـــاتـــه البـــاقيـــه
بأرضـــك ، آمـــرة نـــاهيـــه
ولا فى حـــوانيـــه ، انســـانيـــه
مضت فيـــك بائعـــة شاريـــه
فعجل ــ من نتنهـــا ــ الغاشيـــه
بـــه ــ قبـــل ــ قد كانت الباكيـــه

فيالك من معبد نجسوا — حناياه بالسوءة الباديه
ويالك من قبلة كدسوا — بمحرابها الجيف الباليه ...
ويا لك من حرم آمن — جياع ابن آوى بها عاويه

فلسطين :

ايا شاعر العرب ، ذكرتني — وهجت جراحاتي الداميه
لقد كان لي سبب للبقا — نقطع قومي ، اسبابيه
ورحت ، اباع واشرى ، كما — تباع لجزارها ، الماشيه
واشنق في حبل مستعمري — واصلب في كف جلاديه
ويسلبني عزتي ، غاصبي — وتنهب داري ، تطاعيه
وفرقني (الخلف) ايدي سبا — وشتت في الارض ، اوصاليه
فاصبحت ارسف في محنتي — وقومي – عن محنتي – لاهيه
وفي سكرة ضيعوا عزتي — ولم يغن عني سلطانيه
فلا انا حققتها بيدي — ولا سلح العرب ابنائيه ..
وزودني العرب ، بالصلوات — وبالشعر .. والخطب الناريه
وماذا عساه ، يفيد الكلام — وما سوف تصنعه القافيه
فلا الدمع ، يدفع خطبي الرهيب — ولا دعوات ، ورهبانيه
وماذا عساها ترد الصلاة — اذا اسكت العرب ، رشاشيه ؟
فلو كان لي ، امر تدبيرها — لما احترت في امرها ، ثانيه
وكنت كطارق في زحفها — وحققت – بالشعب – آماليه
واهويت بالفاس اذرو الجذوع — واسحق بالنعل ثعبانيه
والهبتها فوق ارض الحمى — وحررت بالشعب اوطانيه
وغسلت عارا على جبهتي — واعليت ، بالهامة الحانيه
فاقصف من لم يصن حرمتي — واخسف بالارض ، اصناميه
ومن كان دلال ، اعجوبتي — ومن قد تسبب في عاريه
ومن قد اعان على نكبتي — ومن كان (عينا) لاعدائيه
ومن كان سمسار اسلحتي — فعجل – بالغدر – اذلاليه
وناديت – بالدم – عدل السما — وقدمت للنار قربانيه
وخلدت (حطين) في مقدسي — وجددت غزوة (انطاكيه)
وناديت – ان خذلوا ثورتي – — من (القادسية) انصاريه
وجندت من (خالد بن الوليد) — (وسعد بن وقاص) ابطاليه

فاقتص من (قوم موسى) غدا   وآخذهم اخذة رابيه
هو الشعب .. لا السادة المترفون   يحقق للنصر ، احلاميه
ومن يحتقر ، وثبات الشعوب   تذبه ، اعاصيرها السافيه
(اذا جاء موسى ، والقى العصا)   تلقف ما يافك الطاغيه

العرب :

وقال ابن يعرب ، لما تيقـ   ظ — لم ادر — من سكرتي — ماهيه؟
ولم انتطن لفرعونها   ولم ادر — من غفوتي — ماهيه ؟
فلم تجد فى صدها حسرتي   ولم يفدني — فى القضا — ماليه
وفوضت امري ، للحاكمين   فضيع قدسي ، حكاميه
وهام السراة — بنعمى الحياة   وعاثوا (انتهازا واقطاعيه)
وهل يرتجى العون ، من معشر .   قواعد ، طاعمة ، كاسيه ...
فيا ليتني ، لم اخن ثورتي   ولم اطف نيرانها الحاميه ...
ويا ليتها ، لم تكن (هدنة)   ويا ليتها ، كانت القاضيه
فلسطين .. لا تيأسي ، انني   ساصلح — فى الشرق — اخطائيه
لئن خنت — فيما مضى — انه   يوبخني — اليوم — وجدانيه
تخاذلت ، وانهار مني الضمير   فضيع ارضي خذلانيه
واهملت قدسي ، نهب الذئاب   فالبسني الخزي اهماليه
واعرضت ، عن صارخ من نداك   وطاوعت — فى الكيد — شيطانيه
ولطخت ، عرضي ، بين الورى   وسايرت — للاثم — اهوائيه
فان تصفحي — اليوم — عن زلتي   تكفر عن الذنب ، افعاليه
وكيف انام ، على غادر   يفتت — فى الارض — اكباديه
يهدد امني ثعبانه   وتقضم افعاه ، احشائيه
تيقظ فيّ ، الدم العربـ   ـي ، وطهرني — اليوم — ايمانيه
لئن نام — من قبل — فى الضمير   واخلد للموت ، احساسيه
فان العروبة تربا بي   وينهاني — اليوم — قرآنيه
مصيرك ، آخذة يدي   وادعو — الى الثار اخوانيه
واقفو المغارب ، فى زحفهم   واعضد ثورتها الغاليه
واغضب كالمغرب العربي   واذكر (بنزرت) و (الساقيه)
فلسطين .. لا تجزعي ، فالسما   ستسند للنصر ، اخلاصيه
فلسطين .. لا تقنطي ، فالحمى   سينصفه — اليوم — احراريه

انــــا العربــي ، الكريــم الجدود
انا الشعــب .. والشعب لا ينثني ،

الشاعــر :

انــا ابــن العروبــة .. من امــة
علــى ذوب اكبــادهــا ، ترتقــي
غــدوت ، لمغربهــا ، شاعــرا
فلسطين .. فى صلبنا ، لحمــة
عروبتنــا ، فى ضميــر البقــا
فلسطيــن .. فى ارضنــا ، بعثهــا
ومن ارضنا .. نقطــة الانطــلاق
عقيدتنــا فى الورى (وحــدة)
(محمــد) ابقــى لنــا ، عبــرة
وفى نكبــة العــرب ، موعظــة
نمــدوا يــدا ، نحــو اوطاننــا
فــان تنصــروا اللــه ، ينصركــم
ولــن يخلــف اللــه ، ميعــاده

انا النور ، فى الليلة الداجيــه
انا الحــر ، ان حلــت الداهيــه

على دمهــا ، تصعــد الرابيــه
وفــوق جمــاجمهــا ، ماشيــه
من النار والنـــور ، الحانيــه
جراحاتها ، فى الحشــى ، ثاويــه
وشائــج ، راسخــة ، راسيــه
ومــن ارضنا ، تزحــف الحاميــه
ومغــربنــا .. حجــر الــزاويــه
ـ واسمــى العقائد ـ وحدانيــه
مــن (الذئب ، والغنم القاصيــه)
ـ مدى الدهر ـ للمهــج الواعيه
وننقــذ حمانــا ، من الهاويــه
وينجــز ، اماتيكــم الغاليــه
ولا ريــب .. ســاعتنــا ، آتيــه ..

مفدي زكريــاء



بمناسبة المولد الشريف ونكبة فلسطين :

القدس يشهد انا لا يُطلّ لنا
دمٌ، وما جدعت شمُّ العرانين

للشاعر ادريس الجاي

يا من اتى بيديه راية الدين ... والسيف يقطع اعناق الشياطين
كنا لعيدك نبكي قبل من فرح ... واليوم نبكي على نعي فلسطين
ايسحب المسلمون الذل خلفهم ... وكم اعزوك فى (بدر) و (حطين) ؟ ..
يا للفظاعة والاقداس غارقة ... في الدم والعار من اجرام صهيون
يبكي المسيح وموسى من فظائعهم ... وتستحي القبلة الاولى بالملاعين
الطور يشهد ان الغدر شيمتهم ... وعابد العجل من آباء غريون
ياجوج ماجوج فوق الارض قاطبة ... ذلوا – فياويحنا عزوا فى فلسطين!
متى سنشرع سيفا حده لهب ... يفري فرنده لظاه كل سكين
فلنستعد لهم ان العدو اذا ... لم تستعد له فاترك الى حين
لا نخبطن خبط عشواء في محارمنا ... وهي التي حرتاه دون تحصين
من كان يحسب اسرائيلا مضغة سهلت ... للبلع ، اخطا فى ظن وتخمين
القوم يا صاح جد ، اذ مصيرهم ... اما الفنا او رسوخ في فلسطين
وفي جميع بلاد الله آزرهم ... عباد عجل وانصار الشياطين
فكيف نرضى بني قومي بتفرقة ... وتلك بلتنا زيدت في الطين
عشرون عاما وداء الخلف ينهكنا ... بينا تمسك شمعون بشمعون
بلى ظلمنا بني الله انفسنا ... وامس بعنا فلسطينا بيع مغبون
والحر ما جاع يستبقي محارمه ... ولا يزهده فيها مال قارون

* * *

القدس يشهد انا لا يطل لنا ... دم وما جدعت شم العرانين
اما قهرنا (قلوب الاسد) فاندحروا ... فكيف يغلبنا ابناء غريون؟

لولا تنافر اشبال لما طمعت ... فيها الثعالب من ارذال صهيون
لكن غدا وقريبا سوف يعرفنا ... من بات يحسبنا بين القرابين
نعم غدا سيدور الدهر دورته ... ونأخذ الثار من شر الثعابين
ونسترد فلسطينا رغم غاصبها ... ولو احيطت بافواه البراكين !

* * *

رحماك ربي لقد جلت مصيبتنا ... حاشاك تسلمنا للذل والهون
لا تشمتن بنا الاعداء ثانية ... واجعل مصيبتنا زجرا الى حين
يا رب في ظلمات اليأس لب دعا (م) ... ء المسلمين كما لبيت (ذا النون)
بحق مولد خير الخلق اعدلهم ... وحق عترته الغر الميامين

* * *

يا اكرم الخلق من نرجو شفاعته ... انار لقدسنا من كل ملعون
بجاه ذا الحسن الثاني بن فاطمة ... فخر الملوك وحامي الدار والدين
بمثله فليباه العرب ان فعلوا ... هذا لعمر العلا خير السلاطين
فليهنه ان كل الشعب ممتثل ... لامره في ليالي خطبنا الجون
يا رب بارك خطاه انها ابدا ... للحق والخير ، وامدده بتمكين
واحفظ لنا في ولي عهده قبسا ... بادي الضياء بسر منه مكنون
يا رب سلم لنا اعضاء اسرته ... وكلهم للعلا خير الاساطين
ولا تمتني ربي هذي امنيتي ... حتى يجلجل شعري في فلسطين

الرباط : ادريس الجاي

ومن الذي يستطيع هدم بناية ؟
الله جل جلاله بناؤها ...

للأستاذ الشاعر محمد اليمني الناصري

المكتـــان تجاوبت أصــــداؤهـا   وتطايرت بيـن الـورى انبـاؤهـا
وتضمخت روح الهدى من طيبهـــا   فتارجت بربيعهـــا ارجــاؤهـــا
واستنشقت كـل العوالم روحهـا   فتوحـدت في حبهـا اهـواؤهـــا
واستوحت الاكـوان من اسرارهـا   ما تستقـل بوحيـــه بطحـاؤهـا
واستلهمت كـل القلـوب دواءهـا   منهـا فلـم تفتك بهـــا ادواؤهـا
واستقبلت نـورا بـدا بسمائهـا   متواصـلا تمحـى بـه ظلماؤهـــا

* * *

يا حضــرة منهـا النفـوس تنفست   عمـا بـه قـد اعربت اسمـاؤهـا
شـرف المسمـى مـن معانيها بـدا   فى حلــة بهـر الـورى لالاؤهـــا
فيها القرى لذوي المدائن والقــرى   مبذولــة تنتهــــى ءالاؤهــــا
اللــه شرفهـــا واعلـى قـدرهـا   قسمت على كل الدنـا اجـواؤهـا
واتـم نعمتهـا واغـدق خيـرهـا   وتضاعفت بحبيبــه نعماؤهـــا
من دون قبتهـا الـسماوات العلـى   فعـــلا على كل الوجـــود علاؤهـــا
لا يدخـل الدجـال يومـا ارضهـا   ومــن اليهـود تطهـرت انحـاؤهـا
وجـرت شرائـع شرعهـا دفاقـة   يحيـي الموات بكـل ارض ماؤهـــا
حتى ارتقت بالكائنـات جميعهـــا   لمكانــة لـم برقهـــا ابناؤهـــا
وتدفقـت انهـارهـــا وتفتقــت   ازهــارهـــا وتفتحـت انـواؤهـــا
وعلت على كـل العلـوم علـومهـا   فجلت جهــالـة اهلهـا اضواؤهـا
بـل انشات مدنيــة مـا مثلهــــا   مدنيـة عـم الـدنــا انشاؤهـــا
افتت بحسن نظامهـا عـن غيرهـا   فبـدا غناهـا بينــا وغنــاؤهـا
جـاءت لحـل المشكـلات جميعهـا   فى امـــة لعبت بهـــا اهـواؤهـــا

سطت على افكارها سلطانها … فتنورت وتنوعت آراؤها
غدت لسكان البسيطة قدوة … لا يفتني عن علمها علماؤها

* * *

والقدس منها يستعد قداسة … ازلية غمر البلاد ذكاؤها
وتضوعت فواحة مذ اشرقت … بسماء مقدسها الشريف ذكاؤها
تدعو وتلفت كل داع مومن … لرعاية تجلى بها لاواؤها
الله عودنا الجميل فلا يخف … منا امرؤ عقبى يدوم عناؤها
ومن الذي يستطيع هدم بناية … الله جل جلاله بناؤها
كم ذكريات لي هناك جميلة … فيها لروحي انسها وصفاؤها
والذكريات الشائقات اجلها … ذكرى يشوقك حسنها ورواؤها
ذكرى ولاد المصطفى وبزوغه … شمسا سناها دائم وسناؤها
روح الوجود وسر سر وجوده … خير البرية امنها وشفاؤها
ذكرى بها الملك العظيم يحتفي … في كل عام همه احياؤها
ذكرى تشيد بذكر مولد جده … في حفلة عم البلاد هناؤها
يغذو رعيته بها في ليلة … فيها يتم امانها ونماؤها
في ليلة غراء يسطع طيبها … فتزاح عن آفاقنا غماؤها
يهدي بها الحسن الصفات رعية … يرعى مصالحها فيحسم داؤها
في حضرة قد اشرقت انوارها … بجمال طلعته وتم بهاؤها
في حضرة علوية حسنية … جادت بخير ارضها وسماؤها

* * *

يا ايها الملك الرضى حياك من … آفاق طيبة طيبها وهواؤها
وحبيت من سرارها سرابه … للنصر يعقد في ذراك لواؤها
عش في امان الله حرا سيدا … تعنو لامرك في الدنا امراؤها
واحكم على الايام حكم موفق … لبق تدين لحكمه آناؤها
ولتحي ما بين الملوك مظفرا … في همة، لا تنثنى علياؤها
ولتبق في عز ونصر دائم … تنجي وتنجد من طفت ضراؤها
وولي عهدك في اتم سعادة … يرضيه من دنيا الكمال ولاؤها

الرباط : محمد اليمني الناصري

مولد النور

للشاعر:
محمد ابن علي العلوي

اشرق النور يملأ الكون ضيا ... اي شمس غدت تنير الدحـ
اي شمس اضاءت اليوم في الكو ... ن فأضحى الزمان طلق المحيا
اي ذكرى عزيزة قد اطلت ... ببديع العظات تشفي الدويا
ذكرتنا والذكريات اذا ما ... رجعت للقلوب تجلو الصديا
ذكرتنا والذكريات عظات ... تنفع المومنين شيئا فشيا
ذكرتنا محمدا وضعته ... اشرف السيدات بدرا بهيا
واتم الاله نعمته العظـ ... ـمى وشب الوليد برا تقيا
ذكرتنا بمولد النور يسمو ... بالحجى والنفوس نحو الثريا
مولد كان للعروبة فخرا ... قبست من بهاه مجدا سنيا
يوم بعث الاله احمد للنا ... س فكان الرسول والعبقريا
والى الله قد دعا فتعالت ... صرخة الحق تملأ الارض ضيا
وغزا الشرك والضلالة والبغـ ... ـي وهز اللواء والمشرفيا
فتهاوت معاقل الشرك تترى ... والى الشرك سدد السمهريا
واذا الوحي والمواعظ تتلى ... في بيوت الاله تهدي القويا
واذا الدين يملأ الارض عدلا ... ونظاما وحكمة ورقيا
مشعل النور والهداية دين ... به ترقى النهى مكانا عليا
وحد العرب في الجزيرة حتى ... بلغوا المجد والمكان القصيا
واقاموا من الحضارة صرحا ... مشمخر البنا عظيما بهيا
بذلوا النفس والنفيس وبزوا ... كل من سولت له النفس غيا
ما ظننا البغاث يستنسر اليو ... م ويصلي بالنار شعبا ابيا
اي شيء يخفف اليوم عنا ... صدمة هزت الكيان القويا
اي شيء يخفف اليوم عنا ... طعنة الغدر قد اصابت جريا
اي شيء يضمد الجرح بالشر ... ق ويحيي اباءنا العربيا
اي شيء اصابنا فا ضعنا ... وحدة الصف والتراب النقيا
ما اضعنا لولا التراشق شيئا ... ظل يغري عدونا « الصهيونيا »
ما اضعنا والله ما قد اضعنا ... لو نبذنا الخلاف والاجنبيا
قد تركنا مواعظ الدين جهـ ... ـلا واتبعنا الهوى غباء وغيا

فأتى الدرس قاسيا ومفيدا　　علنا نستفيد يا عرب شيا

علنا نسلك الطريق ونقفو　　بخضم الحياة نهجا سويا

رب الهم بني العروبة رشدا　　وامنح القوم لطفك السرمديا

وانر للاباة خير طريق　　واجعل الحب بينهم ابديا

واجمع الشمل عاجلا كي يزيلوا　　وصمة شوهت صفاء المحيا

وانصر المسلمين في كل صقع　　واجعل النصر دائما سرمديا

رب واحفظ لنا المليك المفدى　　والاميرات والامير المولويا

واطل عمره وسدد خطاه　　زده يا رب رفعة ورقيا

وادم عزه وحقق رجاه　　كي يوالي جهاده العربيا

سيدي عاهل البلاد سلاما　　من فؤاد يراك نجما مضيا

قبس انت من سناء رسول　　جاء للناس رحمة ونبيا

كم رايناك في الاشاوس فذا　　ورايناك في النهى عبقريا

ورايناك في الهداية شمسا　　تبعث النور والرشاد الجليا

فاتبعنا سبيله فاهتدينا　　وسلكنا به الصراط السويا

وبلغنا بك المراد ونلنا　　قمة المجد والمكان العليا

وقطعنا الاشواط للعز وثبا　　وطوينا مراحل المجد طيا

وثبة اثر وثبة اثر اخرى　　وطموح يروم هام الثريا

زود الناس من سنائك انا　　بك يا ابن الرسول نلنا الرقيا

وانر ظلمة العقول ونور　　يا حبيب القلوب منها الدجيا

وهنيئا بالعيد يا خير ملك　　وهنيئا للمسلمين هنيا

وعلى جدك الرسول صلاة　　ما استمر الصباح يقفو العشيا

وعليك السلام ما طلع الفجـ　　ـر وغنى الهزار لحنا شهيا

فـاس : محمد بن علي العلوي



الثورة الكبرى

للأستاذ الشاعر عبد الكريم النوالي

فى خامس يونيو سنة 1967 هاجم الاسرائيليـون الجمهوريـة العربية المتحدة (مصر) فاضطرت الدول العربية الى صد العدوان والقت بجيوشها فى الميدان ولكـن اسرائيل لم توقف عدوانهـا وبهذه المناسبة انشـدت القصيدة التالية مشاركة منـي فى هـذه المعركـة .

صهيـون ، بنت الخنى ، سحقا وادبـارا   قد حـاق ساحـك ثـار هب اعصـارا
يا ويح صهيون ، لا « نابال » او مـدد   ينجيـك من يعـرب ان مـار او ثـارا

* * *

صهيـون ، حاقت بكـم لعنـات بارئكم   واقسـم العـرب ان يصلوكـم النـارا
لا تحسبونـا نسينا مـا جنت بدكـم   ومـا اذقتـم ايـامـانـا وابكـارا
فى « بيت لحم » وفى « يافا » وفى « نقب »..   وفى « الجليـل » رفعتـم للخنـى دارا
« والقدس والمسجد الاقصى » لكم شهـدا   ان النجاسـة تـدستـم واوضـارا
فمـا نسينـا ولـن ننسـى تنطعكم   وغدركـم وتعديكـم واضـرار
ربحتـم جولـة السـواى وان لنـا   صـولات حـق تعيـد العـدل هـدارا

* * *

ما كـان للعرب ان تنسـى مبـاذلكـم   او تستسيـغ خطايـاكـم واقـذارا
عشرون عامـا مـن العدوان شاهـدة   بمـا اقترفتـم جنـايـات وازوارا ..
فى « بئـر ياسيـن » قتلانـا دمـاؤهـم   تدعـو العروبـة : خوضوا الحرب اوارا
لا تهـداوا ، او تبيـدوا كـل مغتصـب   وتـردعوا البغي والعـدوان والعـارا
لا تهداوا ، او تحيلـوا الارض اجمعهـا   نـارا تحـرق للصهيـون انصـارا
والعرب فى «المغرب الاقصى» وفى « عدن»   وفى « الجزائر » ظمـاى تنشـد الثـارا
وفى «العـراق» وفى «لبنـان» زمجـرة   تدمـي العـدا وتـدك الظلـم والعـارا
وفى « عمان » وفى « مصر » لنـا شهـب   تقـض مضجـع صهيـون وانكـارا

وفى عـرائـن « ليبيـا » للعدا نصـب   اذكتـه « تونـس » أوارا واعصـارا
وفى « الحجاز » وفى « الاردن » معركـة   وفى « الكويت » صداهـا يقذف النـارا

* * *

لا تحسبـوا اننـا يومـا نهـادنكـم   او اننـا منكـم لن نـأخـذ الثـارا

* * *

صهيون ، مـا فى فلسطين لكـم نسـب   ولامقـام ففروا واتركـوا الـدارا
لا تحملوا العيش فى فلسطيـن ، قد ازفت   مصـارع الغـدر فيهـا فابتغـوا جـارا
والعـرب آلـوا بأن يفنـوا قراصنكـم   وان يبيـدوا نـواديكـم وآثـارا
صهيـون ، خلتم ــ وبطل ظنكم وسدى ــ   انـا سنـرهـب اسطـولا وطيـارا
فجرتم ، وعثوتـم ، ظـالمين لنـا   فكـان مرتعكـم حـرقـا واوا......را
وخلتـم الثـورة الكبـرى كسـابقـة   تخبـو ، فـاعلنتـم غـدرا واصـرارا
لكننا ــ وجحيـم الحـرب كالحـة   ــ فى الارض نثخـن اشلاكم وابشـارا
هنـاك فى فلسطين سـوف نمعنكـم   ذلا واسـرا وتقتيـلا واقبـارا
والعـرب آلـوا بـأن لا يتركـوا اثـرا   لآل صهيـون لا جنسـا ولا دارا
وعاهـدوا اللـه والاوطـان لا هـدأوا   او يبلغـوا منـك يا صهيـون أوطـارا
ويثـاروا للضحايـا ، للالـى بذلـوا   ارواحهـم وفـدوا فلسطيـن احـرارا

* * *

ما للصهاينـة الاشـرار هـل جهلـوا   انـا مسـاعـر خضنـا الحرب اطـوارا
واننـا مـذ وعى التاريـخ دورتـه   كنـا هـداه ومـا نوجبه افكـارا
وانمـا بدمـا احـرارنـا كتبـت   سطـوره فغـدت للكـون أوتـارا
واننـا وحدنـا سدنـا مشـارقـه   فانتـاذ وارتجـز الامجـاد اشعـارا
واننـا ان نـرد شيئـا جـرى قـدر   بمـا نريـد وقـد سدنـاه ادهـارا

فاس ــ عبد الكريم التواتي





للشاعر :
عبد الكريم الطبال

(يافـــا) جزيرة كل احلامي . شراع الشوق يبحر فى عيوني . فى دمــي
شلال انغامـــي . وصورة كل اطيافي . وصوت الحب يدوي في فمـــي
انـــا ان هجرتك يا ربيـــع العمـــر . يا قيثار من غنى شجي الانغـــم
المـــوج فى راسي فـــلا كـــاس بمجديـــة . ولا رقـــاء مس مبهـــم
الدمـــع في عينـــي فـــلا ورد ولا غيـــد بداويـــة لـــداء المغـــرم
الجـــرح في صوتي فـــلا ضحك ولا شـــدو لسجـــاع يجود بيلـــم
فلأن شذاذ الطريـــق تاســـدوا وهم البغاث . وهـــم سلالـــة ارقـــم
مـــن كـــل فـــج كالجراد المسخ جـــاؤوا كالظلام الى بـــلاد الانجـــم
فغـــزوك . قرصان السلام . زعانـــف التاريـــخ . ســـود المعصـــم
مسخوا الـــدروب المؤمنـــات فجلجلت فيها حوافـــر كل مسخ اقـــزم
رفعوا المشانق فى الطريق لكل من رفعوا البنود وصاولـــوا كل اجـــذم
نـــسفوا بيوت الله . يا ويـــح الذين تدينـــوا ابـــدا بديـــن الدرهـــم
لا نفحـــة الانساب . لا خلـــق النبوة فى سوائمهـــم ولا في الاهيـــم
حرقوا المزارع والكروم وما ارتووا فالحقـــد لا يروي بغيـــر المأتـــم
فاستنسروا في كل دار يذبحـــون ويعبثون بكـــل قـــدس المحـــرم
فاذا بيافـــا مأتـــم واذا بنـــا متشردون نتيـــه تيـــه المـــرغـــم
اقدامنـــا فى الرمـــل تغرق فى خمود الميتين وفى شـــرود المجهـــم
انظارنـــا بلهـــاء في الافـــاق تحسبهـــا ظـــلالا في خواطر معـــدم
لا الـــدار تنتظر الظلام لكي نعـــود ولا المزارع في انتظـــار الهـــوم
لا الشط يدعـــونا اليـــه الى بساط اخضـــر يحكـــي حكايـــا ملهـــم
اشعـــاره لا تنتهـــي حتـــى اذا جـــن المساء حكـــى لساج مظلـــم
لا الفجـــر ينتظر المـــآذن ان تهلـــل فالمـــآذن دارســـات المعلـــم

لا الدرب في يافـــا يحن الى الصباح فأين اطفـــال الصباح الابكـــم ؟
ايـــن الصبـــاح الحلو اين قيائر الاشواق تحكـــي خاطرات البرعـــم ؟
داستهم الاقـــدام . تاهوا في القفار يرددون الى متى في الميتـــم ! !

* * *

يافـــا الحزينـــة اننا في النار نمشي لن نعـــود الى خيـــام النـــوم
نمشي اليك الى الديـــار ولو شظايا . ان صوتك فوق صوت المرجـــم
فلتنتشـــر اشلاؤنـــا ولتلتهـــب آفـــاقنـــا نـــارا كنـــار جهنـــم
لكننـــا لن نوقـــف الزحف الكبيـــر فاننـــا قبـــر التتـــار الظلـــم

شفشاون : عبـــد الكريم الطبـــال

مولد الرسول

للشاعر المهدي بن ادريس

الامر امرك فى الهوى ... والناس فى شر كثير
الهدي فى تلك الربى ... والدين ينبع من اثير
تلك الربى قبل النبـ ... ـوة فى جحيم تستطير
الظلم فى اكنافها ... والنفس تقتل بالنقير
والعيش عيب كله ... والحب يقتله النكير
تلك المتالع كلها ... تلك الخرائب والقبور
ذاك التراب جميعه ... امسى جحيما للصدور
والسيف يملك عزهم ... والطعن يعبث بالنمور
والخمر تشرب بينهم ... والفسق يخلقه الغرير
والناس فى ضوضائهم ... بين الغواية والفجور
تلك الفتاة مهانة ... هذا الفتى عبثا يدور
تلك المكارم كلها ... تمحى على مر الدهور
تلك المساوي امرها ... ما بين اجنحة القصور
ان لم تكن لك امرة ... امسيت فى ويل تفور
ان لم تكن لك ثروة ... اصبحت فى خبر الدثور
اصنامهم اقيالهم ... اعلامهم جهل يغور
خطباؤهم شعراؤهم ... اشياخهم شعب نفور
ما فى المدينة غيرة ... ترجى ولا دين يزور
هذي البيوت بمكة ... يجلى بها عيب شهير

هذي المراتع والمـ ـزارع شرها شر يطير
هذي المدينة ثورة هذي المنازل كالسعير
الموت في جنباتها والشؤم يزخر لا مصير
حتى اتاها محمد بيد المناعة يستنير
ولد النبي على الهدى بالدين يقبل او بشير
امسى يسوق الى الرضى اما تساق الى الشرور
اعلت لهم احلامه احلامهم بين القصور
يا من رآه وحربه بالدين تقتلع الجذور
يا من رآه وخلقه قرآن دين لا يبور
يا من رآه مع الشبـ ـاب وقلبه اسد هصور
يا من رآه مع النسـ ـاء وعطفه امل نضير
يا من رآه مع الشيـ ـوخ وحكمه دين وقور
الله ايد باسه جبريل ينزل بالظهير
يلقي اليه بلاغة اقرا وربك في النصير
ادع البلاد لرشدها اخرج بربك تستجير
حارب رؤوسا اينعت بالشر تقتبل البشير
حارب ذئابا قد طغت بالسيف انت هو النذير
فغدا يجالدهم وينـ ـشر دينه ابدا يسير
واتى الى اصنامهم فتحطمت بعد الغرور
وغدا لها يقتادها نحو الهداية والنشور
قاسى الشدائد كلها رشد العباد به ينير

❋ ❋ ❋

احمد ولانت تدعـ ـو الفداء هو النصير
احمد بين الغوايـ ـة والنذالة لا يخور
احمد ربيت فيـ ـهم امة تطا الصدور
انشأت غابر مجدهم واتيت ترتجل الحبور
اظهرتهم ونصرتهم والعزم يقصم للظهور
ارسلت فيهم غنيمة تهدي لدين قد اثير
بين المعابد والمعاهـ ـد هدي دين يستزير
قومتهم فرايتهم اما تسامت كالنسور

كونت منهم أمة   كسرت بعزمها الصخور
الملك ملكك قد غدا   والله لا يدع الفقير
اكرم بأمتك التي   انقذتها بعد الشرور
صارت الى غاياتها   للناس من جهل تنير
ثم استويت وصنتها   مما يخرب او يضير
ملكت رقاب الناس   فى ايامها خير وفير

❋ ❋ ❋

سبحان ربك قد اجل   لغايته رجلا خطير
كل الرجولة ترتجى   منه وفى شرف كبير
حتى استعاد لشعبه   ملكا يدوم ولا يبير
ثم استقامت وابتنت   بنيانها وجلا المصير
قرآنها دستورها   ايامها عيش قرير
دامت عروبة امة   ظهر العلاء لها السرير

❋ ❋ ❋

امحمد والقلب فيـ   ـك على الوداد هو الاسير
امحمد والنفس تقهرهـ   ـا الادارة والمرير
امحمد ابكي واذكر فى الليا   لي مع العشير
شوقي اليك يجلني   والشوق نار تستطير
ناديت احمد فى الدجى   فأجابني رب قدير
لم لا ازور مهاده ؟   ومهاده جلل غزير
لم لا أزور بقاعه   وبقاعه الفضل الوفير
الخير فى رحباته   والحب ينقذ ذا الاسير
والشوق يقتلني الى تلك   البقاع لاستخير
والحب ارقني وأرسل سهمـ   ـه كيما اطير
فأزور قبر محمد   اشفي به دائي الخطير
واعود منه وبي رخـ   ـاء فى الفتوة والضمير

فاس : المهدي بن ادريس

الذكرى

للشاعر عاصم عبدالله

كان لي في الوجود ذكرى اقامت — بين جنبي سنينا وهي اليفه
نزل الجسم فوقها فاستقرت — وحواها بين الضلوع النحيفه
ورأت في كآبتي وهمودي — ما يثير المنى العذاب اللطيفه
فاستكانت لهولها لا تبالي — بهمومي وبالخطوب المخيفه
عكفت فيه للصلاة كقس — واحبت سكونه وعزوفه
وانزوت مثل راهب مستجير — لتناجي خشوعه وعكوفه
واحتمت فيه لا تريد سواه — مسكنا ، بل تريد منه رفوفه
فاذا ما الغدير فاضت مناه — سمعت فيه همسه وحفيفه
واذا ما الشتاء بث صداه — وجدت فيه شكله وصنوفه
او افاق الصباح يمشي رويدا — حسبته صديقه او حليفه
قنعت بالجفاف ليست تبالي — أن تعاني قنوطه وخشونه
او اذا ما تصايحت حول جسمي — اي احداث او مآس طفيفه
لصقت في جداره واصاخت — في خشوع الى الاغاني العطوفه
وجثت تصغي في سكون اليها — لا تحاذيها فيه اية خيفه
وتمنت بأن تزور رباه — فمشت فيه وهي جد رؤوفه
ثم ساحت على ضفاف فؤادي — قطعت ارضه وجابت كهوفه
لم تهاجره في الشتاء المولي — بل قضت فيه صيفه وخريفه
وهوت ذاتي فوقها وطوتها — في ثنايا الازمان غير انوفه

* * *

فاستفاقت مشاعري ذات يوم — وهي حيرى لما جرى ، واسيفه
لترى حولها خرابا منيخا — وضلوعا كسيرة وعجوفه
فاذا بالشجي يناوش ذكرا — ي ويزجي حقوده وصروفه

زحف الهم خلفها ومحاها   من وجودي ، فانها لتليفه
كرياح مبيدة وسيول   او ظلام هوى فارخى سجوفه

* * *

حسبتني بأنني مثل كهف   تستطيع المكوث فيه ، وهي عنيفه
او بأني سرادق تتمشى   في خباياه كالاماني الظريفه
او كأني الضباب يبدو جميلا   لا يرى المرء فيه الا طيوفه
نسيت أن جسمي تسكن فيه   هاجسات كثيرة ، وكثيفه
كأمان صقيلة ورياح   واعاصير هاجمات عنيفه
وهموم وحسرة وغرام   وتواريخ راكضات طريفه
واحاسيس غامضات وحزن   وشكوك ثقيلة او خفيفه

* * *

فهو بيت لها لتمكث فيه   لحظات، تكون ــ هي ــ ضيوفه
ثم تمضي حسيرة ، كظلال   اشرقت فوقه فعادت كسيفه
وهو ملك لغيرها وسواها   ليس للذكرى فيه الا سقيفه

البيضاء ــ عاصم عبد الله



القومية المغربية

للأستاذ محمد حجي

القوميـــــة او le nationalisme حديـث اطلقه الساسة والمؤرخون على الحركات التحررية التي قامت بها الشعوب الاوروبية المغلوبة على امرها خلال القرن التاسع عشر . وهي شعوب ادمجت على الرغم منها في اخرى لا تجانسها او لا تتفق معها في لغة ولا دين ، مثل المملكة المستحدثة في الاراضي المنخفضة المشتملة على بلجيكا وهولاندا ، والنرويج التي ضمت الى السويد . وشعوب اخرى مزقت اشلاؤها ، فالحق كل جزء بدولة اجنبية او نصب فيه حاكم غريب ، مثل المانيا الموزعة بين النمسا وبروسيا وايطاليا التي ضم شمالها الى حكومة فيينا ، واجلس غرباء على عروش الملك او كراسي الجمهورية في جنوا ونابولي وسردينيا . الى جانب الامبراطورية النمساوية التي كانت تضم علاوة على اراضيها واجزاء من ايطاليا ، بلاد بوهيميا التشيكية ، وغاليسيا البولونية ؛ وترانسيلفانيا الرومانية ، والمجر وكرواتها، والى جانب روسيا القيصرية التي استحوذت على جل البلاد البولونية ، وفنلندة وممالك انتزعتها من ايران وتركيا على ضفاف بحر قزوين والبحر الاسود والدانوب .. هذه الخريطة الاوربية الغريبة التي تمخض عنها مؤتمر فيينا (1814 — 1815) هي التي ادت الى خلق تكتلات لدى الجماعات المتجانسة، تستهدف التحرر من السيطرة الاجنبية . ولما لم يكن لهذه التكتلات كيان سياسي مستقل ، ولو انها في الواقع تكون وحدات متميزة بقيم مشتركة متعددة ، دعاها الساسة (قوميات) ، وعرفت حركاتها النضالية بالحركات القومية . هذه القوميات اذن حديثة بهذا الاطلاق في الغرب ثم في الشرق ، لكنها تمت بصلات وثيقة الى اصول عريقة في القدم اذ من المعلوم ان القوميات الالمانية والبولونية، والتشيكية والرومانية وغيرها لم توجد من عدم في القرن الماضي ، وانما لكل منها جذور وقد كثر الكلام حول بدعة القومية منذ ظهورها واختلفت النظريات في تحرير مفهومها وفي العناصر اللازمة لتكوينها ، وشغل الجامعيون — فيمن شغل — بهذا المشكل فالقيت المحاضرات والفت الكتب ، وظهرت في الموضوع تناقضات وتعقيدات حتى قال اورباخ : « ان القومية حقيقة معنوية لا يمكن لمسها كما تلمس المادة ، بل هي كالكهرباء ، غير مادية والظواهر الناشئة عنها ، والمشتقة منها ، لا تبين الا قليلا من طبيعتها المركبة (1) » . وقد اسفرت تلك الضجة الكبرى عن نتيجتين هامتين ، الاولى علمية نظرية تستخلص عناصروشروط القومية التيتقارب مدلولها مدلول الامة، ويمكن أن تتلخص في وحدة وتفاعل **الجنس** ، **واللغة، والدين** ، **والارض** . والثانية سياسية عملية بتحقيق مبدأ القوميات وحصول الاندماج بين الدولة والامة ، فوجدت الدولة القومية في المانيا وايطاليا بعد توحيدهما ، وفي كثير من الاقطار الاوربية الاخرى .

1) نقلت هذه الفقرة عن كتاب اورباخ في القوميات النمساوية — الهنغارية في : (هذه هي القومية) ترجمة محمد عيتاني . بيروت 1953 .

ويهمنا هنا ان نفيد من النتيجة الاولى العلمية لندرس على ضوئها القومية المغربية ، في العصر الاسلامي ، ونتعرف على ما تتوفر عليه من اسس ومقومات حسب المفاهيم الجديدة . ولا ندعي بهذه العجالة الاحاطة بموضوع متشعب كهذا ، وانما المهم ان نطرح المشكل ونأخذ في معالجة بعض جوانبه متوخين الوصول الى الحقيقة دونما اي تأثر بعاطفة او عصبية . وقبل ان ندخل في صميم الموضوع ، اود ان اشير باقتضاب الى مسألة (الامة الاسلامية) التي ظن البعض انها كل ما عرف المسلمون حتى العصور المتأخرة وان فكرة القومية لم تتسرب اليهم الا عن طريق العثمانيين .

والواقع ان الامة الاسلامية لم تعرف — حقيقة وحدتها الكاملة الا ايام الرسول الكريم والخلفاء الراشدين والامويين من بعد ، حيث كانت كل بلاد المسلمين من اقصى الشرق الى اقصى الغرب تعتبر (دار اسلام) تخضع لسلطة مركزية واحدة ، ويتنقل الناس في ارجائها دون حدود او قيود تقابلها (دار الحرب) وهي بلاد غير المسلمين .

اما بعد قيام الدولة العباسية فقد تغيرت الاحوال وظهرت الاقليمية في الجماعة الاسلامية ، ووقع انفصال الاندلس ثم المغرب عن خلافة بغداد على يد الامويين والادارسة . وتلت ذلك انفصالات اخرى في المشرق نفسه . فكان حكام هذه الاقطار الناشئة ومن بساكنهم فيها يرون انفسهم وحدات متميزة ويدافعون عن حدود بلادهم كل مهاجم من المسلمين وغير المسلمين . وهكذا تكونت — في حظيرة الجماعة الاسلامية — قوميات اندلسية ومغربية ، ومصرية ، وفارسية .. بل ان في حركة الشعوبية وبعض الفرق الخارجية ملامح من القومية الفكرية عند المسلمين وهذا لا يعني اضمحلال الروح الدينية عند المسلمين الذين عرفوا طوال العصور — حتى اليوم — بتعلقهم المتين بالحنيفية السمحة وانما يعني ادخال اعتبارات اخرى في عوامل الارتباط ، فرضتها طبيعة اتساع رقعة العالم الاسلامي وتعدد الاجناس المنضوية تحت لوائه واختلاف اهواء الحاكمين . ولنر الآن بشيء من التفصيل عناصر القومية في المغرب الذي ظل متميز الشخصية طوال العصر الاسلامي .

ا — الجنس

يحيط اليوم بكلمة الجنس كثير من الغموض نظرا للامتزاجات البشرية القوية عبر العصور ، حتى انه لم يكد يبقى عن وجه الارض جنس خالص . ومع ذلك تظل لكل امة فكرة عن جنس خاص تنتسب اليه. ويذكر المختصون ان هناك ثلاثة اجناس بالمعنى شبه الزولوجي ، هي :

1) جنس ناشىء مع الاصل ، وهو عبارة عن اسرة متكاثرة .

2) وجنس ناشىء عن بيئة ، نتيجة مساكنة طويلة

3) وجنس ناشىء عن الانصهار الناتج عن اختلاط طويل بين جنسين او اكثر (2) .

ونحن حين ننظر الى الجنس في المغرب نجده يتكون من البربر والعرب . وهما من اصل واحد على راي البعض مما هو مفصل عند ابن خلدون (3) نقلا عن قدماء نسابة العرب والبربر كأبي محمد ابن حزم ، وابي عمر ابن عبد البر ، وهانىء بن بكور الضريسي، وسابق المطماطي . فيكون البربر — على هذا الراي— يمنيين هاجروا من بلادهم بعد انفجار سد مأرب ، او من لخم وجذام اخرجوا من ديارهم بالشام ؛ فلما لم تؤوهم مصر عبروا النيل وتفرقوا في بلاد المغرب . وحتى اذا لم نساير هذا الراي ولم نقل بان البربر انحدروا من جدود عرب اقحاح كقيس عيلان او غيره، فانهم يكونون — ولا شك — مع عرب المغرب جنسا واحدا من احد النوعين الاخيرين : البيئي او الانصهاري . فتعايش البربر والعرب على ارض المغرب منذ القرن الهجري الاول ، لاسيما بعد موجة هجرة القبائل الهلالية خلال القرنين الخامس والسادس، كاف واكثر لامتزاج العنصرين وانصهارهما في جنس مغربي موحد . ولا يدل اطلاقا بقاء اللهجات البربرية في المناطق الجبلية على تميز عرقي — كما سنرى لدى كلامنا على عنصر اللغة — اذ هناك قبائل محولة برمتها — ان صح التعبير — بعضها يتكلم بالبربرية وهم من اصل عربي ، وقبائل اخرى استعرب

2) انظر كتاب **هذه هي القومية** ، هاش صفحة 55

3) ابن خلدون ، **تاريخ العبر** ، الفصل الاول من الكتاب الثالث . 6 : 175 وما بعدها . طبعة دار الكتاب اللبناني 1959 .

لسانها وجذمهم من الاطلس او الريف (4) . هذا الى الامتزاج الكثير داخل القبائل عن طريق التزاوج والتساكن ، والهجرات المتوالية في الحواضر والبوادي ولعل من ابرز ظاهرات الانصهار وجود عدد وافر من آل بيت الرسول الكريم ، زيانيين ومصامدة وسوسيين ودرعيين ... وقيام وحدات تامة الانسجام في المدن ، وبخاصة الكبرى ، مثل مراكش وفاس ومكناس ، وطنجة ، وتطوان ، وسلا والرباط . وحتى في البادية لا تكاد تجد فرقا بين خيام مضروبة في الاطلس او في بسائط تادلا ودكالة والشاوية ، ولا تلقى في كل سوى ذلك البدوي السمح الكريم ، المعتز بدينه ، وارضه ، الممتاز بفروسيته ورمايته .

ب — اللغة

وحدة اللغة عنصر اساسي في تكوين القومية ، اذ هي اداة التفاهم والتعاون ، ووسيلة استمرار الحضارة وتطورها ، حتى قيل ان الانسان عندما يتبنى لغة غريبة عنه يفقد قوميته ، والمغرب في العصر الاسلامي اتخذ من لغة القرآن لغته الرسمية ، فهي اللغة المكتوبة في السهل والجبل منذ 13 قرنا ، يتعلمها اطفال المدن والبوادي على السواء ، يخطون بها الالواح في الكتاتيب ، ويحفظون آيات وسورا يتلونها بلسان عربي مبين . ثم من يقبل منهم على طلب العلم يتوسع في معرفة قواعد اللغةالعربيةوآدابها،وكثير من نبغاء الكتاب والشعراء والمؤلفين في المغرب عبر العصور صنهاجيون او زناتيون او مصامدة .. بل ان فضل المرابطين والموحدين والمرينيين في ازدهار اللغة العربية وآدابها بهذه البلاد ، لا يقل — ان لم يزد في بعض النواحي عن فضل الادارسة والسعديين والعلويين . وناهيك بعشرات المدارس الفنية الكبرى التي اسسها المرينيون في اكثر حواضر المغرب (5) ، وما انجبت من عباقرة في كل المناحي العلمية والادبية ، وبمآت المدارس القروية في الاطلس وما وراءه (6) ، وتمسكها التلقائي باحتضان الثقافة العربية الاسلامية (7) .

واذا ثبتت وحدة لغة الكتابة في المغرب ، وبالتالي وحدة التراث العلمي والادبي ، فلا عبرة بوجود لهجات دارجة بربرية وعربية ، اذ لم يكن قط قيام مثل هذه اللهجات الى جانب اللغة القومية الرسمية قادحا في تحقيق كيان امة . وامام اعيننا اليوم امثلة متعددة حتى في الدول الراقية ، واقربها حال فرنسا التي تعرف علاوة على اللغة الفرنسية ، لهجات الباسك في الجنوب ، والبروطون في الشرق ، والفلاماند في الشمال والالزاس في الشرق .

ج — الارض

يقولون : لا قومية بدون ارض موروثة عن الجدود . فهل امتلك المغاربة هذه الارض الضرورية للقومية ؟ وما كانت حدودها الطبيعية او الاصطناعية .

لقد عاش المغاربة طوال العهد الاسلامي اسيادا في هذه البقعة الواقعة شمال غربي القارة الافريقية المكتنفة بالبحر المتوسط والمحيط الاطلنطقي واقصى الصحراء . اما من الجهة الشرقية فلم تكن الحدود قارة ، لان مقومات القومية في الحقيقة واحدة من هنا حتى مصر ، فالجنس ، واللغة ، والدين وطبيعة الارض كلها واحدة . لذلك كان امتداد الدولة المغربية يصل الى اواسط الجزائر في عهد الادارسة والمرابطين ثم شمل نفوذ الموحدين جميع بلاد شمال افريقيا حتى حدود مصر ، فلما فشلت ريحهم استبد بالامر عمالهم الحفصيون والعبدلواديون في تونس وتلمسان . وحاول المرينيون بعد ذلك استرجاع الحدود القديمة فلم يتجاوزوا تونس ،، وكان ذلك الى حين . وبقيام الدولة السعدية في مستهل القرن الهجري العاشر (16م) خط المغرب حدوده الشرقية بصفة نهائية — ولو انها غدت احيانا متحركة مضطربة — فتركت تلمسان وما وراءها للاتراك المستقلين اذ ذاك بحكم الجزائر ، وبقي ما دونها للمغرب بما في ذلك اقاليم الجنوب من توات وتيكورارين وقرى بني عباس في وادي الساورة وما وراء ذلك من مفازات الصحراء وتاكد تخطيط الحدود الشرقية ايام الملوك العلويين

---

4) انظر مثلا الصفحات العشر الاول من **ايلغ قديماوحديثا** للمختار السوسي ، المطبعة الملكية بالرباط ، 1966 . وهوامش كثيرة من الجزء الاول من **العز والصولة** ، لابن زيدان نفس المطبعة 1961 .

5) ارجع الى ابن مرزوق ، **المسند الصحيح الحسن**، الباب 41 . مخطوطة الخزانة العامة بالرباط .

6) في سوس وحدها نيفت هذه المدارس على مائتين. ارجع الى المختار السوسي ، **سوس العالمة** ، 154 — 167 .

7) كل ما سبق خاص بالمدارس العلمية . اما الكتاتيب القرآنية — الابتدائية— فلا تكاد تحصى وبخاصة في بادية المغرب .

الثلاثة الاول ، محمد الرشيد واسماعيل ابناء الشريف ابن علي فى نهر تافنا بمنطقة تلمسان (8) ، ولم يكن هذا التخطيط ناقصا لا يشمل غير منطقة ضيقة فى الشمال — كما زعم البعض — بل كانت الحدود الشرقية كلها (على طول) معروفة متفقا عليها ، وانما نصت الاتفاقية على الجزء الشمالي المتنازع فيه من هذه الحدود ، ولم يكن هناك داع للحديث عن المناطق الجنوبية التابعة منذ قرون عديدة للمغرب . وقد نشرت المطبعة الملكية بالرباط فى الاسبوع الاخير وثائق مهمة ، هي عبارة عن رسائل بعث بها السلطان اسماعيل بن الشريف الى ولده المامون خليفته بتافلالت واقاليم الصحراء ، وفيها نجد التنصيص على مناطق نفوذ هذا الخليفة ، ومن بينها (بلاد الفايجة ، وتوات ، وتيكورارين ، وتغازي ..) .

ولم اشر بشيء الى بلاد الاندلس والسودان ، ولو ان نفوذ المغرب انبسط فيهما ردحا من الزمن ، لان ذلك خارج عن نطاق موضوعنا .

د — الدين

الدين عنصر هام فى تكوين القومية يفوق اثره اثر العناصر الاخرى السابقة ويستطيع ان يمحو نفوذها احيانا . ذلك ان الدين يمثل فى المجتمع العنصر الاقل تعرضا للتحول ، بينما تمثل القومية شعور المجتمع بذاته ، فيندمجان ويتحولان الى نظام مشترك بذاته ، فيندمجان ويتحولان الى نظام مشترك دائم . والدين — اي دين — يجعل سلامة الامة التي تعتقده منذ عهد طويل متوقفة على التمسك به : فالاسلام هو الذي ابقى على قومية شعوب الشرق الاوسط ، كما حفظت الكاثوليكية للبولونيين والايرلانديين قوميتهم فى الغرب (9) .

ولعل المغرب من اسعد الاقطار حظا فى هذا المضمار ، فهو موحد تحت راية الاسلام منذ 13 قرنا. وهو من بين كل الاقطار الاسلامية — فيما اعتقد — البلد الوحيد السالم من الطائفية المذهبية ، يسير — كله — مع اهل السنةوالجماعة ، اشعري الاعتقاد، مالكي المذهب . وحتى الطرق الصوفية المنتشرة فيه ترجع كلها الى الشاذلية او القادرية المتفرعتين عن طريقة الجنيد السنية . ومن الادعية القديمة فى المغرب والتي يرددها المومنون عقب الصلوات فى المساجد حتى اليوم : « **اللهم .. امتنا على السنة والجماعة ...** » .

واذا كان الدين قد لعب دوره الكامل فى تكوين القومية المغربية ، فانه لم يكن كل شيء ، ولم يطغ على العناصر الاخرى . بمعنى ان الشعور الديني لم يحمل المغاربة على اعتبار جميع المسلمين من قوميتهم ، ولو انهم كانوا يعدونهم اخوة وذوي قربى . وذلك ما يفسر بعض المواقف التاريخية المغربية الغامضة ، مثل الموقف السلبي للموحدين — وبخاصة يعقوب المنصور — من الحروب الصليبية فى الشرق الاسلامي ، ومقاومة السعديين والعلويين المسلحة محاولات تسرب العثمانيين الى المغرب . وقد نجد الحل — اذا نحن ادخلنا فى الحساب هذا الاعتبار — لكثير من المشاكل ونقط الاستفهام القائمة حول تصرفات السعديين وعلاقاتهم مع كل من المسلمين والمسيحيين . فالسعديون كانوا يزنون سياستهم بميزان القومية والواقعية اكثر مما يندفعون وراء العاطفة الدينية المجردة ، فيستغلون الظروف الملائمة لمدافعة القوى الحربية التي تهدد البلاد ، مسلمةكانتاو مسيحية. وهكذا نجدهم احيانايهتبلون فرصة اشتباك الاتراك مع الاسبان فى معارك برية او بحرية ، فيقومون باغارات على منطقة تلمسان التي يتسرب او يمكن ان يتسرب منها الاتراك الى المغرب . ولا نظن ان الامر كان يصل الى حد عقد اتفاقات سرية بين السعديين والاسبان ضد الاتراك. — كما زعم البعض — . لان السعديين كانوا يحذرون من الاسبان ما كانوا يحذرون من الاتراك ، ولانهم من جهة اخرى كانوا يعتبرون الاسبان والبرتغال العدو رقم 1 من بين الدول المسيحية . يؤيد ذلك سياسة التواد والتعاون التي سلكها كل من عبد الله الغالب وعبد الملك واحمد المنصور مع انجلترا، هذه السياسة التي تقوم بالدرجة الاولى على محاربة الخصم المشترك : اسبانيا . ويسير المنصور فى تعاونه مع الانجليز الى اقصى الحدود ، فيزودهم بالمال وبالمواد الحربية مثل ملح البارود ، رغم ان العلماء كانوا قد افتوا بتحريم تمكين المسيحيين من هذه المواد . كل ذلك فى الوقت الذي نجد العلاقات السعدية — العثمانية تقوم على الحذر والمداراة ، ولا تتعدى تبادل السفراء للمجاملة والمهاداة ، وتحبير الرسائل بعبارات فخمة لا تكاد تعبر عن شيء ..

— يتبع —

الرباط : محمد حجي

8) ارجع الى احمد الناصري ، الاستقصا ، 7 : 20 — 60 .
9) ارجع الى كتاب : **هذه هي القومية** ، ص 77 — 79 .



تمهيـــــد :

بنو مرين ، اصلهم ، الخلاف فى نشاتهم

يلعب الفرد فى المجتمع دورا قد يكون ايجابيا كما قد يكون سلبيا ، نظرا للعلاقات التـي تربط بينهمـا ، والتفاعل المستمر الذي يطبع وجودهمـا فى الزمـان والمكان . ذلك ان هذا التفاعــل وهذا الارتباط هما الظاهرتان المميزتان للتطور الناشيء عنهمـا والمتجدد حسب قوة وضعف كل منهما ؛ ونتيجة لذلك ، قـد تكون الغلبة للبيئة المادية والاجتماعية التي تتحكم في الفرد الى درجة بعينة تجعل منه عنصرا منفعلا متلقيا عاداته وسلوكه منها ؛ بمعنى ان كل ما يصدر عنـه من سلوك نفسي واجتماعـي آت من التيـار الاجتماعـي الناشيء عن الاطار الذي يعيش فيه ، كما قـد تكـون الغلبة للفرد بحيث يتحـرر من القيـود ومن الضغـط الاجتماعي ليقوم بدور فعال خلاق يطبع البيئة بطابـع خاص ويجعلها تسير وفقا لارادته ، خاضعة لسلوكه ، فتتحول تحولا وتنقلب انقلابا فتتغير نظمها وتطـور أحوالها كل ذلك ما كان ليحدث لولا فرد من افرادهـا والدور الخطير الذي قام به من اجل تطورها .

وهكذا يستمر الصراع بين البيئة والفرد الى ان يحدث التكيف ويقع الانسجام والتـوازن الضـروري لقيام المجتمعات البشريـة ؛ واذا كان بعض المؤرخيـن لا يولون لهذه الظاهرة الاجتماعية اهتماما خاصـا ولا يقيمون وزنا لنتائجها (غايتهم فى ذلك سـرد الحوادث وتاريخها) ، فان من الضروري لكل باحث الاستنـاد اليها ، والعمل على كشف نتائجها فى تفسير الاحداث وتحليل الوقائع التي على ضوئها يمكن ان تفسر الاوضاع تفسيرا علميا ، بعيدا عن تأثير العاطفة وتحكم العادات وسيطرة الحالات النفسية والذهنية ، سواء فى الوصف او المشاهدة او التعليل .

لذلك اصبـح من الضـروري ، فى مثـل هـذه الدراسـات ، التعرف على الفرد الذي يلعب دور العنصر المحرك فى البيئة المراد دراستها حتى لا نفاجأ بالتأثير الذي يحدثه فى هذه البيئة وبالاتجاهات التي تنتج عن سلوكه فيها كفرد له نفوذ وسلطة .

وهكذا يتطلب البحث الرجوع الى الفرد نفسـه ، قبل الانطلاق فى الطريق لمعرفة ماهيته ، ماضيه وحاضره، طبيعته ونوع ثقافته والروابط التي تربطه بالبيئة التي دخلها كي يعيش فيها او يحكمها او يسوسها كما هـو الشان بالنسبة لموضوعنا . كل ذلك ضروري ومفيـد لمعرفة مدى قوته وضعفه ومدى تكامله او تناقصه مع المجتمع الذي يتطلـع الى تسييـره . فالنتائج التـي يسجلها فى الميادين الاجتماعية والاقتصادية مرتبطـة به اشد الارتباط وخاضعة حتميا والى درجـة كبيـرة لشخصيته وسلوكه . كم مجتمع تغيرت احواله وتطورت انظمته نتيجة سلطة قوية حازمة حكيمة اخذت بزمام امره ، فقادته نحو الرقي والازدهار ، وكم مجتمع اصابه التخلف والانحطاط وحلت به مصائب كادت تقضي على كيانه نظرا لضعف الشخصية التي استبـدت بامـره وتحكمت فى مصيره .

ومعنى ذلك بالنسبة لموضوعنا ان التعريف ببني مرين يشكل عنصرا اساسيا في هذا البحث ويلقي كثيرا من الضوء على الطريق الذي سنسلكه كما يساعد على الوقوف على كثير من العوامل التي كانت وراء ظواهر برزت واخرى اندثرت في هذا العصر .

لقد تضاربت الاقوال حول بني مرين واختلفت الآراء حول اصلهم ونسبهم ، فكثرت النظريات وتشعبت الاحكام ، فكان من المؤرخين من ارجع نسبهم الى البربر وكان منهم من اكد عروبتهم كما كان منهم من ادعى انهم اروبيون كسائر القبائل البربرية الا ان هذه الاحكام لم تكن ، في جملتها ، مبنية على اسس علمية وحجج موضوعية ، مستمدة من التاريخ نفسه ومن الواقع الاجتماعي الذي عاشته البيئة المغربية عبر العصور ، فتحيز البعض لعنصر كان قويا في ظروف معينة وتأثر البعض الآخر بعاطفة دينية او عنصرية كما اكتفى عدد كبير من المؤرخين بالرواية والنقل المجرد . مع ان القضية ذات اهمية عظمى من الوجهة التاريخية المحضة ومن الناحية الاجتماعية ايضا . واذا كنا لا نريد الخوض في هذا الميدان الشائك الذي ظل الى اليوم مستعصيا على كثير من العلماء المختصين ، نظرا لقلة المصادر التي يمكن الاعتماد عليها وكثرة الاساطير المتعلقة بالاجناس التي سكنت العالم في العصور السحيقة ، فاننا كذلك لانريد ان نمر ساكتين عن اهم ما جاء في هذا الموضوع من نظريات وبدون ابداء موقفنا منها .

نظرية ابن خلدون :

اهم ما جاء في هذا الباب ، في نظرنا هو ما رواه ابن خلدون عن البربر وعن نسبهم وتاريخهم بصفة عامة . ذلك ان معظم المؤرخين عربا كانوا او اجانب استندوا اليه واعتمدوا عليه اعتمادا يكاد يكون كليا عند البعض ، فأتوا بحجج وادلة ونقلوا ما جاء في مقدمته وتاريخه تأييدا لقولهم واستشهادا لروايتهم ، فكان ما قالوا هو في غالب الاحيان ما قاله ابن خلدون قبلهم عن البربر عامة وعن زناتة خاصة مع شيء من التفصيل والتعليق في بعض الاحيان .

يستخلص مما جاء في مقدمة ابن خلدون وتاريخه ان البربر كلهم يرجعون في نسبهم الى فرعين رئيسيين تفرعت عنهما شعب وبطون كثيرة : فرع البرانس ، وفرع مادغيش او البتر . الى الفرع الاول تنتسب قبائل صنهاجة وكتامة ومصمودة ولمتنة وغيرها من القبائل التي سكنت ما يسمى اليوم بالمغرب العربي وتقاسمت اطرافه في موطنها ، كما لعبت دورا اساسيا في تاريخه السياسي وحياته الاجتماعية . اما قبائل مدغيش والبتر فتتمثل على الخصوص في قبائل زناتة المتفرعة الى مغراوة وبني يفرن وبني مرين وبني عبد الواد وغيرها . هذا هو التقسيم الاول الذي اعطاه ابن خلدون للبربر او بعبارة اخرى سكان افريقيا الشمالية في عهده اي في القرن الرابع عشر (م) وهو تقسيم ازدواجي مقصود عند ابن خلدون مبني على طرفي نقيض كما جاء في تاريخه . ذلك ان جميع القبائل البتر اي قبائل زناتة تتعارض مع البرانس في المسكن وفي اسلوب العيش وفي كثير من العادات والسلوك . بل عرف الفرعان الكبيران بكثير من التنافر والتناحر ، والعداوة المكينة مدى العصور وعبر المجتمعات التي وجدا فيها جنبا الى جنب ، عرفت القبائل الاولى في معظمها بنوع من حياة الاستقرار والتشبث بالمسكن وتعاطي الفلاحة والاهتمام ببناء الدور ، بينما اشتهرت قبائل الفرع الثاني بحياتها البدوية والقائمة على التنقل والترحل الدوري من مكان الى آخر ، بحثا عن الرزق وسعيا وراء ايجاد كلا للماشية اينما وجد الخصب وحيثما ظهرت المراعي والمياه ، مهما كانت الظروف ولو « ادى الامر الى التسلط على الغير والسطو على ممتلكاته ومزروعاته » . وبذلك قوى الصراع واشتدت العداوة والبغضاء بين الطرفين المتصارعين اللذين ظل كل منهما يكيد للآخر ويتربص به عساه يقضي عليه نهائيا ولو ادى الامر الى التحالف مع عدو مؤقت او مع اجنبي كما حدث لقبائل زناتة عند ما تحالفت مع بني امية في الاندلس .

والذي يهمنا هنا في نظرية ابن خلدون ان قبائل بني مرين قبائل بربرية ترجع في نسبها الى قبائل زناتة المشهورة ، وانها بانتمائها الى هذه القبائل تشكل عنصرا من العناصر التي ناصبت العداء الدائم لقبائل مصمودة وصنهاجة وغيرها من فروع البرانس ، ويؤكد ابن خلدون بربرية هذين العنصرين من سكان المغرب في عهده بتقسيم آخر جعل فيه البربر ثلاثة اقسام رئيسية : صنهاجة ، زناتة ، مصمودة ، اي القبائل التي لعبت في المغرب دورا رئيسيا في حياته السياسية والاجتماعية الا اننا نراه ، وهذا مهم بالنسبة لموضوعنا ، يخص

قبائل زناتة بعناية كبيرة ويدرسها في تاريخه دراسة طويلة مركزة ، الشيء الذي لم تحظ به القبائل الاخرى التي تندرج تحت لواء البرانس ، لماذا اذن هذه الاهمية وهذه العناية الخاصة ؟ .. هل كان ذلك لغاية مادية او سياسية يرمي اليها من تاريخه الطويل ؟ كما اكده كوتي في تاريخه (ماضي افريقية) (1) نظرا لكون الدولة القائمة في عصره هي دولة بني مرين وهي من زناتة ؟ نحن نعلم ان ابن خلدون كان كثير المطامع والشهوات ، ميالا الى العز والجاه داهية في خلق الاسباب للتقرب من ذوي النفوذ عارفا بخبايا الاحداث وبدقائق الامور متحينا الفرص ، متقلبا في سلوكه لنيل مراده وتحقيق اهدافه الكبرى والبعيدة ، كل ذلك نعلمه منه

تلك هي ، باجمال نظرية ابن خلدون في اصل البربر بصفة عامة وقبائل زناتة بصفة خاصة ، وهي نظرية تتصف بكثير من الشمول والدقة والايضاح ووفرة المعلومات رغم ما يبدو فيها من تناقض وتطرف في القول ، ولقد كانت الصراحة التي ابداها ابن خلدون في هذا الموضوع سببا لكثير من الانتقادات التي وجهت اليه والحملات التي قامت ضده لا سيما من طرف بعض المحدثين الذين نعتوه بأوصاف جارحة ، واتهموه بتهمة التفرقة بين العرب والبربر تلك التفرقة التي اعتمد عليها في نهاية القرن المنصرم وفي بداية هذا القرن ، كثير ممن مهدوا الطريق للاستعمار وايدوا خطته في التفريق بين عناصر السكان للقضاء على القومية وردود الفعل الوطنية ، فابن خلدون في نظر هؤلاء هو الذي اوحى بهذه الفكرة للمستعمرين وهو الذي زودهم بسلاح حاد استعملوه للقضاء على وحدة الشعوب المستعمرة ؟ .

الا ان ابن خلدون ، رغم هذا التقسيم لعنصر من سكان المغرب الذي اطلق عليه اسم بربر اورد في مقدمته استنادا الى ابن حزم ان افريقش ، وهو حميري من التبابعة ، انتقل الى ارض المغرب بقبائل عربية كثيرة ، استوطنته واستقرت منذ عصور سحيقة ، ثم زاد واكد في تاريخه ان قبائل صنهاجة وكتامة من القبائل العربية التي صحبت افريقش هذا من اليمن الى المغرب . وبذلك يلتبس الامر على الباحث في هذا الميدان ، في نظرية ابن خلدون في اصل البربر ، هل هم عرب نزحوا من الشرق الى الغرب تمكنوا الى ان جاء الفتح الاسلامي العربي ام هم عنصر قائم بذاته ، له خصائصه ومميزاته التي يتميز بها عن العنصر العربي الفاتح ؟ فابن خلدون رغم محاولاته الجريئة ومعلوماته الواسعة عن البربر وتاريخهم واماكن استقرارهم في اطراف المغرب لم يذهب بعيدا في هذا الجانب الذي ظل الى اليوم مستعصيا على كثير من العلماء ، ولم يقرر بصفة علمية ان البربر يشكلون عنصرا من حيث العرق او هم عناصر يختلفون عن العرب من الناحية اللغوية فقط . بل ظل يتحدث عن البربر كعنصر قوي في البلاد ، له عاداته وتقاليده ، ويختلف عن العنصر العربي في كثير من السمات والصفات .

عروبة بني مرين

ترجع عروبة بني مرين الى النظرية القائلة بعروبة البربر عموما ، وهي نظرية كثير من المؤرخين العرب ولا سيما المحدثين منهم وغير العرب الذين كتبوا في هذا الموضوع ، اما الاسس التي تنبني عليها هذه النظرية فهي :

1) اللغة .

2) لفظة بربر لا تعني وجود عرق او سلالة .

3) دخول الكنعانيين الى المغرب قبل الفتح الاسلامي ودخول العرب من اليمن الى افريقيا على يد افريقش .

4) سهولة اسلام البربر وتعريبهم بصفة سريعة .

5) تأثيرهم بالحضارة الفينيقية تأثرا عميقا وعدم تأثرهم بالحضارة الرومانية المسيحية .

تعتبر اللغة من المقومات الرئيسية لقومية ما ، فكثيرا ما اعتمد عليها المؤرخون كمقياس يعرف به مدى تشبث شعب بقوميته ومدى انسلاخه عن هذه القومية واندماجه في قومية اخرى تغلبت عليه بالقوة او بالتأثير الحضاري العالي التي تتوفر عليه هذه الحضارة الغالبة ، وهذه حقيقة اجتماعية اثبتها التاريخ حيث راينا شعوبا كانت تتوفر على لغة قديمة فقدتها او كادت بفعل التأثير الاجنبي المقصود او غير المقصود ، اما البربر فكانوا يتحدثون بلهجة بل بلهجات مختلفة تميزت عن لغة العرب ، الا ان هذه اللهجات كلها رغم اختلافها ورغم خصائصها حوت كثيرا من الالفاظ العربية كما اشتملت على كثير من ادوات النحو والمخارج الحروفية التي نجدها في اللغة العربية ، وهكذا نجد اسماء كثيرة في

1) ماضي افريقية ص 49 .

ميادين مختلفة فى حياة الاسرة او فى مرافـق اخـرى تكتسي طابعا حيويا ، نجدها مستعملة عند العرب وعند البربر بنفس المعنى .

ويجدر بنا ان نشير هنا فى هـذه المناسبـة الى البحث القيم الذي نشر فى مجلة اللسان العربي للاستاذ المختار السوسي رحمه الله حـول تأثيـر العربيـة فى الشلحية (1) ، فالاستاذ المختار ، كما يدل عليه نسبه ، هو من اهل سوس ، قبائل بربرية تسكن منطقـة مـن المناطق المغربية النائية ، اديب مغربي مشهور وفقيـه لغوي كرس حياته على دراسة وتدريس اللغة العربيـة كما اهتم خصوصا بتاريخ اقليم سوس وعلمائه وادبائه ومشاهير رجاله ، ولقد ابرز فى هذا البحث وجوه الشبه بين اللغة العربية والشلحية وسـرد اسماء كثيـرة وعبارات متعددة تحدث عن اصلها وتطورها وما لحقها من تحريف ثم ارجعها الى مصدرها الاصلي وهو اللغة العربية ، ومما يزيد البحث قيمة ان الاستـاذ المذكـور خرج بنتيجة اخرى وهي ان الشلحية فى سوس وغيرها من قبائل البربر تستعمل كلمات قديمة سبقت الفتـح الاسلامي ، الشيء الذي يثبت فى نظره مصدرا واحدا لها وهو اللغة العربية ، كما يثبت وجوه العرب قبـل الفتح الاسلامي بقرون .

ويستدل كذلك على عروبة البربر ان لفظة «بربر» التي اطلقت على هذا العنصر من السكـان المغاربـة لا يقصد بها العرق وانما اطلقت كوصف تطور مفهومه مع الاحداث، ذلك ان «بربر» فى الاصل كلمة يونانية ، حسب كثير من المصادر تعني كـل مـن كان يتكلم بغير لغـة اليونان ثم اصبحت تعني عند الرومان جميع الشعوب التي كانت دون حضارتهم ، بل كانوا يعنون بها الشعوب البدائية التي لا حظ لها « من الحضارة » اما العرب فقد استعملوا كلمة (بربر) بمعنى اختلاط الاصوات واضطراب الالفاظ او غموض مفهومها فالكلمة معناها اذن تحريف واختلاف فى الكـلام والتبـاس فيـه بل عدم مطابقتـه لكلام العرب .

وينسب بعض المؤرخين افريقش قوله لما سمع العرب يتكلمون بافريقيا وما اكثر بربرتهم ثم قوله في شعر « بربرت كنعان لما سقتها ـ من بـلاد الضنـك الخطير » وهكذا يتضح ان المسألة فى « بربر » مسألة لغوية لا صلة لها بالعرق او بالجنس ذلك ان البربر هم عناصر من السكان يتحدثون بلهجة خاصة تختلف في قليل او كثير عن لغة العرب . فالبربر اذن ، حسـب ما اوردناه ، يمكن ان يكون عربيا تبربر او ان صح التعبير « متبربر » تعـرب لكن عربيتـه أصيبـت بتحريفات وتغييرات سطحية او جذرية ، بحكم البيئة او عوامل اجتماعية معينة .

ثم هناك ظاهرة اخرى يستشهد بها انصار عروبة البربر ، وهي دخول العرب من اليمن الى المغرب على يد افريقش ، ثم دخول الكنعانيين بعدهم يوم فتحوا المغرب قبل الاسلام ، بل قبل الميلاد ؛ وقد كان للفنيقييـن فى المغرب اثر كبير فى سكانه ، كما اكده كثير من المؤرخين العرب وغير العرب بينما لم يترك الرومان فى هذا البلد اثرا يذكر .

والسر فى ذلك راجع الى ان الفنيقيين ، كما اثبتت الحفريات ، كانوا يتحدثون بلغة عربية فى جوهرها ، بل قريبة من اللغة العامية المنتشرة فى افريقيا الشمالية .

فاذا كان سكـان المغـرب لم يأخذوا شيئا عـن الحضارة الرومانية ، رغم سيطرتها وتفوقها ، فهم قد اخذوا عن حضارة الفنيقيين الشيء الكثير وانسجموا معهم فى كثير من الظواهر ، لا سيما اللغة ، وما هـذا الانسجام وهذا التفاعل بين العنصرين فى نظر الكثير ، الا دليل على تقارب المنبعين ووحدة الارومتين .

واذا صحت هذه النظرية ، فبنـو مرين كسائـر القبائل الاخرى عرب رغم تحدثهم بلهجة خاصة ورغم وجودهم بمناطق المغرب العربي قبل الفتح الاسلامي ؛ بل هناك من المؤرخين من خصهم بهـذه الصفـة دون غيرهم ، وأكد عروبتهم من بين البربر ، وابن خلـدون نفسـه ، كما سبق ان اشرنا الى ذلك ، لاحظ فى عصره ان قبائل زناتة بصفة عامة تشترك مع العرب فى كثير من الصفات والاخلاق واساليب العيش ، لا سيما اهـل البدو منهم على ان ابن الاحمر (2) صاحب روضة النسرين وهو من معاصري الدولة المرينية ومؤرخيها اكـد في روضته ان زناتة كلها عربية الاصل ، من مضر «يجتمع نسبهم بنسب رسول الله (صلعم) ذاته ، وهم من ابي بر ابن قيس ابن غلان ابن مضر ابن نزار ابن معـد ابن عدنان ، وبر بن قيس بن غلان جد زناتة عربـي ليس بربريا ، سكن مع اخواله من البربر ، وكانوا يسكنـون

---

1) بحث للاستاذ السوسي بمجلة اللسـان العربـي تحت عنوان « تأثير العربية فى اللغة الشلحية » سنـة 1965 عدد 2 صفحة 32 .

2) ستاتـي ترجمته فى الفصل المقبل الخـاص بمشاهير ادباء هذا العصر المرينـي .

بأرض فلسطين وما ولاها من بلاد الشام ومصر، ويجاورون العرب فى المساكن والمراعي؛ وتزوج بر بن قيس فولدت له زوجته مادغيش وعلوان، فاما علوان، فمات وهو صغير السن، واما مدغيش فكان يلقب بالابتر وهو ابو البتر من زناتة » .

هذا هو قول اسماعيل بن الاحمر فى عروبة زناتة اي عروبة بني مرين، وهو قول كما نرى يعتمد على مجرد رواية ولا يستند الى حجج مقبولة، فمن الممكن ان يكون ابن الاحمر، قال هذا من قبل المدح لرؤساء الدولة الحاكمة لما عرف عنه من تحبب وتودد ورمى خصومهم بني عبد الواد باقبح الصفات وابشع النعوت وهو معروف بذلك التحيز السافر ويعترف به صراحة فى كتابه (روضة النسرين) حيث خصص القسم الثاني منه لنشر مثالب ونقائص بني عبد الواد . ونفس الموقف يلاحظ عندعبدالعزيزالملزوزي منارجوزته (نظم السلوك) حيث وقف من بني مرين نفس الموقف الذي وقفه نحوهم ابن الاحمر، لقد نسبهم هو الاخر الى العروبة وتأسف على التحريف الذي اصيب به كلامهم من ذلك قوله :

فجاورت زناتة البرابرا
فصيروا كلامهم كما ترى

ما بدل الدهر سوى اقوالهم
ولم يبدل منتهى احوالهم

بل فعلهم اربى على فعل العرب
في الحال والاشعار ثم في الادب

فانظر كلام العرب قد تبدلا
وحالهم من حاله تحولا

كذاك كانت قبلهم مرين
كلامهم كالدر اذ تبين

اتخذوا سواهم خليلا
فبدلوا كلامهم تبديلا

وليس من البعيد كذلك ان يكون الملزوزي متأثرا فى كلامه هذا كاسماعيل بن الاحمر بقوة ونفوذ رؤسائه بني مرين اذا كان احد السفراء الملازمين لهم،والانتساب الى العروبة اصبح بعد الفتح الاسلامي مفخرة للمستعربين، وعزة للذين اقبلوا على الاسلام نظرا لكون اللغة العربية هي لغة القرآن ولغة الحديث، ولكون العرب هم الذين قاموا بالفتوحات الاسلامية ونشر الاسلام اينما حلوا؛ فلا غرابة بعد، ان يصبح الانتساب اليهم والاندماج فيهم وحمل رايتهم موضوعا من مواضيع الفخر ومعنى من معاني المدح والثناء . والتاريخ يحدثنا فى هذا الموضوع عن كثير من الشخصيات المغربية التي بعد اندماجها فى دائرة العروبة والاسلام، اصبحت تتنكر لاصلها وتبحث لها عن اصل عربي صحيح، ولا غرابة ان يكون ما قاله اسماعيل ابن الاحمر وعبد العزيز الملزوزي من هذا القبيل .

ذلك ما قيل عن البربر عامة وعن بني مرين خاصة، وسواء صحت تلك النظريات ام لم تصح، فالواقع المغربي، اي المجال الذي كان مسرحا لانفعالات بني مرين وعواطفهم وافكارهم واعمالهم، هذا الواقع الذي شاركوا فى صنعه، وبذلوا فيه قصارى جهودهم؛ جعلنا نميل فى غير تأكيد الى عروبتهم او على الاقل نصرح بالصبغة العربية الشديدة التياكتسبوها فىالبيئة المغربية وفى الزمن الذي سيطروا فيه عليها .

واذا كان ما قاله ابن خلدون عنهم فى اشتراكهم مع العرب فى كثير من الصفات كالتنقل وركوب الابل والعيش تحت الخيمة، اذا كان ذلك لا يكفي لتأكيد عروبتهم، فان لنا فى سلوكهم مظاهر اخرى لا تخلو من ايجابية فى هذا المضمار، فلقد اجمع كثير من المؤرخين الذين كتبوا ووصفوا حياتهم، ان بني مرين اكثر القبائل واسرعها اندماجا فى العرب واقواها استعدادا للتكيف والانسجام معهم فى حياتهم اليومية وفى مواقفهم الاجتماعية المختلفة اكد هذه الحقيقة كثير من المؤرخين الذين اهتموا بهذه الناحية، ذلك ما جعل كوتي (1) يتساءل فى استغراب عما بقى من قبائل زناتة ويبحث عنها فى مختلف مواطنها التي عرفت فيها من قبل، فلا يكاد يجد لها اثرا، يقول : اندثرت بعد ما كانت قوية وانمحت اعقابها وكأنها لم توجد بهذه المناطق الصحراوية والتراب من افريقيا ومن قلب المغرب الاوسط الذي كان مقرا لها، والسبب فىذلك، كما يقول كوتي : « انها ذابت وفنيت فى قبائل عربية مختلفة »، وقد لاحظنا بالفعل ونحن نتتبع تطور القبائل البدوية فى المغرب

(1) ماضي افريقيا ج 2 ص 98 .

(بني هلال وبني سليم) ان بني مرين كانـوا اكثـر من غيرهم انسجاما مع هؤلاء البدو . لقد تحالفوا معهم وقربوهم اليهم وكلفوهم بمناصب خطيرة في الجيش وفي ميادين مختلفة . ولقد سبق لزناتة ان تحالفت مع قبائل اخرى عربية رغم كونها اجنبية على البلاد . وما تلـك القبائل الا بنو امية الذين وجدوا في هذه القبائل خير حليف وخير مناصر في سياستهم ضـد الفاطميين المتولين على المغرب ، ثم هناك ظاهرة اخرى بالنسبة لموضوعنا وهي ان بني مرين اتخذوا اللغة العربية لغة رسمية للبلاد في مختلف الميادين خلافـا لما كان عليـه الامر في زمن عبد المومن حيث ، كما يذكر التاريخ كانت تسود الدولة ازدواجية في اللغة : لهجة بربريـة ولغـة عربية ، وذلك ما لاحظه الاستاذ عبد الله كنون(1)عندما قال : « فالواقع ان بني مرين كانوا يعملون للنهضـة والتجدد في دائرة العروبة ، لا يخرجـون عنها اصـلا ، فخدموا العربية خدمة صادقة ، كفى اننا لم نعد نسمع بعد توليتهم الحكم بشيء من التمييز الذي كان للبربر في دولة بني مومن بل كان هذا آخر العهد بحيلة التفرقة والعنصرية » ، والواقع ان الاستعراب انتشر في البلاد (زمن بني مرين) انتشارا لم يسبق له مثيل حسب ما رأينا في التاريخ ، ذلك ان قبائل معروفة ببربريتهـا وبعدها عن المناطق التي يسكن فيها العـرب بكثـرة ، استعربت نهائيا حتى اصبح يشك في اصلها وفي نسبها ؛ ونتيجة لذلك ايضا انتشر الشعر العامي في البلاد وكثر متعاطوه ومتذوقوه لشـدة تأثيرهم باللغـة العربيـة وتعودهم على كثير من كلماتها وعباراتها المتداولة .

افليس هذا بكاف للدلالة على ما ذهبنا اليه ، وعلى الموقف الذي وقفناه من بنـي مرين ، واذا كنا في نظـر البعض ، قد اطلنا الكلام في هذه الناحية فما ذلـك الا اننا نرى كما اسلفنا ان التعريف بالفـرد في المجتمـع لاسيما بفرد يلعب دورا رئيسـيا في تغيير البيئة وتطورها امر ضروري من الناحية الاجتماعية لمعرفة نوع النتائج التي تركها او من الممكن ان يتركها . فبنو مرين بصبغتهم العربية وبصفاتهم البدوية وباخلاقهم وعاداتهم وحالاتهم النفسيـة اثروا بكل ذلك في المجتمع المغربي . افلا يتأثر الادب بهذه العوامل كلها ؟ .

يتبـــــع

الرباط : محمد بن شقرون

1) عبد الله كنون « النبوغ المغربي في الادب العربي » (بيروت : مكتبة المدرسة ودار الكتـاب اللبنانـي ، الطبعة الثانية 1961) ج 1 ص 183 .

القاضي عياض

للاستاذ عبد القادر الصحراوي

قـد يبـدو للناظر لاول وهلة ان مجال القول سيكون متسعا فيما يتعلق بترجمة حياة القاضي عياض وذكر اخباره وتفصيل احواله، خصوصا وان المصادر التي تحدثت عنه كثيرة متنوعة، ما بين كتب تاريخ كالقرطاس لابن ابي زرع، والاستقصا للناصري، والعبر لابن خلدون، وغيرها وغيرها. وكتب تراجم، كقلائد العقيان للفتح بن خاقان، والمعجم لابن الأبار، والصلة لابن بشكوال، وجذوة الاقتباس لابن القاضي، وسلوة الانفاس لمحمد بن جعفر الكتاني، ووفيات الاعيان لابن خلكان، وتذكرة الحفاظ للذهبي، والديباج المذهب لابن فرحون،، وغير ذلك وغير ذلك.

وخصوصا ايضا وان بين ايدينا موسوعة ادبية وتاريخية عظيمة، قرن مؤلفها اسمها باسم القاضي عياض، تلك هي: (ازهار الرياض في اخبار القاضي عياض) لاحمد المقري؛

وخصوصا ايضا ــ للمرة الثالثة ــ وانه قد اتيح للقاضي عياض في هذا المجال، ما لم يتح الا نادرا جدا لغيره من العلماء والادباء والكتاب. فقد كتب تاريخه اقرب الناس اليه، والصقهم به، واكثرهم معرفة باخباره واحواله. ذلك هو ابنه محمد، الذي خلف لنا كتابا في التعريف بوالده صغير الحجم عظيم الفائدة.

نعم قد يبدو لاول وهلة، ان مجال القول سيكون متسعا فيما يتعلق بترجمة القاضي عياض وذكر اخباره، وتفصيل احواله، ولكن الواقع على العكس من ذلك، وليس ذلك فيما يبدو ناتجا عن تقصير من طرف الذين ترجموا له، او تحدثوا عنه، وانما هو ناتج عن شيء آخر. هو ان حياة القاضي عياض نفسها، لم تكن زاخرة بالاحداث، بل لعله لم يكن فيها الا حدث واحد غير عادي، يتعلق بالموقف السياسي الذي اتخذه في اخريات حياته ضد الموحدين، عند قيام دولتهم، والذي كان سببا في نقله من سبتة الى مراكش، حيث لم يلبث الا مدة يسيرة ثم توفي الى رحمة الله.

اما فيما عدا ذلك، فقد كانت حياة القاضي عياض، حياة عادية هادئة مستقرة ناجحة. ولعل ذلك كان من الاسباب التي ساعدته على ان يؤلف كل هذه الكتب التي خلفها، والتي طبع منها حتى الآن ما طبع، ولا يزال البعض منها مخطوطا ينتظر دوره، والبعض الآخر نسمع به ونقرا عنه في المراجع. ولكننا حتى الآن لا نجد السبيل اليه.

* * *

على اننا اذا لم نجد متسعا من القول فيما يتعلق بترجمة القاضي عياض وذكر اخباره وتفصيل احواله، فان لنا عزاء عن ذلك، في كون ما كتب عن حياته في كتب التاريخ والتراجم، يكتسي صبغة الضبط، فلا نجد خلافا في نسبه ولا في تاريخ ولادته او وفاته او اخباره والاحداث التي تعاقبت عليه او غير ذلك، كما اعتدنا بالنسبة لغيره من العلماء والادباء والكتاب؛

ولعل الفضل الاول في ذلك، يرجع لابنه محمد، الذي خلف لنا ترجمة لوالده محددة المعالم، يذكر لنا

فيها بالضبط أصله وفصله ، وتاريخ مكان ولادته ، وتاريخ وفاته ، ومكانها وسببها ، وموقع مدفنه ، كما يسجل لنا بدقة تواريخ تنقلاته بين المغرب والاندلس، كطالب اولا ، ثم كقاض بعد ذلك ، مع ذكر شيوخه واخذ عنهم واجازوه ، والعلماء الكبار في الشرق العربي واساتذته بالمغرب والاندلس . والعلماء الذين لقيهم الذين بعثوا اليه باجازاتهم ، وان لم يلقهم ولم ياخذ عنهم ، لما بلغهم من سعة اطلاعه وعلمه واتقانه وخلقه وفضله ؛

وينبغي ان نفتح هنا قوسين ، لنقول ونحن نتحدث عن تنقلات القاضي عياض بين المغرب والاندلس ، طالبا اولا ثم قاضيا بعد ذلك : ان القطرين كانا على عهده ، يشكلان دولة واحدة ، تحت حكم المرابطين الذين آزرهم القاضي عياض من كل قلبه . ثم تحت حكم الموحدين الذين عارضهم من كل قلبه ايضا ، بل تعدى ذلك الى تزعم الحرب ضدهم في سبتة ، وتأليب الناس عليهم ، بل الى التحالف ضدهم مع اعدائهم الالداء الاشداء ، بني غانية ؛

* * *

ونعود بعد هذا الى كل المصادر التي كتبت عن القاضي عياض ، فلا نكاد نجد فيها شيئا يخرج عما ذكره ابنه محمد في كتابه في التعريف بولده ، حتى موسوعة المقري « أزهار الرياض في اخبار القاضي عياض » لانكاد نجد فيها شيئا فيما يخص القاضي عياضا نفسه ، الا صفحات قليلة متناثرة هنا وهناك، في الجزء الاول والثالث على الخصوص ، وهي لا تكاد تخرج في محتواها عما عرفناه من كتاب محمد ، ابن القاضي عياض .

ومعلوم ان هذا الكتاب « ازهار الرياض » يقع في اربعة اجزاء ، كان معهد مولاي الحسن بتطوان قد طبع منها ثلاثة اجزاء بعد تحقيقها وكتابة تعاليق عليها، ولم يتيسر طبع الجزء الرابع منها حتى الآن ، وقد علمت اخيرا ان المركز الجامعي للبحث العلمي بالرباط ينوي طبعه بعد ان كلف من يقوم بتحقيقه والتعليق عليه ، وربما اعيد عند طبعه طبع الاجزاء الثلاثة الاخرى ، التي اصبحت اليوم في حكم الكتب النادرة ، وهو عمل عظيم ، يباركه جميع المثقفين ، وجميع المعنيين بالدراسات المغربية الاندلسية . ونغتنم هذه الفرصة فنعلن عن رجائنا لهذا العمل الجليل ان يكلل بكامل التوفيق والنجاح .

نعم ، اننا لا نكاد نجد في « أزهار الرياض » شيئا عن القاضي عياض يخرج عما ذكره ولده في التعريف به ، اما الذي ضخم الكتاب الى هذا الحد ، فهو ان صاحبه قد جعل منه موسوعة أدبية تاريخية اندلسية ، كما اشرنا الى ذلك من قبل ، وكما يقول عنه المستشرق الاسباني فالنسيا ، في كتابه « تاريخ الفكر الاندلسي » الذي نقله الى العربية الاستاذ حسين مؤنس ؛

والواقع ان المقري انما اتخذ هنا من اسم القاضي عياض مدارا يدور حوله ، كما فعل باسم ابن الخطيب في موسوعته الاخرى « نفح الطيب »

اما غاية المقري الحقيقية ، فقد كانت هي ان يستقطب كل شيء عن الاندلس ، وان يجمعه في كتاب واحد او كتابين ، وقد حقق بالفعل ما كان يستهدفه في كتابيه « نفح الطيب » و « ازهار الرياض »

* * *

وبعد ، فماذا عن القاضي عياض نفسه ، بعد ان تحدثنا عن مراجع حياته وترجمته ، وهو حديث لا اعتبره مقدمة ، وانما اعتبره شيئا من صلب الموضوع ، لان المهم بالنسبة للباحث انما هو المراجع نفسها ، فاذا وجدها فقد وجد ضالته ، وقد لا يكون من الصعب عليه بعد ذلك ان يستخرج منها ما يريد . او ما يمكن لها ان تجود به ، لان المصادر تكون في بعض الاحيان شحيحة ضنينة مخيبة للظن ؛

ولد القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي اليحصبي بمدينة سبتة ، في النصف من شعبان سنة 476 ، ذكر ابنه محمد انه وجد ذلك بخط والده ، وذكر ابن بشكوال في الصلة ان القاضي عياضا كتب له بذلك .

فاذا تذكرنا ان يوسف بن تاشفين قد استقل بأمر المرابطين سنة 453 وان وفاته كانت سنة 500 فمعنى ذلك فيما نحن بصدده ، ان القاضي عياضا ولد في عنفوان دولة المرابطين ، ونشأ في اكثر ايامهم ازدهارا واحفلها بالمجد والتوسع والسلطان ؛

فعندما ولد عياض ، كان قد مر على استقلال يوسف بن تاشفين بأمر المرابطين ثلاث وعشرون سنة، وعندما توفي يوسف بن تاشفين ، كان عياض يبلغ من العمر اربعا وعشرين سنة ؛

وقد كانت ايام حكم يوسف بن تاشفين بالمغرب ـ كما هو معلوم ـ وكذلك ايام ولده علي بن يوسف بن تاشفين ، ايام ازدهار واستقرار ورخاء وعدل ورفاهية، وتقدير كبير للعلم والعلماء ؛

كذلك كانت ايام يوسف بن تاشفين ، وايام ولده علي من بعده . عهد تفتح على الضفة الاخرى للبحر الابيض المتوسط ، عهد تفتح على الاندلس ، بكل ما كانت تعج به اذ ذاك من حضارة وعلوم وآداب وفنون .

هذا هو العهد الذي ولد ونشا فيه عياض بن موسى بن عياض ، فكان من الطبيعي ـ مع ما فطر عليه من ذكاء حاد ، وحافظة قوية ، واستعداد علمي نادر المثال ـ ان يجد الجو امامه ممهدا ليشبع نهمه الى العلم والمعرفة ، متنقلا فى سبيل ذلك بين المغرب والاندلس، وكان من الطبيعي ايضا ـ وهذا مهم جدا فيما نحن بصدده ـ ان يظل محتفظا لدولة المرابطين باجمل العهود والذكريات ، وان يظل على ولائه لها وتعلقه بها حتى فى ايام ضعفها وانهزامها امام دولة اخرى فتية ناشئة ، هي دولة الموحدين ، كما سنرى من بعد .

يضاف الى كل ذلك ان عياضا ولد فى بيت ميسور الحال ، موسع عليه فى الرزق ، وهو الى ذلك بيت علم ووجاهة ، ومن شان كل ذلك ـ مع ما تقدم ـ ان يجعل الحياة امامه سهلة ميسورة هادئة ، وان يمهد السبيل امامه الى المستقبل العلمي الكبير الذي ينتظره .

وطلب عياض العلم كما يمكن لشخص فى مثل ذكائه واستعداده ، وفى مثل ظروفه وبيئته ، ان يطلبه، وتدرج فى ذلك حتى جلس الى الشيوخ الكبار . ياخذ عنهم الامهات فى اللغة العربية وآدابها ، والقراءات ، والتفسير ، والحديث ، واصول الفقه ، وعلم الكلام ، وما الى ذلك من فروع الثقافة والمعرفة التي كانت سائدة فى عصره .

وعرف له شيوخه فضله وحدة ذكائه وقوة تحصيله ، فاجازوه ؛

ورحل بعد ذلك الى الاندلس فى طلب العلم ، وكان خروجه من سبتة ـ كما يقول ابنه محمد ـ فى يوم الثلاثاء منتصف جمادى الاولى سنة 507 ، وكانت سنه اذ ذاك ـ كما هو واضح ـ نحوا من ثلاثين سنة ، فوصل قرطبة مستهل يوم الثلاثاء اول جمادى الآخرة، اي بعد خمسة عشر يوما من خروجه من سبتة .

ويستفاد من المراجع ، وخصوصا مما كتبه الاستاذ محمد بن تاويت الطنجي فى التعليق على رحلة القاضي عياض الى الاندلس فى طلب العلم ، ان عياضا لم يرحل الى الاندلس طلبا للعلم بالمعنى العادي المتعارف المعهود ، وانما رحل اليها عالما بقصد الى لقاء شيوخ العلم واعلامه للتعرف عليهم من جهة ، وبقصد من جهة اخرى الى التاكد من سلامة منهجه العلمي ، سواء فى الرواية او التفكير .

ولا غرابة فى ذلك ، فقد كانت سبتة التي ولد بها القاضي عياض ونشا وتعلم الى ان بلغ مبلغ الرجال واكتمل ، مركزا علميا مهما ، وصلة وصل بين الشرق والغرب ، وملتقى العلماء والفقهاء والادباء والكتاب والمفكرين ، الذين يرحلون من المغرب الى الاندلس ، او من الاندلس الى المغرب ، مع العلم مرة اخرى بان هذين القطرين كانا مع غيرهما من اقطار المغرب العربي ، يشكلان دولة واحدة ، تحت حكم المرابطين ، ثم تحت حكم الموحدين ، كما سبقت الاشارة الى ذلك .

وكون القاضي عياض رحل الى الاندلس عالما بقصد التاكد من سلامة مناهجه العلمية ، لا طالبا عاديا كسائر الطلاب ، يفسر لنا ما نلاحظه من ان مقام عياض بالاندلس لم يطل كثيرا كما تطول الرحلات في طلب العلم عادة ، وانما عاد منها الى المغرب بعد سنة واحدة فقط ، حيث وصل الى بلده سبتة ، ـ كما يقول ابنه محمد ـ ليلة السبت السابع من جمادى الآخرة سنة 508

* * *

وتمضي الحياة بعد ذلك بعياض سهلة هينة في هذه المرحلة الثانية من عمره كما مرت به سهلة هنية من قبل ؛ فيتصدى للمناظرة والفتيا والتدريس

ويلي القضاء بسبتة نفسها سنة 515 اي بعد رجوعه من رحلته الى الاندلس بسبع سنوات ؛

وبعد نحو من خمسة عشر سنة اخرى ينقل الى القضاء بقرطبة ؛

ثم يلي القضاء مرة ثانية بسبتة سنة 539 ؛

ويستمر على ذلك الى ان يكون من شانه ما يكون مع الموحدين عند قيام دولتهم ، وذلك فى اواخر عمره حيث يعارضهم ويتزعم الحرب ضدهم ، ويبايعهم بعد ذلك ، ثم يعود فينقض بيعته لهم ، ويتحالف ضدهم

مع اعدائهم بني غانية ؛ ويكون ذلك سببا في نقله بعد انهزام حلفائه في المغرب ، وبعد العفو عنه ، الى مدينة مراكش ، التي يصل اليها يوم الخميس 25 جمادى الثانية سنة 543 ، ثم يفارق الحياة بعد ذلك بسنة واحدة ؛ ويمضي الى رحمة ربه الواسعة وعفوه الشامل سنة 544 .

❊ ❊ ❊

وهكذا يبدو لنا ان الحدث الوحيد الغير العادي في حياة القاضي عياض كان هو الموقف السياسي الذي اتخذه من الموحدين ، وما ترتب عليه من نقله الى مراكش ؛

كما يبدو لنا من جهة اخرى انه عاش فيما عدا ذلك حياة عادية مستقرة هادئة ، اتاحت له ان يطلب العلم في ظروف مواتية مثالية ، وان يقضي فترة مهمة من عمره ، تقدر بنحو ثلاثين سنة ، منذ رجوعه من الاندلس ، الى ان خاض مغامرته السياسية ضد الموحدين في اخريات حياته ، في ظروف مواتية مثالية ايضا ، اتاحت له ان يكسب الشهرة والجاه العريض. وان يصبح الرجل الاول في مسقط راسه سبتة ، وان يجد الوقت لكتابة مؤلفاته الكثيرة التي بلغت اثنين وثلاثين كتابا ، يقع بعضها في مجلدات متعددة ، ذكرها جميع الذين ترجموا له وان لم يستقصها واحد منهم ، وذكرها جميعا الاستاذ محمد بن تاويت الطنجي ، في مقدمته للجزء الاول من كتاب ترتيب المدارك .

❊ ❊ ❊

فما هي حقيقة الموقف الذي اتخذه القاضي عياض من الموحدين ؟

اما من حيث التاريخ فالامر سهل بسيط ؛

واما من حيث التعليل والتفسير ، فهنا تتضارب الاقوال ، ويتسع المجال للاجتهاد واعمال الراي ؛

❊ ❊ ❊

ظهر المهدي بن تومرت مؤسس دولة الموحدين في ايام امير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين ــ كما هو معلوم ــ وكان من شانه ما كان الى ان لبى داعي ربه، بعد ان وضع نواة دولة جديدة ، مرشحة لان تخلف دولة المرابطين .

وتولى امر الموحدين بعد المهدي بن تومرت ــ كما هو معلوم ايضا ــ تلميذه ومريده ورفيقه في الكفاح عبد المومن بن علي ، وكانت مهمة عبد المؤمن ان يصفي دولة المرابطين ، وان يمهد المغرب والاندلس ، وبقية اقطار المغرب العربي التي كانت تابعة لدولة المرابطين، لسلطان دولته الجديدة الفتية ، دولة الموحدين ؛

ولم يكن من الممكن ان يتم هذا من غير حرب ، فخاض عبد المؤمن غمار حرب ضروس في جميع الجهات الى ان وصل الى سبتة ، فاستعصت عليه ودافعته ؛

يقول صاحب الاستقصا : « واستمر عبد المؤمن على حاله من منازلة سبتة فامتنعت عليه ، وتولى كبر دفاعه عنها القاضي ابو الفضل عياض بن موسى الشهير الذكر ، وكان رئيسها يومئذ بابوته ومنصبه وعلمه ودينه »

ولا باس ان نقف قليلا عند هذه الكلمة الدالة المعبرة ، وهي قول الناصري : « وتولى كبر دفاعه عنها »

انها تعني ــ فيما يظهر ــ انه تزعم مقاومة سبتة ضد الموحدين او دعا اليها وحرض الناس عليها ، وكان يومئذ رئيس سبتة ــ كما يقول الناصري ــ بابوته ومنصبه وعلمه ودينه ، اي ان جميع المزايا التي يمكن ان تؤهله للزعامة كانت متوفرة لديه ، فلقد توفرت له ــ الى جانب قوة شخصيته ــ الوجاهة الاجتماعية ، والمنصب الرسمي الممتاز ، والعلم الواسع ، كما كان شديد التمسك بالدين ، حريصا على اقامة حدوده ، لا يتساهل في ذلك مع اي انسان ، كما تشهد بذلك بعض احكامه التي اثرت عنه ، وكل ذلك خليق بان يجمع الناس من حوله ، ويجعلهم يسلمون زمام الامور اليه خصوصا عندما تلم الملمات ، وتنزل النوازل؛

ولم يكن من الممكن بطبيعة الحال ان تصمد سبتة طويلا امام غزو الموحدين ، كما لم تصمد مدن اخرى ذات اهمية كبيرة كاس مثلا ، وهكذا غلبت سبتة على امرها ، واستسلمت ، وبايع سكانها عبد المومن بن علي، وكان فيمن بايعه القاضي عياض نفسه ؛

وكان عبد المومن اذ ذاك بمدينة سلا ، فتجشم القاضي عياض مشقة الرحلة اليه ، وبايعه ؛

وغض عبد المومن الطرف عما كان قد صدر من القاضي عياض ، بل انه استقبله بحفاوة ، واكرم مثواه ، واجزل اليه الصلة ، واعاده الى سبتة قاضيا عليها كما كان من قبل .

❊ ❊ ❊

ولكن الظروف تطورت مرة اخرى ، وواجه الموحدون صعوبات جمة فى عملهم من اجل تمهيد المغرب لسلطانهم الجديد ، وثارت ضدهم بعض النواحي والمدن التي كانت قد استسلمت لهم واعترفت بسلطانهم من قبل ؛

وكان فى الثائرين سكان مدينة سبتة ، وذهبوا فى ثورتهم الى حد بعيد ، فقتلوا ـ كما تقول كتب التاريخ ـ عامل الموحدين ومن كان معه من اصحابه وحاميه ، وحرقوهم بالنار ! !

وكان زعيم اهل سبتة فى هذه المرة ايضا هو القاضي عياض ،

بل ان القاضي عياضا ذهب الى ابعد من ذلك ، فانتقل بنفسه الى الاندلس ، ليتصل بابن غانية ، وليطلب منه حاكما من قبله على مدينة سبتة ؛

يقول الناصري فى الاستقصا :

« وركب القاضي عياض البحر الى يحيى بن علي المسوفي المعروف بابن غانية ، وكان معتصما بقرطبة ، متمسكا بدعوة المرابطين ، فلقيه وادى اليه البيعة ، وطلب منه واليا على سبتة ، فبعث معه يحيى بن ابى بكر الصحراوي ... فدخل سبتة وقام بامرها »

* * *

ولعله ينبغي هنا ان نعيد الى الذاكرة ان يحيى بن علي المسوفي هذا ، المعروف بابن غانية ، كان عاملا لامير المسلمين على بن يوسف بن تاشين على قرطبة ، وان اخاه محمدا الذي كان واليا من قبله هو على بعض اعمال قرطبة ، هو الذي سيجتاز البحر فى اعقاب هذه الاحداث الى جزائر البليار ، ميورقة ومنورقة ويابسة ، فيستقل بحكمها ، ويؤسس بها دولة جديدة ، هي دولة بني غانية التي قد يمكن اعتبارها امتدادا لدولة المرابطين ؛

وقد ذاق الموحدون ، من بعد ، الامرين ، من بني غانية هؤلاء واتعبوهم ، وتسببوا لهم فى نكبات كبيرة ليس هنا مجال شرحها خصوصا بعد ان تحالفوا ضدهم مع قراقوش التقوي ، صاحب صلاح الدين الايوبي .

* * *

قلنا ان القاضي عياضا فى تزعمه لثورة سبتة ضد الموحدين انتقل بنفسه الى الاندلس ليتصل بابن غانية ، وليطلب منه حاكما من قبله على مدينة سبتة ، وان ابن غانية بعث معه يحيى بن ابى بكر الصحراوي « فدخل سبتة وقام بامرها » كما يقول الناصري .

لكن يحيى بن ابى بكر الصحراوي هذا ما لبث ان انهزم امام الموحدين ، واستسلم لهم ، ودخل فى طاعتهم ، واستسلمت سبتة مرة اخرى واصبح القاضي عياض وجها لوجه امام الموحدين بعد ان قاد المقاومة ضدهم فى المرة الاولى فلم تنجح المقاومة ، وبعد ان عاد فى المرة الثانية فاستنصر ضدهم بابن غانية ، فلم يغن عنه شيئا ولا عن بلده سبتة

يقول الناصري فى الاستقصا :

« ولما راى اهل سبتة ذلك سقط فى ايديهم ، وندموا على صنيعهم ، وكتبوا ببيعتهم الى عبد المومن وقدم بها اشياخ سبتة وطلبتها تائبين ، فعفا عنهم وعن القاضي عياض ، وامره بسكنى مراكش ، والصحيح انه ولاه القضاء بتادلا ، ثم دخل مراكش ، قيل دخلها مريضا مرض موته ، وقيل مات بالطريق ، وحمل اليها ، وامر عبد المومن مع ذلك بهدم سور سبتة ، فهدم ، وكذلك فعل بفاس وسلا »

ويقول ابن خلدون :

« وانتقض اهل سبتة ، واخرجوا يوسف بن مخلوف التينملي (حاكم سبتة الموحدي) وقتلوه ومن كان معه من الموحدين ، واجاز القاضي عياض البحر الى يحيى بن علي بن غانية المسوفي ، الوالي بالاندلس ، فلقيه وطلب منه واليا على سبتة ، فبعث معه يحيى بن ابى بكر الصحراوي »

ويقول ابن ابى زرع فى القرطاس :

« وفي خلال هذه الايام قام اهل سبتة على الموحدين ، بعد ان بايعوهم ومكنوهم من المدينة ، وكان قيامهم عليهم براي قاضيهم عياض بن موسى ، فقتلوا من بها من الموحدين وعمالهم ، وحرقوهم بالنار ، وركب عياض البحر الى ابن غانية بالبيعة ، وطلب منه واليا فارسل (يحيىبن ابى بكر) الصحراوي ، واقام بها اياما .... »

الى ان يقول : « وقاتلوا عبد المومن وهزموه ، ثم كانت الكرة عليهم وهزمهم .... فهرب (يحيى بن ابى بكر) وراسل عبد المومن يطلب منه الامان ، فامنه ، واتاه وبايعه ، وحسنت طاعته ، فلما راى ذلك اهل سبتة سقط فى ايديهم ، وندموا على صنعهم ، وكتبوا ببيعتهم

الى عبد المومن ، واتى بها اشياخ المدينة وطلبتها تائبين، فعفا عنهم ، وعن القاضي عياض ، وامره بسكنى مراكش . »

* * *

هذا ما قاله بعض المؤرخين فى الموضوع ، وان كان من الملاحظ ان بعض المؤرخين المغاربة الذين عاصروا هذه الاحداث ، او كانوا قريبين منها ، قد اضربوا صفحا عن ذكر القاضي عياض وقصته مع الموحدين ؛

فلم يذكر شيئا من ذلك عبد الواحد المراكشي فى كتابه « المعجب » مع ما هو معروف عنه من الحرص الشديد على ذكر اخبار العلماء والادباء والاشادة بفضلهم وتفصيل احوالهم ورواية اشعارهم ونوادرهم واخبارهم ، بل والمفاخرة بهم ؛

ولم يرد شيء من ذلك فى السفر الثاني من كتاب « المن بالامامة » لابن صاحب الصلاة ، الذي تولى تحقيقه وطبعه فى السنوات الاخيرة الاستاذ عبد الهادي التازي ، وهو فى تاريخ دولة الموحدين كما هو معلوم .

* * *

ونقف هنا وقفة لنتساءل :

كيف كان رد الفعل عند عبد المومن بن علي من الموقف السياسي الذي اتخذه ضده وضد دولته القاضي عياض ؟

والجواب ـ فيما يبدو لاول وهلة ـ : لا شيء على الاطلاق تقريبا !

انه لم يزد على ان نقله من سبتة الى مراكش ، حيث قضى بقية عمره حرا طليقا ، بل عزيزا مكرما ، كما قد يبدو لنا من بعد ، الى ان وافته منيته فى التاريخ الذي سبقت الاشارة اليه ؛

بل لعله قد زاد على ذلك ، فولاه القضاء بتادلا ، كما اشار الناصري الى ذلك فى النص الذي استشهدنا به من كلامه ، وكما ذكر غير واحد من الذين ترجموا له ، او ذكروه في كتب التاريخ ، وان كنا نقف موقف الشك من هذه القضية لما سنشرحه من بعد ؛

يقول محمد ابن القاضي عياض ، متحدثا عن انتقال والده من سبتة الى مراكش بعد فشل الثورة ضد الموحدين ، تلك الثورة التي كان لوالده فيها ضلع كما راينا من قبل ، يقول :

« ثم انتقل الى الحضرة العلية ، ادام الله حراستها .... فوصلها والحال متغيرة عليه ، فأقام بها الى ان اجتمع بسيدنا امير المؤمنين دام نصره ، وكان منه رحمة الله عليه من الكلام المنظوم والمنثور ما استعطفه به ، حتى رق له وعفا عنه ، على ابر وجه واجمله ، وامره بلزوم مجلسه ، واظهر تقريبه ومحبته، وكان يسأله فيستحسن جوابه . فأقام على تلك الحال، ومنزلته تزداد عنده كل يوم سموا ورفعة ، الى ان خرج ادام الله تأييده ، الى غزوة دكالة ، وخرج صحبته، فمرض بعد مسير مرحلة ، فأذن له فى الرجوع ، فرجع الى الحضرة (يقصد العاصمة مراكش) فأقام بها مريضا نحوا من ثمانية ايام ، ثم مات عفا الله عنه ، ليلة الجمعة ، نصف الليل ، التاسعة من جمادى الآخرة من عام 544 »

هذا ما يقوله اقرب الناس الى القاضي عياض ، وهو ابنه محمد ، فيما يتعلق بالموقف الذي اتخذه عبد المومن من القاضي عياض بعد كل الذي كان .

بل ان محمدا ، ابن القاضي عياض ، ليذكر لنا ما هو أكثر من ذلك ، وهو ان اباه فى انتقاله من سبتة الى مراكش ، قاصدا عبد المومن بن علي ، كان محل حفاوة وتقدير واكرام من جميع ولاة الموحدين فى المراكز والمدن التي مر بها اثناء سفره ، الى حد اثار استغراب المرافقين له ، لانهم فيما يبدو كانوا ينتظرون ان تكون معاملة هؤلاء الولاة للقاضي عياض على عكس ما كانت عليه فى الواقع !

ونستطيع نحن ان نفهم ـ اذا كان ما ذكره ابن القاضي عياض صحيحا فى كل تفصيلاته ـ ان ذلك كان ناتجا عن اوامر عليا من عبد المومن نفسه ، او عن فهم للسلوك الذي يمكن ان يرضيه فى مثل هذه الاحوال ؛

نعم ، نستطيع ان نفهم ذلك ، اذا كان ما ذكره ابن القاضي عياض صحيحا فى تفصيلاته ؛

وهو شيء لا نطمئن اليه تمام الاطمئنان ، فقد كتب محمد كتابه فى عهد عبد المومن نفسه ، وكان يعلم ان قلوب الموحدين كانت متغيرة على والده ، ولو احسنوا معاملته فى الظاهر وقربوه اليهم ، فكان مضطرا من اجل ذلك ، ومن اجل أن يبرز فضل والده ، ومن اجل ان يستل السخيمة من قلوب الموحدين عليه ، كان مضطرا من اجل ذلك كله ، ان يكيف كلامه عن والده بالكيفية التي يقتضيها المقام ، وتستوجبها الظروف ، وان يحاول الاحتفاظ بذكرى والده خالية من الشوائب، بريئة من العيب ؛

ولا ادل على ذلك مما نسوقه هنا من كلامه للاستشهاد به ؛

فقد مر بنا كيف تحدث المؤرخون عن امتناع سبتة على الموحدين عند غزوهم لها لاول مرة ، وكيف قاد المقاومة ضدهم القاضي عياض ، ثم كيف غلبت سبتة على امرها واستسلمت ، ثم كيف عادت فانتقضت على الموحدين مرة اخرى بزعامة القاضي عياض ، وكيف جاز القاضي عياض البحر الى الاندلس ليستعين ضد الموحدين ببني غانية ، الى ان كان ما كان من انهزام الحاكم الذي ارسله ابن غانية الى الاندلس ، واستسلام سبتة للموحدين نهائيا ؛

ولكن محمدا ، ابن القاضي عياض ، يروي هذه الاحداث على نحو آخر ، وباسلوب اقرب الى الاعتذار والتبرير منه الى التقرير التاريخي ، وذلك حيث يقول عن والده :

« ثم بادر بالمسابقة الى الدخول في نظام الموحدين، والاعتصام بحبلهم المتين ، فاقره امير المؤمنين ادام الله نصره على ما كان عليه ، وصرف امور بلده اليه ، وخاطبه بالتنويه ، وحظي عنده ، وشكر بداره وسبقه ، ثم رحل اليه فاجتمع به بمدينة سلا ... فاوسع نزله، واجزل صلته ، ولقي منه برا تاما واكراما عاما ، وانصرف على احسن حال ، الى ان ثارت الفتنة وقام البلد ، والله يعلم ان ذلك كان عن غير رضى منه ، كراهية في الفتنة الدنيوية والاخروية ، وبقى يدبر امره ويسوس اهله، دون تعاطيه الى الامرة في قول او فعل ، الى ان دخل (يحيى بن ابى بكر) الصحراوي الى البلد ، وهو حينئذ بخارج الجزيرة الخضراء ، زائرا ومدافعا ليحيى بن غانية ، ثم انصرف واقام على تولي الاحكام بين الناس، وهو مع ذلك يسمع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويدرس الفقه ، واشتد الحصار بالبلد ، فسعى في استعطاف الموحدين ادام الله امرهم ، وتلطف في استلطافهم والاعتذار عن الكائنة ، الى ان عفوا عما كان ، واخذوا بالصفح والغفران »

هذا الاسلوب الذي يروي به الاحداث محمد ابن القاضي عياض ، والظروف التي كتب فيها كتابه ، وبعض المقاصد الواضحة التي يبدو انه كان يتوخاها وهو يكتب هذا الكتاب ، كل ذلك لا يجعلنا نطمئن تمام الاطمئنان الى التفاصيل التي رواها فيما يتعلق بحسن معاملة الموحدين لوالده عندما تمكنوا منه ، واكرامهم له ، وتقريبهم اياه .

ولكنا نستطيع ان نطمئن على كل حال ، الى ان ذلك كان صحيحا في جملته ، خصوصا واننا لانجد ما يناقضه بشكل واضح عند المؤرخين وكتاب التراجم الذين كتبوا عن القاضي عياض او ترجموا له ، بل نجد اشارات ولو مقتضبة الى شيء من ذلك عندهم جميعا، وان كنا لانعدم منهم من يتهم الموحدين ، بأنهم دسوا له السم ، وان ذلك كان سبب وفاته ؛

ويتاكد ما اسلفناه بصورة خاصة ، اذا استطعنا ان نجزم بما ذكره بعض المؤرخين وكتاب التراجم من ان عبد المومن ولى القاضي عياضا القضاء بتادلا كما ورد عند بعضهم ، او ببواديها كما ورد عند بعضهم الآخر ، وهي قضية تحتاج الى مزيد من التحقيق ، وانما يمنعنا من التسليم بها نهائيا ، انه لم يرد لها ذكر عند محمد ابن القاضي عياض ، وهو الذي رايناه يجهد نفسه ، ويتاول الوقائع والاحداث ، ليبرز سمو مكانة والده عند الموحدين ؟

* * *

وكما تساءلنا من قبل عن حقيقة الموقف الذي اتخذه القاضي عياض من الموحدين عند قيام دولتهم ، يحسن بنا هنا ان نقف وقفة ولو قصيرة لنتساءل عن سر هذا الموقف ، ولنحاول تفسيره وتعليله ، خصوصا ونحن نعلم انه لم يكن للقاضي عياض اهتمام بالسياسة من قبل ؛

لقد كتب الناصري في ذلك ما يشبه ان يكون مرافعة دفاع ، ونحن نرى ان ننقل هنا ما كتبه في الموضوع بنصه ، خوفا من تشويه روحه بالتصرف او الاختصار ؛

يقول الناصري :

« واعلم ان ما صدر من القاضي عياض رحمه الله في جانب الموحدين دليل على انه كان يرى الا حق لهم في الامر والامامة ، وانما هم متغلبون . وهذا امر لا خفاء به كما هو واضح ، ولما كانت شوكة عبد المومن لازالت ضعيفة ، وتاشفين بن علي (بن يوسف بن تاشفين) امير الوقت لا زال قائم العين ، امتنع القاضي عياضٌ رحمه الله من مبايعة عبد المؤمن ، ودافعه عن سبتة ، اذ لا موجب لذلك ، لان بيعة تاشفين في اعناقهم ، وهو لا زال حيا ، فلا يعدل عن بيعته الى غيره بلا موجب »

« واما ما غالط به المهدي (بن تومرت) رحمه الله من ان المرابطين مجسمة ، وان جهادهم اوجب من جهاد الكفار ، فضلا عن ان تكون طاعتهم واجبة ، فسفطة منه عفا الله عنا وعنه ! »

« ولما قتل تاشفين ، وفتحت تلمسان وفاس ، وقويت شوكة عبد المومن ، بايعه القاضي عياض حينئذ،

وقبل صلته ، لان من قويت شوكته وجبت طاعته »

« ثم لما ضعف امره ثانيا ... رجع القاضي بأهل سبتة عن بيعته الى طاعة المرابطين الذين لهم الحق فى الامامة بطريق الاصالة .... هذا مع ما كان ينقل عن المهدي من انه غلبت نزعة خارجية عليه ، وانه يقول بعصمة الامام ، وذلك بدعة ، فتكون امامته وامامة اتباعه مقدوحا فيها من هذه الحيثية ؛ لكن حيث حصل التغلب والاستيلاء وجبت الطاعة »

« فالحاصل ، ان ما فعله القاضي عياض أولا وثانيا وثالثا ، كله صواب ، موافق للحكم الشرعي ، فهكذا ينبغي أن تفهم احوال ائمة الدين واعلام المسلمين رضي الله عنهم ، ونفعنا بعلومهم »

هكذا يشرح الناصري وجهة نظره فى الموضوع ، وهي كما نرى وجهة نظر رجل يحترم العلماء والائمة احتراما كبيرا ، ويرى أن تفهم تصرفاتهم على نحو خاص ، ويستلهم تفسيراته وتأويلاته من الاحكام الشرعية ، فيقر ما يقر على اساسها ، ويرفض ما يرفض على اساسها ايضا ؛

* * *

ويأتي بعد ذلك الاستاذ محمد بن تاويت الطنجي فى مقدمته التي كتبها للجزء الاول من المدارك ، فيكتب هو الآخر (مرافعة) فى الدفاع عن القاضي عياض يجعل فيها مقاومته للموحدين تدخل فى اطار المقاومة العامة للشعب المغربي ، وعلى رأسه علماؤه وائمته ، لدعوة الموحدين الجديدة ؛

وهذه المقاومة تأتي ــ فى نظر الاستاذ بن تاويت ــ من أن ؛ « هناك مقررات سنية عقدية لا سبيل الى التخلي عنها ، آمن بها اهل هذا المغرب ، ومنهم علماؤه الذين جاهدوا فى سبيل المحافظة عليها بكل ما كان لديهم من الوسائل ... والعقيدة السنية تقرر فيما تقرر الا عصمة لاحد من الناس غير الانبياء ، اضف الى الى قضية العصمة ما كانت تستلزمه من مظاهر التشيع »

ومعلوم ان المهدي بن تومرت ، كان قد ادعى انه هو المهدي المنتظر ، وسمى نفسه الامام ، وادعى لنفسه العصمة ، وسمى أصحابه الموحدين ، تمييزا لهم عن المرابطين الذين كان يصفهم بانهم مجسمون كفرة ، ويستحل قتالهم من اجل ذلك .

ثم يقول الاستاذ بن تاويت بعد كلام يتناول فيه كتاب « احياء علوم الدين للغزالي » الذي كان المهدي بن تومرت احد تلاميذه ــ فيما تروي بعض كتب التاريخ ــ وموقف العلماء المغاربة ومن ضمنهم القاضي عياض من بعض مباحث هذا الكتاب ، يقول :

« وجاء مهدي الموحدين ، فصدم اهل المغرب فى اقدس ما لديهم وهي عقيدتهم السنية ، وسماهم مجسمين كافرين ، وقاتلهم قتال كفر ، وحصر التوحيد فى اصحابه واتباعه »

الى ان يقول :

« ومن السهل ــ بعد هذا الذي اشرت اليه ــ ان يفهم الدارس لماذا قاوم المغاربة فى كل مكان دعوة الموحدين ، ثم لماذا ثارت سبتة وكررت العصيان بزعامة عياض فى وجه الموحدين »

وهكذا نرى ــ كما اسلفنا ــ أن الاستاذ بن تاويت يجعل مقاومة القاضي عياض للموحدين تدخل فى اطار المقاومة العامة للشعب المغربي لهم عند ظهورهم، ويلتمس لهذه المقاومة اسبابا عقائدية ، أو « ايديولوجية » كما يقال اليوم ؛

* * *

ونحن نستطيع عند النظر ، أن نسلم بيسر وسهولة بكل ما قاله الناصري فى الموضوع ، وبكل ما قاله الاستاذ بن تاويت ، وان كنا نعلم أن مثل هذه المواقف والاعمال والتصرفات لايمكن حصرها فى سبب واحد أو سببين ، بل تتداخل فيها كثير من العوامل والاسباب المباشرة وغير المباشرة ، التي قد يكون من الصعب حتى على الشخص نفسه ، صاحب ذلك الموقف ، او تلك الاعمال والتصرفات ، ان يستوضحها جميعا ، وأن يعيها ويتعرف عليها ؛

ولعلنا نستطيع ــ ونحن نحاول تفسير موقف القاضي من الموحدين وتمسكه بدعوة المرابطين الى ذلك الحد ــ ان نضيف الى كل ما تقدم ، بعد التسليم به والاقتناع بوجاهته ، سببا آخر نفسيا عاطفيا ؛

فقد عاش القاضي عياض ، كما يستفاد من الكلام الذي قدمناه فى ترجمته ، احسن ايامه واجملها فى عهد المرابطين ؛

ولقد ولد عياض ونشأ نشأته الاولى فى اواسط عهد يوسف بن تاشفين نفسه ، ويكفي أن نذكر ان

الطفل عياضا لم يكن عمره يزيد على ثلاث سنوات عندما كان البطل العظيم يوسف بن تاشفين يخوض غمار واقعة الزلاقة في الاندلس ، تلك الواقعة التاريخية الفاصلة والحاسمة التي استطاع يوسف بن تاشفين ان يكتب بانتصاره فيها عمرا جديدا للاندلس العربية الاسلامية ، وان يحقق للاسلام نصرا مبينا ، كان قد بعد العهد بمثله ، وان يركز الاسلام بذلك من جديد ، في هذا الجزء من القارة الاوربية .

والواقع ان المجتمع الاسلامي ، سواء في الشرق او في الغرب ، لم يكن ينظر الى حروب الجيوش النصرانية ضد المسلمين في الاندلس اذ ذاك ، الا على انها حلقة في سلسلة الحروب الصليبية التي قاسى المسلمون منها ، في شرق الاسلام وغربه ، الشدائد والاهوال .

لقد كان ذلك الانتصار الحاسم في حينه من غير شك ، حديث المجالس كلها ، وكان من غير شك ايضا مبعث اعتزاز وانتشاء وفخر في كل المجتمعات الاسلامية على وجه العموم ، وفي المجتمع الاسلامي المغربي على وجه الخصوص .

ونشأ الطفل عياض وقد قر في مسامعه ذلك كله ، وشب على سماع التغني بتلك الامجاد ، فتشبع بها قلبه الطري ، وملكت عليه كيانه كله ، ولم ير بعد ذلك — وطيلة حياته — من المرابطين الا خيرا ، خصوصا بعد ان اصبح عالما كبيرا يشار اليه بالبنان ، وفقيها عظيما من اعلام المذهب المالكي ؛

ولا ينبغي أن ننسى هنا ان دولة المرابطين ، وخصوصا على عهد يوسف بن تاشفين ، كانت دولة يحكمها الفقهاء ، فان يوسف كان لا يبرم امرا من الامور الا بعد استشارتهم واخذ رايهم ، وكان يلتزم ما يامرون به أو يشيرون به عليه ، كما هو معروف من تاريخه .

كذلك كان العلماء والفقهاء يحتلون مركزا ممتازا في عهد علي بن يوسف بن تاشفين . وقد روت بعض كتب التاريخ كما هو معلوم ان علي بن يوسف بن تاشفين ا صدر اوامره باحراق كل ما كان يوجد في المغرب اذ ذاك من نسخ كتاب احياء علوم الدين للغزالي بسبب مآخذ اخذها عليه علماء المغرب وفقهاؤه ، بل ان التاريخ ليذهب الى ابعد من ذلك ، فيروي ان الغزالي عندما بلغه هذا الخبر ، دعا على علي بن يوسف بن تاشفين ، وتنبأ بزوال دولته ، وان الذي سيقلبه عليها هو احد تلامذته اذ ذاك ، المهدي بن تومرت ، الذي سيؤسس من بعد دولة الموحدين على انقاض دولة المرابطين .

هذا هو العهد الذي ولد فيه عياض وشب وترعرع وتعلم واكتمل ، وتنقل بين المغرب والاندلس طالبا وقاضيا ، وادرك المال والمجد والشهرة والجاه العريض ، وقد راينا من قبل ان الحياة الناعمة الهادئة القارة التي عاشها على عهد المرابطين ، قد ساعدته ، مع كل ما اوتيه من ذكاء وحسن استعداد وثقافة واسعة ، على ان ينتج كل ما خلفه لنا من كتب جادة تزخر بالعلم والمعرفة ، وتنبيء بما وراءها من قوة عارضة ، وتفنن في العلم ، وامتلاك لناصيته وقدرة على الخوض فيه والتنقيب عن دقائقه ؛

فلا غرابة اذن ان يظل القاضي عياض على وفائه وولائه لدولة المرابطين حتى في احلك ايامها ، وحتى عندما بدات تنهال عليها الهزائم امام دولة الموحدين الفتية الناشئة ، خصوصا وهو لا يرى اي موجب شرعي مقنع للخروج عليها والثورة ضدها ومحاولة انهاء حكمها ، وخصوصا ايضا وهو يرى الدعاة الجدد يبداون عهدهم بتكفير المسلمين ، وادعاء المهدوية ، وانتحال خوارق العادات وغير ذلك مما هو معروف عن المهدي بن تومرت ، وقد كان المهدي رجل سياسة ودولة لا يهمه الا النجاح ، ولا يتورع عن الوصول اليه من اي سبيل كان ؛

اننا لا نريد ان نحصر موقف القاضي عياض من الموحدين في ذلك السبب النفسي العاطفي الذي حاولنا ان نشرحه ، ولكننا فقط لا نريد اغفال هذا السبب ، فقد تكون له قيمة ، وقد يكون له تأثير ، الى جانب ما ذكره الناصري في الموضوع ، وما ذكره الاستاذ محمد بن تاويت الطنجي .

يتبع :

الرباط : عبد القادر الصحراوي

أبو عيسى محمد المهدي متجنوس الاندلسي الرباطي

للأستاذ عبد الله الجراري

من الشخصيات اللامعة فى عالم المعرفة — الاستاذ محمد المهدي بن عبد السلام متجيطوس الاندلسي الاصل ، فعند ما تم استيلاء (اسبانيا) على جزيرة الاندلس باحتلال غرناطة سنة 987هـ (492م) وهاجر سلطانها محمد بن الاحمر هو واعيان دولته ورؤساء جنده ووجهاء غرناطة الى المغرب الاقصى — واستوطنوا مدينة فاس وتطوان ورباط الفتح واقطارا اخرى — بقي بغرناطة والارباض المجاورة لها من لا قدرة لهم على الهجرة — فرضوا بالمقام تحت حكم اسبانيا طمعا فى وفائها بما التزمت به من شروط — حرية الدين والامن على النفس والمال بيد انها لما تمكنت قدمها ، اخلفت الوعد ، واخذت ترغم المسلمين على التنصير والدخول فى المسيحية .

وعندما لمست عدم اخلاص المسلمين فى المسيحية اصدرت اوامرها بالتنكيل والتعذيب والطرد آمرة ربابنة السفن بتفريقهم فى شتى الجهات ، فكان انزال طائفة منهم ببلاد المغرب حيث وصلوه سنة 1019هـ فتقبلتهم الحكومة السعدية بصدر رحب وانزلتهم برباط الفتح (عاصمة المملكة المغربية اليوم) وكان وقتئذ فارغا — فاشتغل المهاجرون اليه ببناء الدور والحمامات والمساجد ، والكتاتيب ، والفنادق، والاسواق — وغرسوا خارجه جنات وبساتين — فعادت عمارته وزهت حضارته ، واظهروا دينهم الذي كانوا مكرهين على تركه — غير ان اسماءهم بقيت (اسبانية) اذ عرفوا بها وتنوسي ما كان قبلها من القاب عربية جلها قرشية ، وبوجود تلك الالقاب الاسبانية استمرت تلك البيوتات الاندلسية محفوظة لغاية ان من لم يكن يحمل اسما يمت اليها بارومة وشيجة فليس باندلسي صميم ، لذا فشخصيتنا اليوم تعد فى عريق البيوتات الاندلسية — فبيت اولاد متجينوس رهط المترجم اسباني اللقب يدل فى مدلوله على (مسكين) كما يقول — صاحب (رياض الجنة) .

كان ابو عيسى عالما بالمعنى الصحيح يشارك فى كثير من الفنون مع ضلاعة نادرة فى علم القراءات — ومعرفة وجوهها واحكامها مع التبريز الخاص فى الرياضيات والفلك والميل الطبيعي الى التصوف والتباعد عن الخلطة فى اباء نفس مع اقلال وضعف حال ساعد عليه (حرفة الادب) كما يقول الادباء فى مثله من نبغاء المعرفة .

كان كثير التلاوة ، كثير الوراقة (النساخة) فكم نسخ من مجاميع لطلابه وتلاميذه لا تزال ماثلة فى الخزائن والمكاتب معربة عن جمال ورقة ذوق وبراعة قلم ، حلو النكتة والفكاهة كما سنرى نوعا من ذلك بعد . ومن ولوعه الخاص بالعلوم والمعارف انكبابه على التصنيف والتأليف — من ذلك كتابه المدعو (شفاء الغليل ، على فرائض خليل) فى مجلد جمع بين الفقه والعمل والحساب برهن فيه عن مقدرة جبارة من الناحية العلمية الفرضية التي تعد بحق — نصف العلم — و لامن الناحية العلمية المبرهنة فى ذات الظرف عن ذهنية صافية وعقل رياضي وقاد يتعمق مسائل الفن لحد

ابرازها فى حلة السهولة والوضوح بما يجعلها فى متناول الطلبة على اختلاف مداركهم ، ومنها — مؤلفه (التبصرة والتذكرة) فى علم الحساب احتوى مجلدات اربعة يوجد بالمكتبة الصبيحية بسلا ومنها — (نتيجة الاطواد فى الابعاد) عبارة عن منظومة حلاها بشرح كشف ما كان يحيط بها من غموض فى فن الابعاد على عادته فى تقريب المسائل وتوضيح القضايا رغبة فى تيسير البعيد على الافهام والاذهان — (ومنها منظومة فى التوقيت — بالحساب) طبعت طبعة فاسية ضمن عدة متون وفنون — يقول فى بعض اشطارها — وهي الطف — ملمحا بذلك الى عملية الربع المجيب الذي يعتمد فى طريقته على الخيط والمرى فى استخراج الارتفاع والوقوف بشتى الوسائل العملية على الاوقات التي هي الاس الوحيد فى الفن ، وزاد المنظومة رونقا وضعه شرحا عليها دعاه (الالوك) ابان ما كان يعلو بعض مسائلها من غموض ومنها منظومة فى كيفية استخراج جذر الكعب ، وكعب الجذر ، واخرى فى الضرب والقسم ، واخذ الجذر بالربع المجيب واخرى فى اخذ الامتدادات الثلاثة : السمك ، والعمق ، والسعة ، بالربع المجيب كذلك ، ومن مؤلفاته القيمة كتابه المسمى : (رعاية الاداء فى كيفية الجمع بين السبعة القراء) دل على ضلاعته فى فن القراءات واتساعه فى احكامها وتوجيهاتها .

ومنها : رجز فى تربية الاطفال فى الكتاب ضمت 69 بيتا منها قوله :

(فهذه هدية الولدان   والفتح بعد بيد الرحمن)

بعد ما تحدث فيها عن اداء التلميذ فى المسيد دخولا وخروجا وكيفية معاملته مع المعلم وبقية التلاميذ وطريقة الكتابة والحفظ والعرض وتقسيم ايام الاسبوع ، وجعل التلاميذ طبقات كما هو اليوم من بنود المدرسة الحديثة ونظامها الاساسي تقع فى 800 بيت مطلعها :

(الحمد لله الذي هدانا   لخدمة القرآن واصطفانا)

ومنها : (نظم فى امالة الراء وترقيقها وتفخيمها) النوع الذي هو من قضايا فن تجويد الكتاب ومعرفة ادائه وكيفية ترديد كلمه المقدسة فى احسان يبعد بالقارىء عن الوقوع فى الاثم من اجل الاستخفاف بالتلاوة والحق المتواترة عن الرسول صلوات الله عليه الى حد اليوم ، ولكن فى قلة يكاد الفن يندثر معها بين القراء ، فقيام المترجم بوضع هذا النظم فى حرف الراء وما لها من صفات دليل على صدقه فى الفن ، وتخليد له فى صلب الحرف المذكور حتى لا يعبث بقداسته المقصرون ومن الفوا الهدرمة فى القرآن وتلاوته ومن آثاره التوجيهية الاخلاقية منظومة طويلة النفس هياها لابنه احتوت 1600 بيت توجد عند بعض الادباء (1) وله منظومات غير ما ذكر تناولت شتى الموضوعات — كنظمه فى التشكي من الزمان واهله ، وحق له ذلك فقد عاش بائسا فقيرا مضاعا بين ظهراني قومه منشدا فى نفسه الشطر الاول من بيت — العرجي (2) .

(اضاعوني واي فتى اضاعوا) وتلكم سنة الله فى الخلق ، فكم لابى عيسى من قرين فى هذه الظاهرة الخانقة التي لم تخطىء سهامها نبغاء الامم واقطاب المعرفة منهم على الاخص وكنظم فى الهندسة ومبادئها كان نتيجة حديث له مع بعض الاخوان الذي ظن فقدان هذا النوع من الفنون الرياضية بالمغرب وكم يعلونا الاسف والالم ويحز فى نفوسنا ضياع ما كتبه هذا العالم البائس الذي يكون سرى لآثاره واعتراها من الاهمال ما عاش هو عليه فى وسط العالم فيه اضيع من الايتام ، فى مادبة اللئام وهذا ما يجعلنا نستحضر حالة الابيوردي الفقيه الشاعر الذي قال : (بي علة تمنعني لبس المحشو ، يريد بالعلة — علة الفقر مكث سنتين لا يقدر على شراء جبة يلبسها فى الشتاء قبح الله الفلكة (3) .

ولمدرسته القرآنية يد بيضاء على جم غفير من ابناء المغرب ، كما كان لدروسه الرياضية الحسابية والهندسية المقام البارز بين الطلبة لا سيما الذين لهم ميول خاصة بالرياضيات انما يلاحظ عليه اثناء تلقين الفن ضيق صدر، وقلة اتساع فى التفهيم خصوصا مع الذين لا تساعدهم اذهانهم من كتب على تصور المشاكل والعمل على حلها .

ومن نكته الفكاهية وقد حكاها عن نفسه — ان رجلا سأله يوما عن الامام المهدي المنتظر ؟ فقال له :

---

1) توجد نسخة منه ضمن كتب اخينا الاستاذ المرحوم الحاج محمد بنعبد الله — وقد انضمت بعد وفاته الى خزانة دار الحديث الحسنية بالشراء .

2) عجز البيت : « ليوم كريهة وسداد ثغر » والعرجى من احفاد عثمان بن عفان رضى الله عنه .

3) ومن اراد ان يتوسع فى الموضوع فليراجع كتاب« الفلكة والمفلوكون » لابن علي الالجي .

(ائت في غروب هذا اليوم الى الزاوية الرحمانية ساحدثك عنه ،، فما كان من الرجل عدا ان تشوق لذلك ، واخذ ينتظر الغروب بتلهف ، وما كادت الشمس تغرب حتى حضر السائل بالزاوية ، وبعد الصلاة وقراءة الحزب — تقدم الى ابي عيسى واعاد السؤال عليه — فأجابه قائلا : (ان المهدي المنتظر هو انا — ذلك انني محمد المهدي الامام المنتظر وليس بعد العيان بيان ، وهي من نوادره اللطيفة ، وفكاهاته الحلوة التي كان ينطوي على امثالها وامثالها كثير مترجمنا برد الله ثراه .

درس على عدة شيوخ — بالرباط — وفاس — والشرق العربي — فأخذ عن شيخ الشيخ حسن العطار بضريح سيدنا الحسين السبط بمصر ، وهو الذي زاد على اسمه المهدي محمدا آمرا اياه بتركيب الاسمين (محمد المهدي) . وكان يتعاطى مهنة العدالة غير انه زهد فيها وفتح لنفسه كتابا قرآنيا رجوعا الى ما كان عليه قبل — الى ان وافاه الاجل المحتوم ليلة الاحد 15 ربيع الاول عام 1344هـ ودفن بمقبرة سيدي الحسن افران بدار (القصار الكبرات) المتصلة به برباط الفتح . وفقد المغرب العربي فيه شخصية لامعة من رجال الثقافة الواسعة خاصة منها الرياضيات ...

الرباط — عبد الله الجراري

دم مزور ... !

ان لم نعش تحت السماء اعزة

فدم العروبة ، في العروق مزور

للشاعر : عبد الرحمان الدكالي

موجة الشعر الحديث بالمغرب

للأستاذ حسن الوراكلي

حينما تفضلت جمعية « اصدقاء المعتمد » الشاعرة بدعوتي للاسهام فى اعراس الكلمة الخضراء المجنحة والنغمة الملذة المعذوبة ، احسست باشراقة تفاؤل لمستقبل الحرف فى بلدي ، تغمر النفس وتنعم الفؤاد ، وعاودني ايماني ، كادت ظروف الحياة الحلكة التي نحياها تخنق نوره ، بعزيمة الشباب ومضائها ، بقدرته وفعاليتها ... فبرغم الاهمال واللامبالاة التي يواجه بها الفكر والثقافة والفن — والادب والشعر غصنان من هذه الدوحة الظليلة — فى هذه البلاد لا تزال هنالك طائفة من المؤمنين بقوة الكلمة وتاثير الحرف ، تهزأ بالصعاب ، وتستخف بالعوائق ، لاتخشى مزالق الطريق ، ولا تتهيب متاعب الرحلة فى سبيل غد افضل ، مشرق الجبين ، متورد المحيا ، لدولة الفكر والثقافة والفن على مرابعنا المعطاء ...

ان هذه الاعراس التي تقام ، اليوم ، للكلمة البهية، الجميلة ، والنغمة الطليقة السكرى ، تعد وثيقة هامة ونادرة القرين للذين يتصدون غدا للبحث عن الاصباح التي استشرفها جيلنا لازدهار الشعر ... من اجل ذلك لا يخالجني شك فى أن عدالة التاريخ ستحتم عليه ان يكبر فى المعتمديين جراتهم الروحية وشجاعتهم الادبية ، فليقروا عينا ، وليهنأوا بالا ...

ان الموضوع الذي اريد مني التحدث عنه هو تاثير الشعر الحديث او موجته — بتعبير المعتمديين — فى شعرنا المغربي ؛ ومعنى ذلك انني مدعو للحديث عن هذا الصراع العنيف ، العارم الذي احتدم ، لسنوات، بين شعر جديد قلبا وقالبا ، وشعر قديم معنى ومبنى، وانه لصراع شغل عقول الناس وقلوبهم معا ولا يزال يشغلها ويستأثر باهتمامها .

بالود ، قبل التماس اثر الموجة الجديدة ، طغيانها اوغارها على شاطيء الشعر عندنا ؛ بالود قبل ذلك جميعه ان نعترف بان دارسي الادب عندنا ؛ هؤلاء الذين يمارسون هذا اللون الادبي الذي يهدف الى العناية بعملية الخلق والابداع ، يتحملون ، بدون مبرر ، مسؤولية عدم التعريف بما تنتجه القريحة المغربية من الوان الادب وانماطه المختلفة ، وليس يشفع لهم زعمهم بأن هذا النتاج يتميز بالضحالة والسطحية وعدم النضج ، ولذلك فهم فى شغل عنه بسواه ، حتى تقوى بنيته ويصلب عوده ؛ وهو زعم باطل ليس من شك ، ذلك لان واقعنا الادبي برغم الاهمال الذي يخنق انفاسه ويكتمها ، يقوم شاهدا عدلا على ان عطاءاتنا الادبية ، بعامة ، فى مستوى من الاصالة والعمق والنضج ، لا يقل فى ذلك عن كثير مما تلفظه المطبعة فى الشرق العربي .

ان ما كتب عن شعرنا المعاصر قليل وقليل جدا ؛ بل لا يكاد يكون شيئا مذكورا اذا استثنينا المقالات التي كانت « دعوة الحق » تنشرها للاستاذ محمد الامري المصمودي بعنوان : «فى شعرنا المعاصر» والمحاضرات التي القاها استاذنا عبد الله كنون على طلبة قسم الدراسات الادبية واللغوية بمعهد الدراسات العربية العالية التابع لجامعة الدول العربية ، ثم نشرت فى كتاب بعنوان : « احاديث فى الادب المغربي الحديث »، والمقدمة الدراسية النقدية الجريئة ، حقا ، التي صدر بها الاستاذ الشاعر الزقاني محمد الحبيب ديوانه الرائع « نجوم فى يدي » الذي اذاعه فى الناس منذ سنة مضت ؛ على انه ينبغي الا ننسى ، ونحن بصدد ذكر هذه الدراسات القليلة عن شعرنا المعاصر ، ان نشير الى اللبنة الاولى فى هذا البناء الذي نرجو له ان يتضخم ويتطاول ويتعملق ، واعني بها المحاولة المحمودة التي نهض بها الاستاذ محمد بن العباس القباج فى فترة مبكرة يوم نشر كتابه « الادب العربي فى المغرب الاقصى » تضمن تراجم لشعراء محدثين ومنتخبات من اشعارهم ، واذا كان هذا الكتاب قد خلا من الروح النقدية ، التحليلية الدراسية ، فان ذلك لا يقلل من شأنه ولا ينقص من قيمته ؛ انه المعلم الاول الذي وضع على طريق نحن مدعوون لارتياده واستشراف مجاهله .

ان تقصير نقادنا فى التعريف بآثارنا الادبية المعاصرة على مختلف الوانها وتباين اشكالها ، هو الذي اضاع شخصيتنا فى الادب العربي المعاصر ، فاغلب المثقفين فى الشرق يجهلون كل شيء عن نهضتنا الادبية والفكرية ؛ ومن ثم كنا نجد كل مختارات الشعر العربي المعاصر ومنتخباته التي تصدر بالشرق تخلو من اريج خمائلنا الشعرية وعطرها ؛ ذلك هو الذي دفع ببعض حملة القلم فى مصر الى الاعتراف بانهم لا يكادون يعرفون « ان هناك شعرا ينظم فى شمال افريقيا باللغة العربية فى الوقت الحاضر (1) »

واذن ، يمكن القول بأن لنا ثروة ادبية وشعرية بصفة خاصة ، ولكن هذه الثروة بحاجة ماسة الى عناية الدارسين ، ينقدونها ويحللونها ويغربلونها ، ليميطوا اللثام عن ابداعنا الوجداني ، لمن يتشوق لرؤيته .

* * *

تاريخ الشعر فى مشرق من الدنيا ومغربها يحكي عن الموجات التطورية التي استهدف لها ، وعن الرجات التجديدية التي عصفت به ؛ فما كان الشعر فى بيئة ما او زمان ما لينكمش ويتقوقع ، ويهرب من تجدد ينهض به ، وتطور ينفحه القوة والقدرة على البناء والاستمرار لاداء رسالته العظيمة فى الحياة .. واذا كانت تستوقفنا مشاهد من تاريخ الشعر قاتمة ، سوداء ، تعكسه لنا وقد بات هيكلا بلا روح وشمعة بلا نور وزهرة بلا عبير ؛ فان ذلك ما كان يحدث الا نتيجة خليط من ظروف تتصل بالمجتمع والاقتصاد والسياسة ؛ غير أن الحياة لا تلبث أن تهيء للشعر يدا رحيمة تقيله من عثرته وتنهضه من كبوته ، تبث الروح فى الهيكل الذي بلا روح ، وتشعل النور فى الشمعة التي بلا نور ، وتزرع العبير فى الزهرة التي بلا عبير ... والامثلة المؤيدة كثيرة فى كل تاريخ شعر ؛ هل ينكر جميل محمود سامي البارودي الذي اسداه لشعرنا العربي الحديث ؟ وهل يجحد صنيع روبن داريو بالنسبة للشعر الاسباني المعاصر ؟

تلك ظاهرة دعت النقاد الى القول بانه ـ اي الشعر ـ كائن حي يصيبه ما يصيب الكائنات الاخرى جميعا من اشكال التطور والوان الرقي واضراب التكيف ... وفى صفحات تاريخ الشعر فى لغتنا ما يقوم دليلا قويا ، بينا على ان طبيعة الشعر المرونة لا الجمود، التفتح لا الانكماش ؛ وكثيرة هي المواقف التي وقفها شعرنا العربي ، يخلع عنه رداء طال عليه الزمن ليرتدي ثوبا آخر ، فيه جدة ، وفيه طرافة ، وفيه نضارة ... وتعالوا نقلب صفحات تاريخنا الشعري ؛ ففي ايام بني العباس وجد شعراء كانوا يهدفون الى التجديد فى محتوى الشعر حتى يغدو تعبيرا صادقا عن معطيات الحياة المتحضرة المترفة يومئذ ، كما تجلى تجديدهم فى الحق فيما نظموه من مسمطات ومخمسات واوزان اخرى جديدة ... وفى الاندلس ـ الفردوس الموعود كما يسميه دكتور مؤنس ـ كانت ثورة الشعراء على الشكل التقليدي للقصيدة ومساعيهم التجديدية من اجل تطوير وشاحها الخارجي ، واسفرت الثورة عن ظهور الموشحة : لون جديد فى هندسة القصيدة العربية ... وفى العالم الجديد ، فى امريكا ، على ارض المهجر منذ سنوات وسنوات ارتفعت الصيحات داعية « لتفتيت الصورة الموسيقية التقليدية للقصيدة وادخال

1) مجلة الشعر ـ العدد 3 ـ السنة 1 ـ 1964

بعض التلوين الموسيقي الداخلي في البيت » (1) فقد عمد الرواد المجربون الى تقسيم « البيت تقسيما جديدا تتجمع في شطره الاول والاكبر كل الدفعة الموسيقية ، ثم يأتي الشطر الثاني بتوقيع صغير كأنه الجواب » (2) . . . وكان آخر تلك الانتفاضات التي عرفها شعرنا العربي في مختلف اطواره ومتعدد مراحله، تلك التي انطلقت شرارتها من العراق بعيد الحرب العالمية الثانية ، وكانت ارهاصاتها قد تمثلت في نتاج قديم لفريد ابي حديد وحلمي احمد با كثير ولويس عوض ، وكان من روادها والسائرين على راس موكبها شاعرة انجبتها ارض الرافدين هي السيدة نازك الملائكة.

كانت الحياة العربية ، عهدئذ ، تعج بحوافز التطور ، وتتمخض بدوافع الابداع .. وكان الشرق العربي ، خاصة ، قد فتح نوافذ له على دنيا الغرب ، فتسلل منها فيض من فلسفات في الحياة والاجتماع ، كما تسرب منها دفق من نزعات في السياسة والاقتصاد، وتيارات في الفكر والادب والشعر ، وكانت النتيجة ان انعكس تأثير كل ذلك على ذهنية المثقف العربي ، فحاول محاكاته وترسم خطواته .. وفي الشعر ، خاصة ، كان الشعراء في انجلترا وفرنسا واسبانيا قد خلقوا من هذا اللون الادبي الممتاز نبعا ثرا يتدفق من صميم الحياة ليضيء جوانب الحياة ، وكانت طائفة منهم قد دعت الى التحرر من قيود العروض والتخفف منها ؛ وهكذا تأثرت الطليعة الشاعرة ، يومئذ ، في الوطن العربي من جديد بتلك الحركة ، واحس افرادها من جهة اخرى بوطأة موسيقية القالب الكلاسيكي على انفسهم « وانهم في حاجة ـ كيما يعبروا عن الموسيقى التي تنغمها مشاعرهم المختلفة ـ الى شيء من التخفف او ـ ان شئنا الدقة ـ الى شيء من التعديل في الفلسفة الجمالية التي تستند تلك القوالب الموسيقية القديمة » (3) ، وانتهى بهم ذلك الى نبذ كل تقنينات العروض الخليلي ، واحتفظوا بالنغم والايقاع باعتبارهما عنصرين اساسين في بناء هيكل عضوي ، متلاحم الاجزاء للقصيدة العربية ؛ ذلك لان الوزن بطبعه ـ في تعبير نازك ـ يزيد صورة حية ، ويعمق المشاعر ، ويلهب الاخيلة ، « ان الوزن كالسحر يسري في مقاطع العبارات ويكهربها بتيار خفي من الموسيقى الملهمة »(4)؛ بيد انهم لم يروا ان اساس الوزن لابد ان يكون بحرا مكونا من عدد محدد من التفعيلات وانما راوا ان الاساس هو التفعيلة اتحدت او تنوعت ، انفردت او تعددت . . .

بتلك الروح المتحفزة ، البناءة ، الجريئة ، ثار هؤلاء المجددون ، فخلعوا عن القصيدة العربية بردها القديم ليخلعوا عليها رداءا جديدا ، ظلت به محتفظة بموسيقية مترقرقة ، نابضة ، تباعد بينها وبين النثر؛ ولقد عكست نتاج هذه الثورة وبلورة عطاءها نماذج قدمها روادها مثل نازك الملائكة وبدر شاكر السياب وصلاح عبد الصبور وعبد المعطي حجازي ونزار قباني وكاظم جواد وخليل الحاوي ومحمد عفيفي مطهر وغيرهم

* * *

احب بعد هذا ، ان اتساءل : ما هي الاصداء التي انتهت الى ديارنا من انتفاضة الشعر الحر او التفعيلي؟ هل كانت موجة هذه الانتفاضة من الصخب والعنف بحيث استطاعت ان تجرف بالمفاهيم التقليدية فيما يتصل بشكل الشعر ومضمونه عند شعرائنا ؟ ام ان ايمان هؤلاء بالتركة الموروثة كان اصلب واقوى من ان تؤثر فيه انتفاضة مثل هذه ، فلم تنل منه في شيء ، تماما ، كما لا تنال ريح عاتية من قيمة شماء ؟

ها انذا ، اذن ، قد انتهيت الى الموضوع المقصود بالذات كما يقولون . . . كان علي ان اشير ، قبل الآن ، الى ان شعرنا المعاصر ، والقديم ايضا ، لم يجد سبيله الى النشر بالصورة التي يجد بها شعر آخر في دنيا اخرى طريقه الى النشر ؛ فنحن لا نكاد نجد من بين آثارنا الشعرية ما طبع منها ديوان مستقل الا ما يمكن عده على رؤوس الاصابع ، ومن ثم كان على الذي يعتزم دراسة جوانبه او انحاء من هذه الآثار الشعرية ان يعمد الى اكداس من صحف ومجلات كانت تعنى بنشرها ، ينفض عنها الغبار ويقلب صفحاتها .

والحق ان نظرة خاطفة ، عابرة ، على السلام والمغرب الجديد ، ورسالة المغرب ، والثقافة المغربية ،

---

1) دكتور عز الدين اسماعيل : التفسير النفسي للادب ص 82 ـ الناشر : دار المعارف بالجمهورية العربية المتحدة 1963 .

2) المصدر السابق ص 83 .

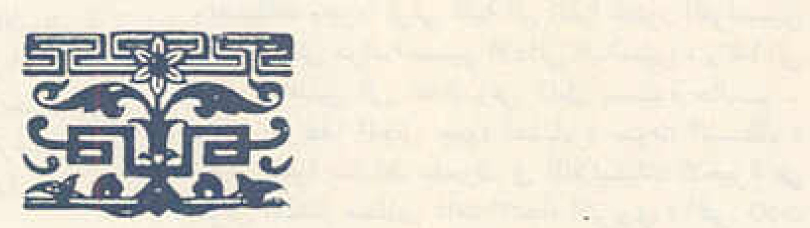
3) المصدر السابق ، ص 85

4) انظر كتاب « قضايا الشعر المعاصر » لنازك الملائكة ـ الناشر : مكتبة النهضة ـ بغداد .

والانوار والانيس والمعرفة والحديقة والنبراس والنصر والجذوة ودعوة لحق والاذاعة المغربية والشراع وآفاق واقلام ، لتزودنا بأسماء شعراء ، انقسموا ، من حيث فنية الشكل والمحتوى ، الى طوائف ثلاث :

اولى الطوائف يأتي فى طليعتها : محمد بن موسى – محمد ابن ابراهيم – علال الفاسي – محمد المختار السوسي – عبد الله كنون – ابراهيم الالغي – عبد الملك البلغيثي – عبد القادر حسن – محمد الحلوي – محمد بن علي الوكيلي – علي الصقلي – وغيرهم ممن لم نذكر ، تشبعوا بالشعر العربي القديم ونسجوا على منواله من حيث المحافظة على وحدة البيت والقافية مع اطالة النفس واستنزاف الروي – احيانا – مثلما نجد فى بعض بدائع بن موسى ووطنيات السوسي ومولديات علال ؛ فهم بالضرورة ، اذن ، يمثلون المدرسة المغربية الاصيلة فى الشعر ؛ على انه يمكن ، مع ذلك ، القول بأن هذه المدرسة او افرادا منها ، على الاصح ، اسهموا بحظ وافر فى تجديد المضمون ، فلقد عنوا ، خاصة ، بمعالجة الشعر الوطني الذي فاضت به احاسيسهم الشفافة ووجداناتهم الملتهبة ، على حين ظلت طائفة اخرى من هذه المدرسة محافظة على النزعة التقليدية للقصيدة شكلا ومحتوى ، روحا ومنزعا ، اخيلة وتعابير ، فنحن لانعدم من هذه الطائفة من يصف لنا معشوقته بمثل الاوصاف التي كان يخلعها الشعراء القدامى على حبيباتهم ، والادهى والامر من هذا ان نجد منهم من يتحدث لنا عن معركة التحرير فى الجزائر ، مثلا ، بالصور والاخيلة التي كان يتحدث بها ابو الطيب المتنبي وابو فراس الحمداني عن معارك سيف الدولة الحمداني مثلا ، ايضا ؛ يضاف الى ذلك كله ان جزءا غير يسير من انتاج طائفة تنتمي الى هذه المدرسة كان شعر ارتزاق واستجداء ومدح للناس الذين كانوا « فوق الناس » . انه ليصح الزعم بأن موجة الشعر الحر او التفعيلي لم تغير من نظرة هؤلاء او اغلبهم – ان اردنا الدقة فى التعبير – الى هيكل القصيدة وبنائها ؛ كما انها – الموجة الجديدة – لم تستطع أن تصرف شعراء في الشرق متشبثين بكلاسيكيتهم ، عن منهجهم وطريقتهم فى صوغ قصائدهم . – يتبع –

تطوان : حسن الوراكلي



أدب المغرب العربي المكتوب بالفرنسية

بقلم علي مراد
ترجمه الاستاذ حسن المنيعي

.. ان كل تامل فى مستقبل الادب المغربي (1) لابد ان يكون مقرونا بتخمينات فى مشكلة اصوله ، اذ كلما امكن تحديد هذه الاصول كان ذلك عاملا مساعدا لفهم الوضع الحالي لهذا الادب ، وتسطير الخطوط العريضة لمراحل تطوره . وعليه فان الادب المغربي بحكمه وليد مرحلة الاحتلال الفرنسي ، يفرض نفسه كمظهر من المظاهر المولدة ليقظة الثقافة والسياسة فى المغرب العربي حيث تتمركز مجاليه الاولية الهامة فيما بين الحربين ، وحيث ان المقابلات السياسية بين مندوب الرأي الاسلامي من جهة ، والادارة والراي الفرنسيين من جهة اخرى فى تلك الفترة ، كانت تثير آراء جديدة وموجة من الطفرات الحديثة المتولدة ، وتبادلا عميقا بين الهيئات المفكرة العاملة داخل المجموعة الاسلامية ، التي ما ان استيقظت حتى اخذت تفرض افرادها ، من العلماء والسياسيين والمجددين والطلبة ، وتحثهم على القيام بدور التمثيل الوطني امام الضمير الفرنسي وان كانت غير قادرة فى البدء على التلفظ بمطالبها .

هذا وامام النشاطات السياسية اللازمة ظهرت العبارة الادبية كمساهمة ثمينة فى حركة تطور المغرب العربي ، كما ان ادبها المكتوب باللغة الفرنسية اخذ يستمد مواضيعه من القضايا الاجتماعية والسياسية ؛ بل كان من فضائله تحديد مكانة الفرد المغربي فى نطاق الحياة العامة بمشاكله وتحولاته وآماله العديدة .. كذلك كان يحاول تحطيم « الحاجز القوي » الذي يفصل العنصر الاوربي عن المجتمع الاصلي ، والتاثير في الاحساس الفرنسي باعطائه صورة واقعية عن مجتمع انساني يقاسي كل انواع الاحتقار والنسيان .

من هنا كانت مجالي هذا الادب تنحصر فى نطاق المحاولة السياسية الاجتماعية التي تضع المشكل بصراحة (مشكل الاهالي) او القضية ذات الاطروحة كما نلمس ذلك عند « فرحات عباس » فى مؤلفيه « الجزائري الفتي » و « من المستعمرة الى الاقليم » وكذا عند « رزالية بن التهامي » فى كتابه « جحيم القصبة » .

الى جانب ذلك تقف محاولات ومشاهدات اخرى وتصنيفات مجزءة ترمي كلية الى اثارة شعور الفرنسيين وحملهم على مراعاة مصير الاهالي اليائسين ، وكذا الى حفز المواطنين الى اتخاذ وعي كامل بسوء حالهم . ونذكر فى هذا المجال جهود اعضاء « صوت البسطاء » الذين قاموا بنشاط ملحوظ فى الثلاثينيات الاخيرة عن طريق اصدار مجلتهم ذات الاتجاه التربوي ، التي قادت الجهاد فى سبيل تحقيق التطور الثقافي للشعب الجزائري ، والتي كانت مدعاة لبروز العديد من الكتاب الذين دافعوا عن القضية المقدسة . اما عدا هذه المجلة فقد كانت هناك منشورات ودوريات تصدر باللغة الفرنسية فيما بين الحربين الاخيرتين ، كصوت الاهالي، وصوت الشعب ، والدفاع ، « والتفاهم الفرنسي الاسلامي » التي كان يخرجها الدكتور صلاح بنجلول

1) ادب المغرب العربي .

ومحمد عزيز كسوس ، والتي مهدت سبيل انبثاق الادب الصحيح الذي عرفته الجزائر في فجر الحرب العالمية الثانية ..

هذا التسطير الموجز لا ينفي وجود تشعب في الآثار المنبثقة فيما بين الحربين او اختلافها ، بل يشير الى ان ادبا مغربيا مكتوبا باللغة الفرنسية بدا يأخذ شكلا ثابتا ، ويظهر تشبثا باصوله رغم لغته الاجنبية ، ساعيا في ذلك الى طرح الحالة المصيرية لابناء المغرب العربي الكبير ؛ ذلك لان هذا الادب كان يقدم نفسه اولا كشاهد على الواقع ، ثم اصبحت القضايا الاجتماعية والثقافية والسياسية تمده فيما بعد الحرب العالمية الثانية بمواضيع جديدة غير التي كان يعتني بمعالجتها : كقضية الارث السلفي ومظاهر الفلكلور ، ومحاولة تطور طبقات المجتمع ، ومشكلة الجوع ، وتطور المراة ، ومعضلة الزواج المشترك ، وشؤون المساواة في الحقوق المدنية ، والبحث عن وسائل الوصول الى تناغم في التعايش مع الاروبيين ومحاذاتهم .. كل هذه القضايا اصبحت تدرس من زاوية ضيقة بعد ان حلت محلها قضية ثانية مستعجلة ، لها علاقة بالراي الاسلامي العام الساعي الى الاستفادة ، والتكوين ، والعمل بعد ان تقلب في واضاع سلبية قاتلة .

هذا وفي غمرة ذلك التطور الذي اصبح يفرض وجوده فيما بين 1945 ، اخذ دور الاعيان من رجال السياسة يتقرض شيئا فشيئا ، ليعوض بحركة ذات انفاس طلائعية تتزعمها جماعة من الادباء الشباب ، كانوا يتوقون الى ابتكار مواضيع جديدة ذات مضامين حديثة تتعدى حمولتها احداث التاريخ . وفعلا تغيرت معالم الادب في المغرب العربي واصبحت جد ناضجة خصوصا في السنوات العشر الاولى التي جاءت فيما بعد الحرب العالمية الثانية حيث كانت المواضيع المتعلقة بمستقبلية القطر ضئيلة تشع بجانبها اختيارات جديدة تقوم على تقديم صورة لطيفة ، لفرنسا وللعالم باسره ، عن مغرب يقظ يقوم بعملية بحث عن هويته وذاتيته الاصيلة في نطاق الاحداث المتشابكة ، وتشعب المظاهر المتناقضة الباطلة المشوشة ..

بيد ان تلك العملية ، وان كانت فردية بالنسبة لكل اديب فانها كانت تؤدي الى بحث جماعي ؛ كما انها كانت تفرض سلما من المستندات تختلف باختلاف تكوين الاديب ، وطبائعه ، وميوله الثقافي والعقائدي وغير ذلك . لذلك فاذا كان هؤلاء الادباء يطالبون بمعالجة قضايا المغرب العربي ، ويعرضون علينا آثارا ذات نفس مغربي في الجوهر والايقاع ، فاننا لانستطيع التخلي عن راينا المتخذ في شانهم : من انهم اصحاب تكوين فرنسي في معظمهم ، ومن ان آثارهم كانت لابد ان تتغذى من منبع فرنسي لا في الناحية اللغوية فحسب ، بل في العناصر الاساسية المكونة لمادة الادب الفرنسي . والا فهل يعقل غير ذلك ؟ او هل يمكن الاعتقاد ان يكون هؤلاء قد احتضنوا اللغة الفرنسية ، ومكثوا بعيدين عن الايقاعات الثقافية والعاطفية التي تنطوي عليها تلك اللغة ؟ بل هل في مقدورهم ان يصدوا عنهم كل ارهاص ادبي فرنسي ، وهم الذين تكونوا تكوينا فرنسيا محضا كان حافزا الى تفتق مواهبهم واتجاههم الادبي ؟ ...

مهما كان الامر فانه تجدر الاشارة الى فكرة قائمة على شيء من الملاحظة الدقيقة : وهو ان الطريقة التي ينهجها كل كاتب من هؤلاء في مسيرة التعبير الفرنسي تتعلق بمدى اختياراته الثقافية . فاذا كانت الكتابة عند بعضهم تدفعنا الى الاعتقاد ان الفرنسية ليست غير لغة مستعارة ؛ فانها على العكس تأتي عند غيرهم حصيلة هضم تام لتلك اللغة وثمرة استيعاب لاساليبها وقوالبها . وبالفعل ، فانه وسط تلك الحركة الثقافية التي زعزعت اركان المغرب العربي غداة الحرب العالمية الثانية ــ والتي كانت قائمة في الجزائر على يد ادباء متمسكين باللغة العربية من امثال الشاعر محمدالسعيد والكاتب رضا حوحو ، وعبد الله نقلي ، واحمد بوزوز ، والشيخ البشير الابراهيمي ، وكذا الادباء الذين جعلوا من الفرنسية اداة اختيار ــ اصبحنا نلاحظ في الجزائر اتجاها آخر يقوم على الفرنسية الصرف حيث كان رواده يتشبثون بلغة الدخيل الاجنبي ، ويعتزون بثقافته ، ويفتخرون بمتانتها وبوجودها كمنبع دائم يوفر لهم كل الهام ، ويمدهم بكل المصادر التي يحتاجون اليها .

وبما انه كان هناك اصحاب التعبير العربي الذين كانوا يرون في اللغة العربية الاداة السليمة لوضع ادب وطني صرف ، ويتسامحون في ان تكون الفرنسية اداة اختيار ترمي الى ابراز الفعالية ، دون الوقوع في حيز العاطفة او التفاهة ، فقد كان هناك ايضا جانب المفتونين بالثقافة الفرنسية الذين كانوا يقولون بأن الجزائر ، او افريقيا الشمالية « تستحق ان تكون احدى مقاطعات الآداب الفرنسية » .. ومن ثم فان ادب المغرب العربي كان على عتبة تباعد خطير في الآراء واختلافات عديدة برز اكثرها فيما بعد في شكل مطاحنات وخصومات .

اختلاف الآراء :

هذا وفي خضم الفرحة العابرة التي سادت منذ الاربعينيات الاخيرة ، وفي غضون السنوات التي تلت اندلاع الثورة الجزائرية ، كانت الاتجاهات الرامية الى بث روح السمو الانساني والثقافي في الشعب الجزائري ــ ضمن الاطار الفرنسي ــ قد مكنت الادباء الصاعدين والشعراء المحليين من التفكير في امكانية المشاركة بصورة فعالة ، في وضع ادب فرنسي جزائري حيث طفت ظاهرة جديدة تهدف الى تحقيق نوع من التآخي بين رجال الادب على اختلاف اعتقاداتهم ، بما في ذلك المسلم والاسرائيلي والفرنسي . وحيث اجمع الكل على ان الثقافة الفرنسية كانت هي الطريق الوحيد لازدهار الحركات الفكرية بالنسبة للشعب الجزائري . وهكذا ، وتبعا لذلك فقد اهتم اصحاب هذا الاتجاه بالفلكلور الوطني الذي كان يعتبر اقوى رافد لذلك الادب الاسلامي ــ الفرنسي ، وتجاهلوا حركة التجديد العميق التي كان يقوم بها العلماء المسلمون آنذاك ، والتي ساعدت على ظهور نهضة في الآداب العربية تحت شعار الوطنية والقومية العربية : الشيء الذي دفع هؤلاء المتفرنسين الى الاقرار في كل بساطةان الادب الكلاسيكي العربي كان « ادبا ميتا » (كاتب ياسين) .

وبذلك كسب هؤلاء رعاية حظائر ادبية خاصة ، ونالوا مساعدة جماعات عقائدية من الاحرار والتقدميين والشيوعيين وغيرهم . بل تكفل امر انطلاقتهم نحو الشهرة ادباء عظام من امثال كامو ، وسارتر ، وعمانويل روبلس ؛ كما احتضنتهم مجلات ذات سمعة فائقة كمجلة الفكر والازمنة الحديثة ، والآداب الجديدة ، والنقد الحديث ، زيادة على ما قدم لهم من اوسمة وجوائز كادباء فرنسيين .

من خلال ذلك نرى ان ادب المغرب العربي المكتوب باللغة الفرنسية كان متارجحا بين البحث عن طريق مستقل ، او الانقياد الى مسايرة اتجاهات الادب الفرنسي . وفعلا ، كان من بين ادباء هذا القطر من توفرت لديه كل العناصر المذكرة بالاحساس الفرنسي ، قد جعل النقاد يعتبرونهم ــ دون ادنى تردد ــ من شرذمة الادباء الفرنسيين ، في حين كان هؤلاء الادباء يدركون بكل وعي مطالب مواطنهم في الدفاع عن قضيتهم مهما تنكر اولئك لآثارهم . ونذكر في هذا الصدد الضجة التي اثارها « مولود معمري » بكتابة « التل المنسي » الذي توجته الاوساط الفرنسية الرسمية ، واحتفى به رجال النقد في فرنسا مما حفز المواطنين من الجزائريين الى القيام برد فعل في الموضوع ، واعتبار ذلك مجرد صنيعة اساسها النفاق والمجاراة . . . هذه الفترة كانت تشير بحق الى الغموض الذي كان يطبع بعض الآثار المغربية المكتوبة باللغة الفرنسية لانها كانت تعرض في الحين نفسه على وسط اصلي له اذواقه ومطالبه الخاصة ، وعلى جمهور اجنبي يتعدى نطاق المواطن الاصلي ويبحث على الحقيقة الادبية في ثنايا تلك الآثار التي تبدو للناقد ــ حسب الزاوية التي ينتصب فيها ــ اما قوية النفس المغربي او ضئيلته . . .

ثم ان العبارة نفسها هي التي كانت تفرض ذلك الغموض ؛ اذ ، اليس من الممكن ان يظهر ذلك الادب في يوم ما كاستمرار لعهد الاستعمار في مغرب استرجع استقلاله الكلي ، وسهر على تعريب جميع مرافق الحياة ؟ او يكون ادبا مشبوها فيه ، في حالة ما اذا كانت آثاره غير ساعية للتضحية بالحقيقة الادبية ، لاقتناء الفعالية التي يطالب بها الحكم او الراي العام ، او في حالة ما اذا كانت غير عابئة بالاستجابة الى المتطلبات العقائدية المحلية ، وانما ساعية الى ارضاء مجموعة انسانية واسعة ؟ .

هنا نلمس جانب الدعائم السيكلوجية لهذا الادب المكتوب بالفرنسية الذي لا يلزمه ان يكون مخلصا للحقائق المغربية ، ساعيا للاندماج او التوغل في الحياة الثقافية للمغرب العربي فحسب ، بل يلزمه على الخصوص المطالبة بدعامة سيكلوجية واسعة النطاق للمحافظة على شرعيته واسباب وجوده لان المظهر الثقافي للمغرب يتغير يوما بعد يوم ، فحيث يسود التعريب بجانب اللغة الفرنسية وتبدو بعض اللغات الاجنبية الحية قوية التاثير ، لما تؤديه من دور اساسي في تكوين الشباب من الناحية التقنية والثقافية .

الدعائم السيكلوجية :

كل ما سبق من ملاحظات يفرض مستقبلية الثقافة الفرنسية في المغرب العربي ، وفي الوقت معا مستقبلية قضية الادب المكتوب باللغة الفرنسية . وعليه يجب اعتبار بعض الاستنتاجات العديدة ومراعاة الاختيارات السياسية الثقافية التي اكدها في وضوح كل من المشرعين الفنيين ؛ كما انه يجب اخذ الجزائر كقاعدة لتلك الحقائق المقبولة لانها البلد الذي كان فيه ذلك الادب كثير الخصوبة ، ولانها المعسكر الذي ترابط فيه حظوظه المستقبلية ؛ تلك الحظوظ التي يتعلق مصيرها بمدى انغراسها في الوعي الوطني : اي بمدى

انتشار الثقافة الفرنسية ولغتها فى الجزائر . ويمكننا فى هذا المجال ان نأتي بأحكام تقريبية فيما يخص درجة توغل الثقافة الفرنسية فى الجزائر وذلك بالاعتماد على الاحصائيات المشيرة الى انتشار اللغة الفرنسية خلال سنة 1955 سواء فى المستوى التعليمي او فى مستوى عموم السكان الجزائريين :

1) التعليم الابتدائي :

كان عدد الاطفال المسلمين المسجلين فى المدرسة الابتدائية لا يتعدى 293 117 من مجموع 000 900 1 (اي انهم كانوا بنسبة 15 ٪) .

2) التعليم الثانوي :

كان عدد التلاميذ من المسلمين حوالي 260 6 من مجموع 412 34 (اي انهم كانوا بنسبة 18 ٪) .

3) التعليم العالي :

من مجموع 174 5 طالب جامعي ، كان عدد الطلاب المسلمين لا يتعدى 591 طالب (وبديهي ان هذا العدد كان يقتصر على الطلاب المنخرطين فى جامعة الجزائر ، اذ كان بجانبهم مئات من الطلاب الاخرين الموزعين على مختلف الجامعات الفرنسية) .

من هذه الاحصائيات ، يتبين لنا ان تسعة اعشار من السكان المسلمين فى الجزائر كانت تجهل اللغة الفرنسية ، بينما كان العشر الباقي يضم بعض الافراد الذين كانت مداركهم للفرنسية لا تتعدى المرحلة الاولى. هذا ، واذا فرضنا ان الوضع العام لهذه اللغة كان قد تطور فى الجزائر منذ سنة 1955 ، فاننا لن نهمل ايضا تزايد السكان المتوازي لذلك التطور ، ولا مظاهر النقصان المتكدسة بسبب الحرب . وعليه فان الارقام المشار اليها تدعو الى التأمل لانها تعطينا فكرة ثابتة عن عشاق الادب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية . واذا ما اضفنا اليها اعتبارات سيكلوجية ، فاننا نلاحظ مثلا تأثير الحرب الجزائرية التي فتحت ثغرة هامة فى نطاق مكانة اللغة الفرنسية ، وجاذبيتها فى نظر المسلمين . اذ ان اللغة العربية كانت الى حد ذلك الوقت ينحصر دورها فى شؤون القضاء والدين ، قبل ان تكون اللغة الرسمية عند جبهة التحرير ، وتصبح كاللغة الفرنسية اداة للدعاية ووسيلة لضبط مخططات الثورة .

هذا وقد اصبحت اللغة الفرنسية اثر اندلاع حرب الجزائر لغة ملعونة ، شأنها شأن السياسة التي تعبر عنها ، حيث تنكر لها الجزائريون خصوصا بعد اعلان استقلال البلاد ، الذي تولد عنه اتجاه آخر : كان قائما على تحرر ثقافي ذاتي ، له اهدافه الخاصة تشع منها المطالب الثقافية للشعب الجزائري التي وضعت مبادئها اثناء اجتماع طرابلس سنة 1962 والتي تنص على « ان الثقافة الجزائرية ستكون وطنية ثورية علمية يقوم دورها على تمكين اللغة العربية — كوسيلة معبرة عن القيم الثقافية للبلاد — من فعاليتها كلغة حضارية ، واسترجاع كرامتها ... لذلك فان تلك الثقافة ، ستسهر على البحث فى أسس التراث الوطني للرفع من قيمته ، والتعريف به وبازدواجية انسانيته القديمة والحديثة ، قصد تركيزه ثانية فى الحياة الثقافية ، وفى ميدان تهذيب الاحساس الشعبي .. كما انها ستحارب العالمية الثقافية ، والتأثيرات الغربية التي كانت سببا فى دفع كثير من الجزائريين الى التعبير عن كراهيتهم للقيم الوطنية ولغة البلاد ... »

هذا الاتجاه المعرب عنه بهذا النص ، وبنصوص عقائدية اخرى لها علاقة بالثقافة الجديدة ، يحملنا على التفكير فى الخطوط الحقيقية للثقافة الفرنسية فى الجزائر المتقلبة اذ ان الظروف الحالية تعمل اكيدا لصالح استمرار تلك الثقافة ، بل ولتطورها حينما نرى رجال السياسة واعضاء الجهاز الاداري يلتجئون بكل سهولة الى اللغة الفرنسية للتعبير عن نواياهم .. لذا فاذا كانت الثقافة الفرنسية هي ما عليه الان من الانتشار فى الجزائر ، فكيف سيكون امرها فى الغد ؟ ان الامر بسيط بحيث يمكننا من الساعة الراهنة ان نتنبأ باضمحلال متطور للاثر الثقافي الفرنسي ؛ لان شيوع اللغة العربية وتعريب الابتدائي ضمن برنامج التعليم سيعملان لا محالة على تبديل اللغة الفرنسية الى ان تبرز هذه الاخيرة كوسيلة ثانية لمتابعة الدراسات العليا الى جانب اللغة العربية . كما ان الادب المحلي المكتوب بها سوف يغدو مجرد ترف بورجوازي بالنسبة لافراد نخبة من المثقفين لا زالوا يحتفظون فى تستر بفكرة « **الجزائر الفرنسية** » . هذا ونحن نأمل الا تكون الاختيارات الثقافية ذات صبغة شوفينية او تعصب ايديولوجي ؛ لكنه كيفما كان الامر فان عطف الجزائريين على اللغة الفرنسية فى المستقبل سوف لا يتعدى اعتبارها كأداة لتحقيق تكوين علمي وفني . كما ان الادب المغربي الفرنسي سيكون مضطر البحث عن جمهور اذا هو لم يغد ادب قضية ونقاش بصورة مستمرة .

اذا كان الامر كذلك فنحن نتساءل كيف يمكن للادب المغربي ان يستفيد طويلا من جمهور قارىء ، ان لم يكن يخص جانب الشعب ، فبالاحرى اقليته ، ليبرز مغربيته ويؤكد شرعية وجوده في البلد ؟

هنا نذكر قضية الادب المكتوب باللغة الفرنسية في بعض الدول العربية حيث نعلم انه في مصر وسوريا ولبنان لا زالت الثقافة الفرنسية تحتفظ بمجموعة من المعجبين بأدبها في تلك البلدان . وبما اني لا اقصد في هذا المجال ، الحديث عن الظاهرة التاريخية التي تفسد ذلك ، فاني اتسرع الى القول : بأن الادب المكتوب بالفرنسية كان قد عرف اعلاما قليلين ، كما انه لقي اعجابا من لدن فئة قليلة من المتذوقين بحيث كانت هناك مدرسة ادبية في مصر تمثلها « مجلة القاهرة » ، الا انه بحكم انفرادها عن الادب المصري المعاصر فقد كانت ضئيلة الاثر سواء في الداخل او الخارج . بيد انها رغم ذلك عملت على التعريف باحمد رسيم كشاعر موهوب كسب شهرة واسعة لارتباطه بمعطيات البلد وبقائه كشاعر عربي ، وان كان شديد الهيام بالثقافة الفرنسيـــــة .

الى جانب احمد رسيم كان هناك « اليان ج . فنبير » الذي استطاع بواسطة رائعته « مجنون الاله » ان يأخذ مكانه بجانب الادباء الفرنسيين المعاصرين . وكذلك الامر بالشاعر السوري « فؤاد جبريل نفاح » الذي اشتهر بكتابه « عاشقا الامس » لكونه كان تراثا فرنسيا بعيدا عن الاشارة الى اصول الشاعر . اما « جورج شحادة » الشاعر اللبناني والكاتب المسرحي فقد حصره ماكس بول فوشي في الانطلوجية التي وضعها للتعريف بأعلام الشعر الفرنسي وامرائه ، على ان اسم هذا الاديب اللبناني لا يذكر الا في أوساط بعض المثقفين من مواطنيه . لذلك اليس لنا ان نقرر بأن الادب المكتوب باللغة الفرنسية في الدول العربية له مصير مشترك وان عليه ان يكون مندمجا كليا في الآداب الفرنسية ، اللهم الا اذا كان قويا ، حيا ، حقيقي الطابع بحيث يمكن ادماجه ضد الثقافات الوطنية ؟

مهما كان امر هذا الادب ، ومهما بعد عن جذوره كما قيل في مجلات عديدة فانه ، اذا اراد ان يكون مخلصا لرسالته ، او يتجنب مطارحات في محتوياته ، وجب على الكاتب المغربي ان يكون فيه هو نفسه وذاته حيث تقهر لهجته الصريحة كل الاحتجاجات ، وكل التاثيرات القائمة على الضغط الى ان يتمكن مواطنوه من العثور على هويتهم وانفسهم عبر آثاره .. حينذاك نستطيع نحن التفكير ان هذا الكاتب المغربي الجاري وراء التعبير الفرنسي يمكنه ان يطالب بشرعية دوره في الحياة الثقافية ضمن المجموعة الانسانية التي يتعايش معها ، كما يمكن لادبه ان يكون علامة على تلك الحيوية الثقافية السائدة في « مغرب عربي » استطاع تحقيق اهدافه السياسية والاجتماعية ، وجعل من ادبه اتجاها انسانيا يبرر انفتاحه لحضارة البحر الابيض المتوسط وتطلعه اليها كحضارة مستقبلية .

بقلم : علي مراد

مكناس – ترجمة : حسن المنيعي

الأدب النسوي في الأندلس

للأستاذ: محمد المنتصر الريسوني

- 10 -

وشاعرتنا ولادة ان عرضنا حياتها من خلال شعرها الاباحي ، وما قاله فيها مؤرخو الادب على ضوء ما تطورت اليه العلوم الجنسية توصلنا الى ما يلي :

ا – يلوح من حياة العناس التي عاشتها ولادة انها كانت مصابة بالجنسية المثلية وهي ميل المراة الى جنسها ، والرجل الى جنسه ، وليس يوضح هذا الامر غير ما قاله عنها ابن سعيد عندما تقرر تعلقها بمهجة في قوله :

« ... فعلقت بها ولادة ولزمت تاديبها »

وكذلك المقري لم يختلف عما قاله ابن سعيد ، وغرسيا غومس لايخرج عن اطار هذه التهمة عندما يقول فيها : (ولكنها كانت امراة رجلة) (1) « Virago »

وهذا النوع من الحب والتعلق له في التاريخ القديم شهرة ، فيحكى ان شاعرة اغريقية تسمى (سافو) وقعت في غرام احدى تلميذاتها ؛ غير ان التلميذة لم تستجب لنداء هذا الحب ، كما انها تعلقت بصديقة لها تسمى (فاون) ولكن الشاعرة اخيرا عصف بها الياس القاتل فالقت بنفسها في اليم .

واولئك النسوة اللائي عرفن بهذا الشذوذ اطلق عليهن الاغارقة اسم (تريبا ديس) « Tribades » المشتق من كلمة « Tribein » ومعناه (يحك جسمه بجسم شخص آخر) (2)

ب – وفي ميسورنا ان تعلل بعض تصرفاتها بمرض السادية الذي هو حب الانسان السادي الى تعذيب الجنس الآخر وتحميله الالم ، واصل هذا الداء ان الطفلة عندما تحس بنقص بعض اعضائها التي يتمتع بها الطفل تشعر بغيرة وحسد يسمى حسد (الذكورة) وعند ذاك يبدا الحقد يتاصل في داخلها على الرجال ويترعرع في نفسها الى ان يصبح سادية ، وحسبك انك تعلم ان شاعرتنا ولادة فقدت عرش آبائها ، فكان طبيعيا ان تحقد على الرجال وخصوصا الذين مكنت لهم الظروف في تحطيم عرش بني امية وعلى راسهم ابن زيدون .

ثم ان بعض الدارسين من علماء الجنس علل مرض السادية بأثر وراثي نتيجة فساد النطفة الناجم عن التسمم بالخمر ، والمطلع على التاريخ يعرف ان أباها محمد بن عبد الرحمن اشتهر بالادمان على شرب الخمر ، وانه لم ينجب غيرها ، فليس بدعا اذا افسدت الخمرة حيوية الجنسية .

والمرض السادي يتخذ اشكالا ، منها ان المراة تستعمل جمالها لاخضاع الجنس الرجولي لتشبع لذاتها ، ومنها حب التلويث كتلويث الملابس والشخص ذاته ، وانت اذا جئت الى التاريخ حدثك عما فعلته ولادة مع ابن عبدوس من العبث والسخرية بشخصيته، وذلك عند مرورها بدار ابن عبدوس وهو جالس مع

---

1) انظر الشعر الاندلسي – ترجمة الدكتور حسين مؤنس

2) انظر تاريخ العلاقات الجنسية تأليف ريتشارد لوينسون – ترجمة امين سلامة ج 1 ص 94 .

ثلة من اصدقائه وامامه بركة تتولد منها الاقذار فقالت لــــه :

انت الخصيـــب وهـــذه مصـــر
فتدفقـــا فكلاكمـــا بحـــــر (1)

وكذلك فعلت مع ابن زيدون وصديقتها مهجــة والاصبحي الذي مزقت عرضه وعرض ابنــه كـــل ممـــزق (2)

هـــذا ما يمكن ان يقال فى تعليل سلـــوك ولادة وشخصيتها المنحرفة ، وكان مـــن اليسير جـــدا ان نخضع شخصيتها لكثيـــر من التغـــيرات العلميـــة الحديثة ؛ بيد اننا آثرنا الا نغرق فى هذه التعليلات التي قد تزيد الامـــر تعقيدا ، وبعدا عن استكشاف الحقيقة

شـــاعـــريتهـــــا :

غزلها يفيض بالعاطفة مـــع جنوح الى المبالغـــة الواهمة حتى انها عندما تريد أن تعبر عن شوقها الـــى الحبيب تزعم ان ما في صدرها من الهيجان واللهفـــة المحرقة تعجز عن حمله الشمس والبدر وغيـــر ذلك ، وان حبها يذهب عن معاقد جفنها النوم فيجعلهــــا فى حجرة تتقلب فيها كما لو كانت تنام على فراش من اللظى المشتعل الاوار ، فاستمع اليها تدير هذا المعنى فـــي قـــولهــــا :

وقد كنت أوقـــات التزور في الشقـــا
ابيت على جمر مـــن الشوق محـــرق

اما شعرها الهجائي فهو عبارة عن فحش وقذارة تشبه فى ذلك دعبل الخزاعي 148 – 246 هـ فى بعـــض قصائده الهجائية القذعة الجارحة ، وقـــد تعفف ابن بسام عن رواية ابياتها اللاذعة فى حين ان المقري لم يتورع عـــن ذكـــرهـــا .

وقد يكون مرد هجائها فى ابن زيدون الى انـــه اتهمها بعلاقاتها السيئة مع الوزيـــر ابن عبدوس وكان يلقبـــه بالفار قال فيهما معـــا ،

عيرتمونـــا بأن قـــد صار يخلفنـــا
فيمـــن نحب ومـــا في ذاك من عـــار
اكل شهـــي اصبنـــا من اطايبـــه
بعضـــا وبعضـــا صفحنا عنه للفار(3)

فشعرها عموما يتسم بالرصانة ، مع الـــلاســـة ومتانة فى التركيب ، وقوة فى التعبير على غير وعـــورة وخشونـــة .

وبجانب كـــل ذلك فان ما وصلنا من انتاجهـــا الادبي – على قلته – ينم عن ثقافتها المتينة ، ومحفوظاتها للشعـــر العربـــي القديـــم .

تلك هي شاعرية ولادة .

اما علاقتها بابن زيدون فالحديث يتشقق ويطول، اتصل بها هذا الشاعر فى قصرها اثناء اقامتها للمجالس الادبية ، احبها فلم تستعص عليه ؛ ولذلك فان الآثار الزيدونية تمخضت عن عوامل عدة من بينها هيامـــه بولادة التي اوحت له بقصائـــد ساحـــرة صاغ وتدها المفروق والمجمـــوع ، وسببهـــا الخفيف والثقيـــل من شرايين نفســـه واوتار فؤاده ، فكان ذلك نعمـــة واي نعمة على الادب العربـــي

وكيفما كان الحال فقصتها معه اشهر من نار على علم اذ اصبحت حديث كل الناس اوانئذ وخاصة بعد ان سطر بعض حوادثها الشاعر فى عطائه الشعري .

ويروى ان ولادة بعثت اليه تعلمه بزيارتها لـــه شريطة ان تكون الزيارة تحت جنح الليل ! اذ الليـــل اكتم للســـر واصون للحبيبين :

ترقـــب اذا جـــن الظـــلام زيارتـــي
فانـــي رايت الليـــل اكتـــم للســـر
وبي منك ما لـــو كان بالشمـــس لم تلـــح
وبالبدر لم يطلع وبالنجم لم يســـر (4)

ووفت ولادة بعهدها ولما ارادت أن تنصرف قالت هذه الابيات تودعه بهـــا :

ودع الصبـــر محـــب ودعـــك
ذائـــع من ســـره ما استودعـــك (5)

---

1) البيت لابي نواس ، وهو مطلع لقصيدة له فى مدح الخصيب عامل الرشيد على مصـــر ، وولادة نقلت البيت نقلا لطيفا من المدح الى الهجاء .
2) انظـــر نفـــح الطيب ج 2 ص 448 الطبعـــة الازهـــرية
3) ديـــوان ابن زيدون ص 220 تحقيق محمد سعيد
4) البيت فى الذخيرة : 377 هكذا : وبي منك ما لوكان بالبدر ما بدا ❋ وبالليل ما ادجى وبالنجم لم يسر
5) فى الديوان تحقيق محمد سعيد كيلاني ص 183 ، (الحسن) بدل (الصبر) و (ضائع من عهده) بدل من (ذائع من سره) .

يقـرع السـن على ان لـم يكـن
زاد في تلـك الخطـا اذ شيعـك

يا اخـا البـدر سنـاء وسنـا
حفـظ اللـه زمـانـا اطلعـك

ان يطـل بعـدك ليلـي فلكـم
بت اشكـو قصر الليـل معـك

هـذه الابيات الرائعة نسبها صاحب (قلائـد العقيان (1) وصاحب (الذخيـرة) (2) لابن زيـدون ؛ غير ان المقري (3) نسبها لولادة ، ونحن نرجح نسبتها لابن زيدون ذلك لان ابن خاقان وابن بسام اقرب عهدا بالشاعر من المقري . وديوانه نفسه اثبتها له سواء في طبعته الاولى او الثانية (4) ، كما اثبتها ابن خلكان (5) عند حديثه عن حياته ومصدره في ذلك ابن بسام .

وجرى لولادة مع صاحبها خصام اججته الغيرة والاباء وذلك ان عتبة جاريتها كانت قد غنتهـا :

احبتنـا انـي بلغـت مؤملـي
وساعدني دهري وواصلني حبـي

وجـاء يهنيني البشيـر بقربـه
فاعطيتـه نفسي وزدت له قلبـي

فسألها ابن زيدون الاعـادة من غير اذن ولادة فغضبت لذلك اشد الغضب ، وكيف لا وهي المعجبـة بنفسـها وجمالها ، الامر الذي ادى بها الى ان تكتب على عاتقي ثوبها الايمن والايسر البيتين السالفي الذكر (6) ؛ ولذلك قالت محتـدة :

لـو كنت تنصف في المـودة بيننـا
لـم تهـو جاريتـي ولـم تتخيـر

وتركـت غصنـا مثمـرا بجمالـه
وجنحت للغصـن الـذي لـم يثمـر

ولقـد علمت بانتـي بـدر السمـا
لكن دهيـت (7) لشقوتـي بالمشتـري

وابن زيدون رغم هذا التصرف الذي صدر عنه مما دفع صاحبته الى ان تسلوه انتقاما لكرامتها ، فانـه ظل يحن اليها ، ويصبو الى لقائها فيترجم كـل ذلك الى شعره حتى تضوعت رائحة هذا الحب ، وتلمست كل انف فقال معتذرا :

واله ما ساءنـي اني خفيت ضنـى
بل ساءنـي ان سرى بالضنى علـن

لـو كـان امري في كتم الهوى بيـدي
ما كـان يعلـم ما في قلبـي البـدن

ويقول بعد ما غدا حبهما على طرف كل لسان :

يا من غـدوت بـه في الناس مشتهرا
قلبـي عليك يقاسـي الهم والفكـرا

يتبـــع

تطـوان : محمد المنتصر الريسوني

---

1) ص 74 الطبعة الاولى (2) : 319 ــ 377 . (3) النفح ج 2 ص 448 . وهذه الابيات عارضهـا احمد شوقي بقصيدة يقول في اولها : ردت الروح على المضنـى معك ❊ احسن الايام يـوم ارجعك والتي اسندها عبد الله عفيفي في كتابه (المراة العربية في جاهليتها واسلامها) ج 3 ص 131 لولادة وكذلك محمد جميل بيهم في كتابه (المراة في حضارة العرب) ص 244 ــ دار النشر للجامعيين ، وعيسى سابا في كتابه (غزل النساء) ص 51 ــ دار العلم للملايين ؛ ومن دون شك ان اولئك اعتمـدوا في ذلك على المقـري في النفـح .

4) الطبعـة الاولـى سنة 1351 هـ بشرح وضبط وتصنيف الاستاذين : كامل كيلاني وعبد الرحمـن خليفة والطبعة الثانيـة سنـة 1375 هـ بشرح وتحقيق الاستاذ محمد سعيد كيلاني (5) وفيات الاعيان ج 1 ص 123 تحقيق محمد محـي الدين عبد الحميد . (6) كتابـة ولادة البيتيـن على ثوبها شيء مالوف ، ولكن لدى الجواري كعنان الجاريـة المشهورة التي كتبت على عصابتها باللؤلـؤ (اذا لـم تستح فاصنع ما شئت) وغيرها . (7) في النفح ج 2 ص 448 (ولعت) بدل (دهيت) .



الأدب الأندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة

للدكتور أحمد هيكل
تقديم وتعليق الأستاذ محمد بن تاويت

اطلعت اخيرا على هذا الكتاب ، فوجدته وافيا بموضوعه ، جامعا لاشراط بحثه ، بل هو فى نظري الكتاب العربي الذي انفرد — حتى الآن — بتناول هذا الموضوع تناولا منهجيا ، معتمدا على المختصين فيه من جهابذة الاستشراق الاسبانيين ، الى ابعد حد ، ومناقشا اياهم فيما يستوجب المناقشة من نظريات وآراء ، قد تكون موجهة بدوافع شتى .

ودراسة الادب الاندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة ، هي دراسة لهذا الادب فى مرحلته الزاهية بالخلق والابداع ولهذا كان هذا التحديد له مغزاه ومعناه ، اما فيما بعد — وهو تاريخ طويل — فلم يكن الا التصنع والتنمق ، وليس وراء ذلك ما يستحق ان يكون فى حيز الجوهر ، اللهم الا ما ند من افراد قلال ، لا يتجاوزون عدد الانامل ، ومض بهم هذا الادب ومضات سرعان ما اكتنفها الغسق الدامس ، ثم لم يتنفس الصبح الا عن بهرجة تصطخب فيها الالوان وتتهالك فيها الاصباغ .

وكأن الادب الاندلسي فى نهايته هذه ، كان على ميعاد مع اخيه بالمشرق ، فبعد القرن الرابع واوائل الخامس لم نر فى المشرق الا ما رايناه بعيد ذلك فى الاندلس ، سنة واحدة كانت لهذا الادب فى رجاله ، شرقوا ام غربوا ، وان امتد الاجل بهؤلاء قليلا ، او ومضت فيهم الومضات ، كما قلنا ، تعويضا عما تاخروا زمنيا فيه .

مهد المؤلف لكتابه بتمهيد قيم ، تناول فيه اسم الاندلس ، وما قيل فيه قديما وحديثا ، ثم عقب على ذلك بلمحة جغرافية لشبه الجزيرة ، وانتقل من هذا الى سكانها الاول ، قبل الاسلام ، من مختلف الاجناس ، ثم اتصل بالفاتحين المسلمين وعلى راسهم موسى بن نصير ، الذي رافقه حتى اوبته الى دمشق ، حيث لاقى مصيره الاليم ، وعاد بعد الى الاندلس فتكلم على عبد العزيز بن موسى وما تلا مصرعه من الاحداث ، وانتقل من هذا كله الى دراسة المجتمع الاندلسي آنذاك ، وصور كيف انتشر فيه بسرعة هذا الدين الحنيف بلغته وثقافته ، وكيف تكون هؤلاء الاندلسيون الجدد ، وما فى تكونهم هذا من اختلاف البحاث الشرقيين والغربيين وكيف تميزت شخصيتهم ، بعوامل فيها الاقليم وطبيعته والوضع الذي كانوا عليه ازاء جيرانهم او فيما بينهم ، كما وصف ملامحهم الخلقية والخلقية ، ومغايرتهم لبعض التقاليد التي كانت مرعية بالمشرق .

ومن هنا دخل فى صلب الموضوع ، الذي قسمه الى فصول ستة كان منها :

الاول فى فترة الولاة .
والثاني فى فترة تاسيس الامارة .
والثالث فى فترة صراع الامارة .
والرابع فى فترة الخلافة .
والخامسة فى فترة الحجابة .
والسادس فى فتوة الفتنة .

وفى كل فصل من هذه الفصول ، تناول فيه الحالة السياسية والاجتماعية والثقافية عامة ، والادبية خاصة . وهذه فصل فيها القول فى الشعر والنثر ، كما ترجم فيها لمن اختارهم من رجالها البارزين ، وساق نماذج من كلا الشعر والنثر .

والملاحظ على الكتاب ما يلي :

ا — فى الفترة الاولى رجح حينما تناول الحركة الادبية ان يكون ما نسب الى طارق نظما ونثرا من وضع بعض الرواة ، ذلك ان طارقا لم يكن من حداثة عهده بالعربية ما يسمح له بالخطابة والشعر فيها ، حتى ولو كان له ايوان فى الاسلام ، فذلك لا يتيح له معرفة بالعربية الى درجة قول الشعر والقاء الخطب ، لان احوال المغرب فى تلك الآونة لم تكن تسمح بتادب ، وان المصادر الاولى قد خلت تماما من اي حديث عن ذلك ، سواء فى ذلك المصادر الاندلسية والمشرقية ، ولم يرد هذا الادب الا فى بعض المصادر المتاخرة كنفح الطيب الذي لم يذكر لنا مصدر ما نقل عنه الخطبة ، وان كان فى الشعر ذكر اعتماده على المسهب والمغرب ، واقدمهما يرجع الى القرن السادس ، ثم ان اسلوب الخطبة يمثل ما كان عليه اواخر العهد العباسي بل العهد المملوكي ، الذي شاعت فيه المحسنات المتكلفة ، واخيرا وردت فى الخطبة هذه الجملة « وقد اختاركم امير المؤمنين من الابطال عربانا » اذ المعروف ان جنوده كانوا من البربر ولم يكونوا عربانا .

اما طارقا لم يكن من حداثة عهده بالعربية ما يسمح له بالخطابة والشعر ، فهذا غير مسلم ، حتى ولو كانت احوال المغرب فى تلك الآونة لا تسمح بتادب ، كما قال ، ومن اين لنا ان نقطع بان طارقا لم يتادب خارج المغرب ، او انه لم تتح له ظروف خاصة تؤدبه بهذه العربية ؟ واما عدم ورود هذه النصوص الادبية فى المصادر القديمة ، وان المقري الذي اتى بالخطبة لم يذكر لنا مصدره فى نقلها فهذا يوهنه ، ما نجده فى الامامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري المتوفى عام ستة وسبعين ومائتين ، من ذكر لهذه الخطبة منسوبة لطارق واما وجود العربان فيها، فعلى التسليم الجدلي بتعكيره علينا ، لا يكون داحضا للصحة فى تلك النسبة ، فالخطبة الواردة فى الامامة والسياسة هكذا :

« ايها الناس اين المفر ، البحر من ورائكم ، والعدو امامكم ، فليس ثم والله الا الصدق والصبر ، فانهما لا يغلبان ، وهما جندان منصوران ، ولا تضر معهما قلة ، ولا تنفع مع الخور والكسل والفشل والاختلاف والعجب كثرة ، ايها الناس ، مافعلت من شيء فافعلوا مثله ، ان حملت فاحملوا ، وان وقفت فقفوا ، ثم كونوا كهيئة رجل واحد فى القتال ، الا واني عامد الى طاغيتهم ، بحيث لا انهيه حتى اخالطه او اقتل دونه ، فان قتلت فلا تهنوا ولا تحزنوا ، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، وتولوا الدبر لعدوكم ، فتبددوا بين قتيل واسير ، واياكم اياكم ان ترضوا بالدنية ولا تلقوا بأيديكم ، وارغبوا فيما عجل لكم من الكرامة ، والراحة من المهانة والذلة ، وما قد اجل لكم من ثواب الشهادة ، فانكم ان تفعلوا فالله معكم ومعيذكم ، والا تبوءون بالخسران المبين وسوء الحديث غدا بين من عرفكم من المسلمين ، وها انااذا حامل حتى اغشاه ، فاحملوا بحملتي » .

فها نحن نرى الا ذكر للعربان بهذه الخطبة ، وانها تختلف عما تذكر له فى اسلوبها وصياغتها ، فهي تكاد تخلو من تلك المحسنات ، كما ان مستواها — على العموم — من البساطة التي كانت فى مستطاع طارق ، حين نصوره بما سبق تصويره ، فالاقتباس فيها لا يتعدى القرآن الكريم ، بل التعبيرات الراقية فيها تكاد تكون كذلك ، وبعضها مما هو مذكور بنصه فى السيرة النبوية ، فلا يستبعد اذن ان تكون الخطبة صحيحة النسبة ، فى نصها هذا او ما هو قريب منه ، وهو الغالب الذي يسيغه النظر القويم .

ب — يرى فى الصفحة 172 وما بعدها ، وفى التعليق 2 من الصفحة المذكورة ، ان رحلة الغزال لم تكن الى بلاد النورمان ، بل كانت الى القسطنطينية وهو فى هذا تابع لليفي بروفنسال ، الذي ذكر ان ابن دحية لما قال ان سفارته كانت الى ملك المجوس ، كان معتمدا فى ذلك على عناصر خيالية ، والواقع ان الرحلة الى بلاد النورمان حصلت ، وايدها التاريخ ، كما ايدتها الاشعار التي قالها الغزال فى تلك السفارة، كقوله :

اني تعلقت مجوسية
تابى لشمس الحسن ان تغربا
اقصى بلاد الله لي حيث لا
يلقى اليها ذاهب مذهبا
يا « تود » يا رود الشباب التي
تطلع من ازهارها الكوكبا

فهل كان الغزال يعني بالمجوس اهل القسطنطينية النصارى ، وهل كانت القسطنطينية في نظره « اقصى بلاد الله حيث لا يلقى اليها ذاهب مذهبا » ؟

يظهر ان المؤلف يقول بما قال به الاستاذ احمد امين ، من انه « يريد بالمجوسية النصرانية » وان كان هذا نفسه يذكر انه « ارسل سفيرا الى ملك الدانمرك .

جـ — وفي الصفحة 248 يذكر ان ابن عبد ربه لم يرحل الى المشرق ، وان الاستاذ احمد امين رحمه الله — كان واهما في ذكره لهذه الرحلة ، مع ان ان عبد ربه يصرح بنفسه في كتابه العقد انه رحل الى المشرق ، فيقول في تفاضل البلدان منه ، وقد اتصل بالمسجد الحرام : وحمام المسجد كثير انيس ، يكاد الانسان ان يطأه بقدمه ، لانسه بالناس ، وهو في لون حمام الابرجة عندنا ، الا انه اقدر منه ، وليس منه حمامة تجلس على البيت ، ولا تطير عليه . ولقد همني ذلك، فرايتها حين تكاد ان تحاذي البيت ، وهي مستعلية في طيرانها ذلك غطست حتى تطير دونه ، واخذت عن يمينه او يساره ، وزرقها ظاهر بارز على البيوت التي في المسجد ، الا بيت الله الحرام ، فانه نقي ليس فيه ولا عليه اثر ... » فهذا — كما ترى — صريح في كونه كان بالمشرق .

د — وفي صفحة 293 يذكر ان كتاب العقد يحتوي على نماذج نثرية لابن عبد ربه اكثر من الشعرية له . مع ان الواقع هو العكس فابياته تربو على الاربع مائة عدا الارجوزة التاريخية التي تضم اربعمائة وخمسين من الابيات ، والارجوزة العروضية وشواهدها التي تربو على مائة بيت كذلك ، ثم المقطعات على حروف الهجاء ، وهي كثيرة ، وبالاختصار فالارجوزة العروضية تقع بين ص 240 و 252 والامثلة على البحور بين 254 و 286 والمقطعات بين 317 و325 . فاذا ضممنا هذا كله الى تلك الابيات ، فان الجميع قد يصل زهاء الالف بل يربو عليها .

اما النماذج النثرية فلا تتعدى المقدمة ، وفرش الابواب ، وهي لا تتعدى بضعة اسطر في كل فرش منها .

ز — وفيما عدا هذا ، ففيه بعض التعبيرات ، التي استرعت انتباهنا ، كقوله في صفحة 22 : فيها (الاندلس) بقاع تستحم بمياه « الانهار » فكلمة تستحم لا تبدو لنا في مكانها .

هـ — ولا يفوت المؤلف ان يذكر لهؤلاء الاندلسيين ما اخذوه من زملائهم المشارقة ، كما في رائية ابن دراج التي نظرت الى رائية المتنبي العميدية في الصفحة 182 يذكر لسعيد بن جودي ابياتا تصور قوته وشدة باسه ، وهي :

الدرع قد صارت شعاري فما
ابسط حاشاها لتهجاعي

والسيف ان تصره صانع
طوله يوم الوغى باعي

وما كميتي لي بمستقصر
اذا دعاني للقا داعي

هذا الذي اسعى له جاهدا
كل امرىء في شانه ساعي

وفاته ان يذكر ان هذه الابيات قد انتزعت لا محالة من قول ابن زيابة التميمي :

الرمح لا املا كفي به
والدرع لا ابتغ تزوالــه

والدرع لا ابغي بها بدلا
كل امرىء مستودع ما لــه

تطوان : محمد بن تاويت

القومية العربية في القرن التاسع عشر

تأليف الدكتور توفيق برو
تقديم الأستاذ محمد محي الدين المشرفي
مدير المركز الوطني للتعريب

يسرني ان اقدم للقارىء الكريم ملخص ما قرائه فى هذا الكتاب القيم الذي جمع بين دفتيه من الفوائد والمعلومات حول انتشار الحركة القومية فى الدول العربية خلال القرن التاسع عشر ما قد يساعد الباحثين على استقصاء العوامل القريبة والبعيدة التي مكنت الاقطار العربية ، بعد كفاح طويل ، من الخروج عن طاعة الغاصبين وتحقيق رغبتها المشروعة فى حياة مستقلة كريمة .

والكتاب الآنف الذكر متوسط القطع ، طبع على ورق صقيل بفضل وزارة الثقافة والارشاد القومي بدمشق وكتب باسلوب واضح بسيط يحمل على مطالعة هذا المؤلف المفيد فى كثير من الشوق والاغراء.

وقد اعتمد المؤلف فى كتابة هذا الكتاب على مصادر متعددة لها قيمة تاريخية وفلسفية لا تنكر ، كتب وضع بعضها اساسا باللغة العربية وبعضها الآخر باللغة الفرنسية : وقسم المؤلف كتابه الى ستة فصول ابتداء من موجة الاستعمار الاوربي التي اجتاحت الاقطار العربية المستقلة الى مظاهر اليقظة القومية ، مشيرا فى المقدمة الى الحالة السياسية والاجتماعية التي كانت تعيش عليها الدول والممالك العربية خلال القرن التاسع عشر وكيف استطاعت الدولة العثمانية الاستيلاء عليها دون مقاومة لان العرب والمسلمين كانوا يعلمون ان الاتراك انما كانت رغبتهم متجهة الى تسليط سيطرتهم على تلك الدول من الوجهة العسكرية فقط لا من الناحية الثقافية او الدينية ، والواقع ان الدول غير المسلمة التي خضعت للاتراك كانت هي الاخرى تتمتع فى فترة الاحتلال العثماني بحريتها الدينية ، لها كنائسها وبيعها ؛ يضاف الى ذلك ان الدول العربية والاسلامية عموما احتفظت بتعليمها العربي مما جنبها الوقوع فى مشكلة التعريب ، فيما بعد ، كما وقع ذلك بالنسبة لدول المغرب العربي ، بعد تخلصها من قبضة الاستعمار ، اما المغرب الاقصى فهو البلد العربي الوحيد الذي لم يخضع قط للسيطرة العثمانية مما كان له اثره العميق فى المحافظة على تراثه الخالص وحضارته العريقة .

* * *

ولما شعرت الدول العربية والاسلامية بان المرض والانحلال صارا يدبان فى هيكل الامبراطورية العثمانية الواسعة الاطراف جعلوا يستعدون لانتزاع استقلالهم المغتصب، لكن نوايا الاستعمار الاوربي كانت اسبق من يقظة العرب ، وبدلا من ان يسترد العرب حكمهم لوطنهم السليب ضاعت هذه الاقطار من يدهم ، مرة اخرى ، واحدا بعد واحد بفعل القرصنة الاستعمارية والاغتصاب ، وهكذا اصبحوا فى حالة اضطروا معها الى الاستعداد لكفاح طويل مرير .. والواقع انه اذا كانت البلاد العربية بقيت ، قبل القرن التاسع عشر ، فى مأمن من الاستعمار الاوربي فذلك راجع الى اتجاه الاوربيين باطماعهم الى الشرق الاقصى اولا والقارة الامريكية عقب الاكتشافات التي احدثت خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر اثرا عميقا فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية الاوربية كما ان اشتغال الاوربيين بحروب داخلية فى اوربا صرفتهم عن الشرق العربي حتى مطلع القرن العشرين .

فمنذ القرن السادس عشر لعبت فكرة استئناف الحروب الصليبية ضد الشرق الاسلامي دورها فى تسيير السياسة الاوربية ، والدليل على ذلك هو

محاولة روسيا السيطرة على البحر الاسود والنفوذ منه عبر المضايق التركية الى البحر الابيض المتوسط منافسة بذلك السلطة العثمانية فى الجزائر وغيرها من البلدان الواقعة تحت السلطنة التركية .. ثم توالت الضربات على الدولة العثمانية من الشرق والغرب بسبب ضعف بعض السلاطين الذين خضعوا لارادة الحريم وقد جاءت تلك الضربات خاصة من ايطاليا واسبانيا ، ولعب « فرديناند الاول ، كراندوك ذي توسكان » دورا مهما فى هذه الهجومات ، وكان طامعا فى الاستيلاء على سوريا وفلسطين وقبرص ، ومن ثم حاول ان يعقد معاهدة مع صاحب حلب التي اغتصبت من السلطنة العثمانية منذ زمن قليل ، وبصفة عامة فقد اتخذت الشعوب الاوربية جميع الاسباب للاستيلاء على الشعوب الخاضعة للحكم العثماني ، وكانت ترى فى قرارة نفسها ان الدفاع عن الجماعات البلقانية المسيحية التي كانت خاضعة للحكم العثماني خير وسيلة للتوصل الى الاراضي الخاضعة لنفوذ الاتراك ، ولذلك ما كادت فرنسا وانكلترا تنتهيان من حروب امريكا حتى راحت كل منهما تتسابق على الاراضي الواقعة على شاطىء البحر المتوسط ، لكن اندلاع الثورة الفرنسية شغلت حكومة فرنسا عن تلك الاهداف ، ولما شعرت فرنسا بالعداء الذي كانت انكلترا تكنه للثورة الفرنسية جعلت تبحث عن طريق تتوصل منه الى اضعاف سيطرة الانكليز ومن ثم كانت الحملة الفرنسية على مصر ، محاولة ان تضرب عدوتها فى الصميم بالقضاء على طريق التجارة المؤدية الى الهند التي نعتها نابليون بأنها الجهاز التنفسي بالنسبة للانكليز .. فلما ايقنت انكلترا بهذا الخطر الذي احدق بها بادرت الى احتلال المراكز الستراتيجية على طريق البحر الابيض المتوسط والبحر الاحمر بعد أن استولت على مصر ومالطة كما احكمت سيطرتها على الخليج الفارسي والمحميات الواقعة فى الجنوب العربي ، اما فرنسا فقد كانت تستعد لاحتلال الجزائر مدفوعة الى القيام بذلك العمل من طرف روسيا وذلك لسببين وهما اضعاف الدولة العثمانية من جهة واذكاء نار التنافس بين فرنسا وانكلترا من جهة اخرى ، ولما فاتحتها فرنسا فيما هي مقدمة عليه لم تبد طبعا انكلترا موافقتها ، الا انه لما دخلت الجيوش الفرنسية الجزائر اكتفت انكلترا بالاحتجاج على فعلتها ، وكان جواب فرنسا ان احتلالها للجزائر انما كان لصالح العالم المسيحي بما انها كانت تريد ان تهدم البحرية الاسلامية وتضع حدا لاسر المسيحيين وللجزية ايضا التي كانت الدولة المسيحية تدفعها للايالة الجزائرية ، وانفها راغم .

والغريب ان الدولة العثمانية لم تحرك ساكنا ازاء اعتداء فرنسا على ممتلكاتها ، بل اكتفت هي الاخرى بتقديم مذكرة احتجاج على قيام فرنسا بالاعتداء على حقوقها فى تلك الاثناء كانت استعدادات محمد علي قائمة على قدم وساق للاستيلاء على سوريا (1829) على يد عرابي باشا وانطلاقه فى بلاد الاناضول حتى كاد ان يدق ابواب العاصمة العثمانية ويضع نهاية لحكم سلاطينها .

وكانت ازمة شاقة بالنسبة لانكلترا ، فاضطرت الوقوف امام اطماع محمد علي التي اعتبرتها بالطبع تهديدا للمصالح الانكليزية فى الشرق الاوسط ، وقد فضلت ان تبقى هذه المنطقة فى قبضة السلطان العثماني نظرا لضعفه ، وهو ضعف يفسح لها المجال لتحقيق اغراضها الاستعمارية فيها ، وكان هذا نفس الشعور الذي كانت تشعر به روسيا .

وتطورت الاحداث واضطر معها عرابي باشا الى مغادرة سوريا وتبع ذلك نزول حملة انكليزية فى لبنان وجيوش اوربية مختلفة هنا وهناك فى بلاد الشرق الاوسط ، حتى كنت تجد مختلف الاجناس ، كل واحد يسعى سعيا حثيثا لبسط نفوذه على تلك الرقعة من العالم العربي ، ولم يمض الا زمن قصير حتى تواردت على سوريا ارساليات مختلفة اجناسها ، منها الفرنسي والانكليزي والامريكي والروسي والايطالي والالماني بدعوى الاهتمام فى الشرق العربي بمشاريع عمرانية وثقافية ، وشرعت فى فتح المدارس الاجنبية على نطاق واسع ، ومن هناك شهدت بلاد الشام نهضة ثقافية عارمة كان لها اثرها العظيم فى اثارة اليقظة العربية الفكرية والاجتماعية فى كل جهة .

لكن تغلغل هذا النفوذ الاجنبي المقنع فى شبه حركة ثقافية جعل المسلمين خاصة يتشبثون بأذيال الدولة العثمانية ، على ضعفها وسوء تصرفها ، ويعملون على تحقيق فكرة « جامعة اسلامية » تستطيع أن تلم شعث المسلمين وتقف فى وجه ذلك الاحتلال الاوربي المقنع .

وبينما كانت الدول الاوربية تعمل على تثبيت قدمها فى الشرق وخاصة منها الدولة الروسية اصبحت الدبلوماسية الانكليزية تهتم بصفة خاصة بالشرق الاوسط وتهيىء لنفسها القيام بدور هام

تحصل بمقتضاه على نفوذ مطلق شامل بين الدول الاوربية ، وذلك بحملها على عقد مؤتمر « ببرلين ». وكانت تنوي استغلال هذا التجمع ، فتفوت على روسيا الفرصة التي كانت تتمناها لنفسها وتفوز ببعض النفوذ على حساب الماليك العثمانية ، ونجحت انكلترا فى ذلك المؤتمر بما قامت به من نشاط فى الكواليس ، واستطاعت فى الاخير ان تغرر بالدبلوماسية الايطالية والفرنسية اللتين كانت كل منهما ترمي الى تبسيط نفوذها على القطر التونسي ، فاعترفت للاولى باحتلالها للقطر الليبي بينما اعترفت للثانية باحتلال تونس مقابل امتلاكها شخصيا لجزيرة قبرص وبسط نفوذها على الشرق الادنى بصفة عامة ، ومع ان فرنسا اشترطت على انكلترا قبيل انعقاد مؤتمر برلين، الا تثير اثناءه قضية مصر فان انكلترا لم تتورع من ان تضرب ضربتها هناك (1882) ، وكانت ضربة لفرنسا بقدر ما كانت ضربة للدولة العثمانية نفسها ، وبقيت العلاقات قائمة بين الدولتين الاستعماريتين ، ولم يصف بينهما الجو الا فى مطلع القرن العشرين على اثر « الاتفاق الودي » (1904) الذي بمقتضاه تم الاتفاق على ان لفرنسا ان تسعى لاحتلال المغرب لقاء اعترافها لانكلترا بتوطيد اقدامها بمصر بعد ان كانت تلح عليها فى الجلاء عنها ، وغني عن البيان ان الدوافع التي اهابت بالدولتين الى هذا الصفاء ، بعد جفاء طويل ، هو ما لمسناه من اكفهرار فى الجو السياسي اذ ذاك بسبب ظهور المطامع الاستعمارية الالمانية ومنافستها للدولتين الآنفتي الذكر .

ولم يكن احتلال فرنسا لتونس بالامر الصعب بعد أن ركزت اقدامها فى الجزائر ، وكفاها أن تصطنع ازمة بينها وبين الباي التونسي مدعية اعتداء شن عليها من قبل بعض القبائل الساكنة على الحدود لترسل حملة عسكرية على تونس ، فتحتلها وتبسط عليها ، يااللسخرية ، حمايتها !

كما انتهزت انكلترا من جهتها الازمة المالية التي كانت مع فرنسا سببا فى خلقها بالنسبة للقطر المصري وذلك لتلعب دورها فى احتلال البلاد عقب الثورة التي قام بها القائد عرابي باشا .

وهكذا اكتسح هذا المد الاستعماري معظم الدول الاسلامية والعربية فى الشرق الاوسط بينما كانت الاقطار العربية تتحسس فى كثير من الصبر الطريق التي ستفضي بها الى الاستقلال بما تكون قد اثارته من وعي قومي فى كل مكان من انحائها .

* * *

ومعلوم ان بسط النفوذ الاجنبي على الدول الاسلامية عموما اظهر لتلك الشعوب ما اصبحت عليه المملكة العثمانية من الضعف والانحلال ، فلما ايقن العرب ان العجز وحده هو الذي اقعد المملكة العثمانية عن مجابهة العدوان الاجنبي ، راحوا يفكرون فى ضرورة دعم السلطنة حتى تصبح قادرة على مكافحة الاستعمار الاوربي حيث انها كانت الدولة الاسلامية الوحيدة فى الشرق ، وادت تلك الحالة بالمسلمين دفعا لخطر الاستيلاء الاجنبي الى جمود فى العلوم الدينية ، فتوقفت العقول من الابتكار والخلق ووقف ركب الحضارة الاسلامية بينما كانت اوربا تحث السير فى نهضة رائعة ، وامام انتشار الفساد قامت الحركة الوهابية بالجزيرة العربية تدعو الى الوحدة على يد الشيخ محمد عبد الوهاب ، ولم تقتصر هذه الدعوة على الناحية الدينية بل تعدتها الى حملة سياسية عملت على طرد النفوذ التركي من مكة والمدينة بالجزيرة العربية اذ لم تكن الحركة تكتم رغبتها فى الاستقلال بجزيرة العرب ، ولما استفحل امر الوهابيين اشار السلطان العثماني على محمد علي، وليه بمصر بقمع تلك الحركة ، فكان له ما اراد ، وعظم شانه حتى خافت انكلترا ان يستفحل امره فى الشرق الاوسط ، ولكن الافكار التي بذرها الوهابيون جعلت تعمل عملها فى النفوس من ان الاسلام لن يقوم له شان مرة اخرى الا برجوع المسلمين الى الاصل عملا بالسنة والقرآن ومحاربة البدع والخرافات ، وانتشرت هذه الدعوة فى كل مكان عن طريق الحجاج عند عودتهم الى ديارهم ، وهكذا وجدت تلك الافكارطريقهاالى الهند وزنجبياروالیمنوليبيا ومصر، ووجدت من يؤيدها فى كل بلد من هذه البلدان ويدعمها لكن على اساس نصرة المملكة العثمانية ما دامت هي الدولة الاسلامية الوحيدة التي استطاعت ان تقوم فى وجه الاستعمار الاوربي حتى ذلك الحين ، وادت تلك الحركة الى خلق تكتل قومي فى شكل « جامعة اسلامية » انضم تحت لوائها كثير من الفلاسفة والسياسيين ، امثال جمال الدين الافغاني والامير شكيب ارسلان ومحمد عبده وغيرهم ، وقد اقتنعوا ان اي اصلاح لن يتم على نهضة دينية وحدها ، بل لابد من تدعيمها بنهضة علمية صحيحة ، بعد الاغتراف من العلوم الاوربية واساليب الحكم الدستورية ، بذلك يستطيع الشرق ان يجابه الغرب ، بل كان جمال الدين الافغاني يرى انه فى الامكان بعد القضاء على النزاعات الطائفية والعقائدية ومحاربة البدع والخرافات انشاء دولة اسلامية موحدة تحت راية

اسلامية واحدة يقوم عليها خليفة لا ينازع منازع فيه ، لكي ينشر الافكار التي كان يدعو اليها انشا مجلة « العروة الوثقى » التي اناب عنه في ادارتها الشيخ محمد عبده ، وكلنا يذكر ما كان لها من شأن وكيف ادت الافكار التي كانت تنشرها الى محاربة المجلة من طرف الدولة الانكليزية التي منعت دخولها مصر .

هذا وبقدر ما كانت دعوة جمال الدين الافغاني معززة للجامعة الاسلامية بقدر ما كانت مهدمة للاستبداد والطغيان ، ولذلك حاول السلطان عبد الحميد استغلال دعوة « الجامعة » لتقوية نفوذه في الخارج باعتباره زعيما يدين له بالولاء ما يزيد على ثلاثمائة مليون من المسلمين ، يخضع كثير منهم لروسيا وانكلترا وفرنسا ، وتعزيز جانبه بالنسبة لمختلف القوميات في امبراطوريته الواسعة الاطراف فبعث الى السيد الافغاني يستدعيه الى الاستانة واجرى عليه راتبا محترما محاولا استغلال نفوذه كما اجرى على كثير من الزعماء ومشايخ الطرق الدينية الاموال والهبات ، لكن الشيخ الافغاني كان من الذكاء بحيث لم تنطل عليه تلك الحيل ، وراح يدعو عبد الحميد الى ضرورة تطبيق نظام دستوري في الولايات التي يحكمها ، فلم يستجب لذلك عبد الحميد الذي كان يفضل ان يحكم بالقوة ولم يسبق جمال الدين الا قليلا حتى استجاب لداعي ربه .

ومع ذلك فقد استفاد السلطان عبد الحميد من الدعوة الاسلامية بما مهده لنفسه بواسطة اشياعه واتباعه من انه الساهر على الدعوة حتى تثمر والدين الاسلامي حتى يعود الى لمعانه السابق والخلافة حتى تستقيم له باعتباره المحافظ عليها والداعي اليها ، خصوصا وانه عرف كيف يبرهن على تعلقه بالقضية الاسلامية ، وقد دعا لها بمهارة فائقة برغبته في مد الخط الحديدي الى الحجاز تسهيلا على الناس في القيام بفريضة الحج .

الا ان الشك بدا يراود بعض الكتاب والمفكرين العرب في جدوى « الرابطة الاسلامية » مع الترك وفي اخلاص السلاطين العثمانيين نحو رعاياهم المسلمين ، ومن الذين راحوا ينادون بهذه الفكرة المصلح الثائر عبد الرحمن الكواكبي الذي ادرك مفاسد الدولة العثمانية وانتقد ارادتها داعيا الى برنامج جاء في احدى « مواده » ضرورة اقامة خليفة عربي قرشي مستجمع للشرائط الشرعية في مكة المكرمة .

ولما اندلعت نار الحرب العالمية الاولى اخذت الدولة العثمانية — علاوة على انكشاف عجزها عن حماية ممتلكاتها الاسلامية — تنكل بالعرب هنا وهناك وتسعى الى « تتريكهم » بالقوة بدلا من ان تتيح لهم كما نصحها بذلك جمال الدين الافغاني ورفاقه من التمتع بحياة دستورية تصبح بفضلها قوية قادرة على رد هجمات العدو عند الاقتضاء ومؤازرة الدولة العثمانية الام على كل حال ، لاسيما وقد تهيأت العوامل كلها لتزيد في نشر الوعي القومي العربي بما حصل من اتصال متزايد بين مختلف الشعوب الاسلامية والحضارة الغربية وانتشار التعليم الجامعي وذيوع فلسفة قومية عربية ترمي الى محاربة الاستبداد بكل انواعه والحصول على الاستقلال الذي كان فيما اذا تحقق، لابد من ان يستفيد منه المسلمون قاطبة والدولة العثمانية خاصة . الا ان الدولة التركية سارعت الى تشديد الخناق على الولايات التي كانت تحكمها وتنصيب باشاواتها عليها ، فتقضي بذلك على الاستقلال الداخلي الذي كانت تتمتع به بعضها اغراقا في الظلم والعسف واتباعا لسياسة مركزة على ادارة مركزية بالاستانة منها تخرج الاوامر واليها تعاد الامور كلها .. واندلعت الثورات والفتن في كثير من الامكنة كالحجاز مثلا التي نكل باهله الامنين القائم باعمال الاتراك في جدة بصورة تقشعر لها الجلود كما حاولت الباب العالية بكل وسيلة الاستيلاء على اليمن سعيا في وضع حد لانتشار الوعي القومي في البلاد الواقعة تحت سيطرة الاتراك مستعملة كل الوسائل لفرض اللغة التركية على الاقاليم التي كانت تملكها تماما كما كانت تعمل الدولة الفرنسية في المستعمرات او الحمايات التي تدر لها ان تبسط نفوذها عليها في افريقيا ، ولا غرابة في ذلك فقد استمدت السياسة التي كانت تعتمدها في تسيير شؤون الولات العثمانية من النظام الفرنسي في مركزية الحكم ، وهو نظام يضمن ولو الى حين السيطرة على النفوس والعقول ، وان كان القانون المذكور يشير بصراحة الى ضرورة اشراك السكان في تدبير مصالحهم العامة ، لكن الادارة المركزية بقيت بكل اسف هي الغاية التي تهدف اليها الدولة العثمانية ، مثلها في ذلك كمثل فرنسا في معاملتها للبلاد الواقعة تحت تصرفها . واستمر نظام الحكم هذا على صفته المطلقة — ارادة السلطان فوق كل ارادة — الى ان تمكن فريق من الاحرار من تعزيز فكرة الحكم الدستوري ، الا ان السلطان عبد الحميد سرعان ما ضاق ذرعا بالحياة النيابية التي لم يوافق عليها

الا رغما عنه نظرا للحرية المطلقة والاستهتار اللغوي الذي سمح به النواب لانفسهم ، ولعبت المعارضة دورا خطيرا في البرلمان حتى ادخلت الهلع على السلطان الذي اضطر الى حل المجلس النيابي ونفي عشرات من نواب المعارضة ، وهكذا عطل الدستور وظل يحكم البلاد حكما فرديا استبداديا مطلقا مدة ثلاثين سنة اذ شعر بالتيار الذي صار يدفع العرب الى البحث عن وسيلة تنقذهم من الحكم العثماني ، بعد حصولهم على الاستقلال ، وتفطن عبد الحميد ان انسلاخ العرب عن الامبراطورية العثمانية سيكون نذيرا بانهيار الدولة برمتها لان بلاد العرب تشكل دعامة لهم وتمد العثمانيين بموارد هائلة وبالعدد الاكبر من جيوشها ، وشعر العرب بثقل قبضة الاتراك عليهم وراحوا يعملون بكل وسيلة للتخلص من سيطرتهم الا ان العوامل لم تكن آنذاك مكتملة حتى تتحقق رغبة العرب في بناء مستقبلهم بانفسهم كما يوصي به الوعي القومي الذي اصبح يتبلور شيئا فشيئا في النفوس .

كان العمل من اجل تلك الغاية صعبا غير يسير بالفعل ، نظرا لما اصاب الشعوب العربية عامة من انحطاط بسبب ارتباطها بالدولة العثمانية ، ولم تكن، كما يعلم كل واحد ، دولة علم ومعرفة بل دولة حروب وفتوح، الا ان شعلة المعرفة التي كانت — رغم تصلب الدولة الحاكمة — تشع من الازهر الشريف ومفعول المدارس الحديثة التي اقبلت الارساليات على فتحها في كل مكان من الاقطار العربية كان لهما اثرهما العميق في تطوير المجتمع العربي في الشرق الادنى ، كما ان حركة التعليم وانتشار الكتب والمخطوطات بسبب تركيز الطباعة في كل من مصر وليبيا وسوريا والعراق وظهور الصحافة وتأسيس الجمعيات الادبية والعلمية على اختلافها وظهور حركة استشراق مباركة في كل مكان ، كل ذلك كان من الاسباب التي ادت الى تنقية اللغة العربية من الاوشاب الدخيلة وجعلها لغة طيعة لاستيعاب الآراء الحديثة والتعبير عنها بوضوح ودقة واشراق ، تمهيدا لبعث وطنية صادقة ووعي قومي عن طريق احياء التراث العربي واللغة العربية القومية .

ان الجمعيات خاصة التي كانت تحيا حياة نشيطة عن طريق القاء المحاضرات ومناقشة الافكار السياسية متلبسة بآراء ادبية وعلمية اذكت لا محالة الروح الوطنية في مجتمع كان يعيش في ضيق لا يطاق وانبثق عن ذلك كله تكتلات كانت تعبر تعبيرا صادقا عما كان يخالج نفوس العرب من عواطف قومية ورغبة شديدة في التحرر والانتعاش رغم ما كان يربطها بالدولة العثمانية من علاقات وروابط دينية متينة ، ونلتمس دليلا على حرارة تلك الدعوة الى تحقيق ما كانت ترمي اليه الحركة القومية في ان الجاليات المسيحية نفسها كانت تحرص شديد الحرص على اقامة شعائرها الدينية باللغة العربية ، لغة الوطن العربي ، احتجاجا على اللغة التركية التي كان العرب على اختلاف نحلهم ومللهم يعتبرونها لغة اجنبية دخيلة ، ولاشك ان تلك الحركة العامة ادت الى حركة تعريب ناجحة كل النجاح .

واهم ما حمل في طياته هذا الانتعاش الثقافي عن طريق انتشار المدارس في كل مكان هو انه كشف الغطاء عن حقيقة لا تنكر اهميتها الا وهو ان الامة العربية كانت ذات حضارة لها اعتبارها قبل الاسلام وبعد الاسلام ، وان هذه الحضارة قد ساهم فيها المسلمون والمسيحيون على حد سواء ، ولذا كان افتخارهم بالحضارة العربية الاسلامية التي اسهموا فيها عن طريق الابحاث وعقد حلقات الدروس الادبية والعلمية الصرف يساوي افتخار المسلمين بحضارة العرب وثقافتهم .

والذي زاد المسألة تعقيدا بالنسبة للعرب عموما هو ان المسيحيين باعتبار نحلتهم الدينية كانوا يعيشون على الهامش بالنسبة للمسلمين اذ لم تكن الدولة العثمانية تشركهم في الخدمات العسكرية ولا في الحروب التي كانت تشنها على الدول الاخرى ، واكثرها مسيحية ، فلذلك شعرت الجماعات المسيحية بنوع من الانزواء عاشت بمقتضاه بعيدة عن الدولة ، تراودها هي الاخرى فكرة تحقيق القومية التي راحت تسري في دماء ابنائها عن طريق التوعية الفكرية والثقافية التي كانت تعمل من اجلها عن قصد او بدون قصد المدارس والاندية والمطابع والجمعيات في كل مكان بلبنان وسوريا ومصر والعراق .

واما المسلمون فقد ربطوا مصيرهم ، كما سبقت الاشارة الى ذلك ، بالدولة العثمانية الاسلامية اذ اعتبروها امتدادا للسلطة الاسلامية الموروثة عن الدول الاسلامية السابقة ، واستمر هذا الاعتبار ردحا من الزمان حتى القرن التاسع عشر عندما جعلت طائفة من العرب تشك في شرعية الخلافة العثمانية لبعدها عن النسب القرشي الذي يعتقد بعضهم انه شرط من شروط الامامة ، خصوصا وان كثيرا من المدافعين عن الديانة الاسلامية التي كانت

تتمثل في كيان الدولة العثمانية صاروا ينظرون بعين من الاسف الشديد على ما آلت اليه تلك الدول من العناد والانحلال ، ومن ثم يلتمسون لانفسهم طريقا تمكنهم من المحافظة على كيانهم العربي الاسلامي ، مطالبين بطائفة من الاصلاحات التي لم ينتبه اليها الحاكمون الاتراك ، واضعين مقارنة بين ما يتمتع به الاتراك من حرية وحقوق وما كانت تعيش عليه الجاليات العربية في كل قطر من لبنان وسوريا والعراق ومصر من انحطاط وظلم وتعسف شديد ، وهكذا بعد ان كان المسلمون يشعرون بارتباط قوي يشدهم الى الدولة العثمانية اساسه لحمة الدين الاسلامي وبينما كان المسيحيون يعيشون بعيدين عن الدولة العثمانية يشعرون كأنهم اجانب في بلادهم فيحاولون الانسلاخ عن تلك الدولة الغاشمة ، اذ توحدت شيئا فشيئا الافكار التي كانت تروج في ادمغة هؤلاء واولئك من مسلمين ومسيحيين نظرا لما اصابهم جميعا من اهمال ، فراحوا يتوقون الى ذلك اليوم الذي سيحققون فيه انسلاخهم عن الدولة العثمانية مطالبين اياها باعطائهم بادىء ذي بدء حقوقهم في مختلفدوائر الدولة اسوة بالاتراك انفسهم، وهكذا اخذت الفكرة القومية شكلا واحدا لدى المسلمين والمسيحيين معا .

ومعلوم ان هذه الحركة لم تظهر فجأة ولكن مهد لها بحركة ثقافية واجتماعية عن طريق المدارس والاندية واصدار الصحف والمجلات وطبع الكتب والمخطوطات ، فكانت اول الامر حركة فكرية اعقبتها حركة اجتماعية ، فتبعتها حركة سياسية هي التي مهدت الطريق لانعتاق الاقطار العربية من ربقة الاحتلال العثماني ، ذلك ان النابهين من العرب ، مسلمين ومسيحيين ، كانوا على علم بالتطور السياسي والاجتماعي الذي كان يسري مفعوله في اوربا ، وكانوا متتبعين بالخصوص لنتائج الثورات الفرنسية من 1789 و1848 و1870 وما اعقبت تلك الثورات من نتائج في البلدان الاوربية الاخرى كايطاليا والمانيا ، ومن ثم راحوا يتحدثون عن الوطن والوطنية والقومية وحقوق الانسان ، فانتقلت فكرة الوطنية التي كانت تتمثل بادىء ذي بدء في الجالس على العرش العثماني الى مفهوم جغرافي يتمثل في القطر الذي كانت تسكنه كل جماعة عربية في الاقطار الخاضعة للحكم العثماني ، ومن ثم راحوا ينشرون ان الاخذ بمبادى الحرية واساليب الحكم الدستوري واجب على الحكومات والا ما تحقق ما تصبو اليه الشعوب من تقدم وازدهار ، كما ذهبوا مذهب الفرنسيين الاحرار ، فاعلنوا ان السيادة والسلطة للشعب وان وظيفة الحاكمين تتلخص في خدمة الامة .

وفعلت هذه الافكار مفعولها في النفوس ، فكان من نتيجتها ان عجلت بتوعية الشعوب العربية ولكنها كانت في نفس الوقت معولا تحطمت بمقتضاه الوحدة الاسلامية والروابط الدينية التي كانت تجمع بين العرب والاتراك ، فمهدت الطريق للاستعمار الذي وجدها فرصة سانحة مكنته من الانقضاض على كثير من الاقطار العربية واحتلالها ، وحاول الكتاب العرب ان ينسجوا على منوال الكتاب الثوريين الفرنسيين في القرن الثامن عشر امثال « جان جاك روسو » و « فولتير » و « مونتسكيو » في تخطيط المبادىء الفلسفية التي تمهد للانقلاب الاجتماعي والسياسي الذي ارتسم في اذهانهم وذلك بالنظر لما كتبوه من وصف اخاذ للحرية وتنديد بالظلم والاستبداد المكروه عقلا وطبعا ، معتمدين قول الافغاني المشهور: « ان الحرية تؤخذ ولا تعطى » . ومضى هؤلاء النابهون من العرب يكتبون وينشرون ويخطبون في كل مكان بأنه لابد من وضع دستور للشعب يشترك في وضعه هذا الاخير ، وهذه القوة النيابية لا يمكن ان تشمل معناها الحقيقي الا اذا كانت منبثقة عن الامة العربية نفسها ، شريطة ان تجري المداولات داخل مجلس الامة باللغة العربية لان وحدة الامة العربية هي بطبيعة الحال وحدة لغتها ، **ومعلوم ان ما دامت الامة لم تنضو تحت لغة واحدة ، هي لغتها الاصلية فان وحدتها السياسية والقومية ستظل وهما يعبث بمستقبلها العابثون .**

ولم تبق هذه الافكار طبعا في نطاقها النظري ، بل راحت تغزو الميدان السياسي مؤلبة الطبقات العربية على الدولة العثمانية ، محاولة تحويل نشاط الجمعيات الادبية والخيرية الى عمل سياسي مرموق ، وتفاقم امر هذه الجمعيات فتعددت وانبثت في كل جهد ، واجتهد اصحابهاق نشر الوعي الاجتماعي بين طبقة الشباب عن طريق ما استفادوه من تعاطيهم الثقافة الغربية ، وتضافرت جهود اعضائها ، مع مختلف الطوائف الدينية في عمل دائب رتيب مستمر يرمي الى تحقيق الاهداف المشتركة على اساس الوحدة الوطنية وحدها ، وجعل الرباط الذي يربط بين مختلف المواطنين هو التراث العربي وحده ، وتدعمت تلك الحركة المباركة بموقف الشعراء الذين راحوا يعززون الافكار القومية ويثيرونها في النفوس

بقصائدهم الشعرية ، متغنين بمجد العروبة ، منددين بسياسة الاتراك ، داعين الى تحطيم الاغلال :

آن الاوان لان اخاطر بالدم
من لم يخاطر بالدما لم يسلم
اجزيرة العرب التي احببتها
كم من أكف قد رمتك باسهم

* * *

واخذت احيانا العواطف القومية طريق التفشي فى الاتراك بمناسبة انكساراتهم فى الحروب وهكذا لم يستطع رزق الله حسون كتمان فرحه عندما انتصر الروس على الاتراك فى حرب 1877 :

كم حروب للروس دارت على الترك
رحاها فغادرتها طحينا
هكذا هكذا تدرو على البا
غي الليالي ويهلك المجرمونا

وما فتىء ان انتظم بعض اعضاء هذه الجمعيات فى جمعية سرية خطيرة ، انتقلت الحركة من حيزها الادنى الاجتماعي الى الحيز السياسي القومي بوضوح، ذلك ان اعضاء هذه الجمعيات لم يكتفوا بعد بالمناقشة فى اجتماعات سرية بل انتقلوا الى نشر الوعي القومي بين طبقات الشعب بواسطة منشورات لا توقيع عليها ، يحضون فيها العرب على الانتفاض والثورة ضد الدولة العثمانية ، معتبرين الاتراك بأنهم مغتصبون للخلافة ، متهمين اياهم بالعمل على القضاء على اللغة العربية ، داعين الى الاستقلال الذاتي للعرب ، كانت هذه المناشير التي يلصقونها ليلا على جدران المنازل والدكاكين قرب المصالح الحكومية تحمل فى الواقع الخطوط الرئيسية للبرنامج الذي كانت تدعو اليه تلك العصبة وكان ذلك البرنامج يلخص في ما يلي :

— منح سوريا الاستقلال الذاتي متحدة مع جبل لبنان .
— الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية فى البلاد.
— رفع الرقابة والقيود الاخرى التي تحد من حرية التعبير ونشر التعليم .
— استخدام القوات المجندة من اهل البلاد فى المهام العسكرية داخل البلاد فقط .

كانت هذه المناشير مدعاة لغضب السلطات العثمانية طبعا ، فراحت تضيق الخناق على المواطنين العرب ، ولكنها مع ذلك لم تنجح فى اخماد صوت التمرد والعصيان لان صوت الحرية اذا جلجل لا يستطيع سلطان ان يرده أو يخمده ولو ضربت دونه الاسوار والحواجز .

والواقع ان نشاط الجمعية السرية تضاعف بانضمام المدرسين اليها ، وناهيك بتأثير هؤلاء على الاوساط الاجتماعية بما لهم من نفوذ على طلبتهم وتلامذتهم الذين متى ما اثروا فيهم اصبحوا لهم خير دعاة لافكارهم الاجتماعية والسياسية فى كل الاوساط .

ولم تزدد وطأة المناشير التي كانت تذيعها الجمعية السرية الا شدة بسبب ما كانت تدعو اليه المسلمين والمسيحيين الى الاتحاد وشد ازرهم فيما بينهم حتى يتخلصوا من الحاكمين الغاشمين .

الا ان اثر تلك الجمعية لم يتعد فى الواقع عددا قليلا ممن كانوا يعملون تحت لوائها ، وذلك معناه ان مبادئها لم تتجاوب مع بقية الشعب اذ لم يكن قد تكون فى ذلك الوقت ما يسمى بالقضية العربية ، ولم تكن الفكرة القومية قد تسربت الى نفوس الجماهير الشعبية ، ومن ثم يمكن القول بأن الحركة القومية لم تكن ناضجة كل النضج ، لذلك تمكنت السلطات التركية من تشتيت افراد الجمعية ، فهرب البعض الى اقطار عربية اخرى كمصر وبقي البعض الآخر فى منازلهم قابعين .

ومع ذلك فقد كان للجمعية السرية فضل كبير اذ رسمت الطريق الذي يجب ان يسلكه من الآن الوعي القومي فى البلاد العربية الواقعة تحت تصرف الحكم العثماني ، خصوصا وقد استمر عملها على يد بعض النابهين كعبد الرحمان الكواكبي الذي راح يدعو الناس الى الاتحاد ، اتحاد قومي عربي ، لا ديني ولا مذهبي ، داعيا الى تناسي الاحقاد والتخلص من البدع والاجتماع على كلمة سواء هي فلتحيى الامة العربية ، وليحيى الوطن العربي !

ولما رحل الكواكبي الى مصر اطلق العنان لقلمه ينتقد السياسة العثمانية وتواكل العرب ، ويقترح فى الاخير برنامجا يرمي الى اقامة خلافة اسلامية مركزها مكة ، تلتف حولها الاقاليم الاسلامية فى نظام يشبه نظام الولايات المتحدة الامريكية مع مراعاة خصائص كل منطقة ، هو برنامج يؤدي لا محالة الى انسلاخ المسلمين عن الحكومة التركية .

وبما ان الكواكبي يمثل طليعة امته فى الذود عن حياض العرب والمسلمين ، فقد وجب أن نذكر

نبذة من حياته المليئة بالاعمال التي خلدت ذكره فى الصالحات ، وستتحقق من مركز هذا القائد الاكبر عندما تعلم أن نسبه يعود الى علي بن ابي طالب أمير المؤمنين كرم الله وجهه ، وقد ولد عبد الرحمان الكواكبي سنة 1848 اي فى مطلع الثورة الفرنسية الثانية ، وبرزت ثقافته الواسعة فى صحيفة «الفرات» التي كان يديرها بحكمة وقوة ، ثم فى صحيفة « الاعتدال » و « الشهباء » حيث كان ينتقد الادارة التركية انتقادا لاذعا ، ولما يئس من اصلاح الادارة اضطر الى قبول العمل فيها ، فتمت عدة اصلاحات على يده لفائدة الامة ، وهي اصلاحات تبرهن عن تبصره وارادته ونزاهته ، فقد كان له الفضل فى زيادة اجور العمال والموظفين دفعا لذرائع الرشوة والاختلاس ، وضبط اعمال الغرفة التجارية على نمط الغرف التجارية فى البلاد المتحضرة ، ووضع مشروعا لانارة المدينة وجلب الماء الى حلب ، وكان فى اعماله كلها صريحا نزيها ، فجر على نفسه بذلك عداوة المسؤولين المفطورين على الوشاية والفساد ، فاخذوا يكيدون له حتى اضطر الى مغادرة البلاد الى مصر حيث انكب على تأليف كتابه « طبائع الاستبداد » و «ام القرى » وقد جاء الكتاب الاول والثاني عامرين بالافكار والتجارب التي اكتسبها عن خبرة واسعة ومعرفة تامة باحوال الناس فى مختلف الاقطار الخاضعة للسلطنة العثمانية وهي افكار مهدت كثيرا للانتفاضة الكبرى التي مكنت الشعوب العربية فى اوائل القرن العشرين من تحقيق ما كانت تصبو اليه من نبذ الاستبداد وادراك الاستقلال الذاتي عن طريق وعي قومي تسرب حتى الى الجنود العرب الذين كانوا يخدمون فى قطع الجيش العثماني .

* * *

يستخلص من كل ما تقدم ان العلاقات التي كانت تربط بين العرب والاتراك كانت رابطة اسلامية فى اول عهودها بحيث ظلت الجماعات العربية الواقعة تحت تصرف الاتراك متمسكة بهذه الرابطة شعورا منها بانها وسيلة لاستمرار المملكة الاسلامية ، وحصن يتذرع به من خطر الاستعمار الاوربي المتربص بالعرب جميعا ، لا فرق بين مسلمين ومسيحيين ، ما دامت غايته الشنيعة الاستيلاء على اراضيهم وتسخيرهم لمصالحه الشخصية بدعوى العمل على تحضيرهم والمحافظة على مستقبل الجاليات فيهم .

ويظهر تمسك العرب بتلك الرابطة التي كانت تجمعهم بالاتراك فى الموقف العدائي الذي ظهرت به طائفة من الشعراء المرموقين ، للدفاع عن الرابطة الاسلامية كاحمد شوقي يؤازره فى ذلك جماعة من الوطنيين المخلصين كمصطفى كامل وشكيب ارسلان، وكانوا جميعهم يؤيدون الرابطة الاسلامية والدولة العثمانية ويعملون على محاربة الافكار المنبثقة من الجمعية السرية — مما يدل دلالة قاطعة على الخطر الذي كان يتجسم فيها على سلامة الدولة العثمانية — شعورا منهم بانهم بدفاعهم عن الرابطة الاسلامية يعملون على ابعاد شبح الاستعمار الاوربي من الاقطار العربية وفى ذلك خدمة لمصلحة العرب ومصلحة الباب العالي فى آن واحد .

الرباط — محمد محي الدين المشرفي

بروتوكولات حكماء صهيون

تأليف الأستاذ عجاج نويهض
تقديم وتعليق الأستاذ محمد بن عبد الله

تفضـل فضيلة الاستاذ الكبيـر عجاج نويهض الفلسطيني صاحب مجلة « العرب » ، فأهدانا فى هذا الشهر كتابه الشامل المؤلف من اربعة اجـزاء عـن « بروتوكولات حكماء صهيون »

والاستاذ عجاج نويهض غني عن التعريف فهـو من سراة الامة العربية ومجاهديها وفضلائها ، عـرف بانه صاحب قلم سيال ، وفكر ثاقب ، وذو حمـاس وحمية للذياد عن القضايا العربية والاسلامية والمصير المشتـرك .

وليس فى المغرب متتبع للحركات التحرريـة فى العالم العربي ، والشرق الاسلامي من يجهل شخصية الاستاذ عجاج نويهض .

فقـد احبه رجال الفكر والادب فى المغرب منذ العقد الثالث لهذا القرن ، واتخذوا من مجلته «العرب» ايام المحنة الاستعمارية جليسا وانيسا ، كمـا كـانت نشرة تقرأ على العموم لبعث الحماس الوطني ، واثارة الحمية فى النفوس ، وكان الوطنيون المغاربة يتلهفـون بشوق غالب على قراءة هذه المجلة المجاهدة التي كانت تصل الى المغرب قليلة ، وبطرق جد سرية ، ولكنهـا تقرأ فى الجماعات والابهاء الادبية بصورة واسعة .

والاستاذ عجاج نويهض من خريجي معهد الحقوق الفلسطيني ، عمل فى المجلس الاعلى الشرعي الاسلامي فى فلسطين عام 1923 ـ 1932 ومارس المحاماة منـذ عام 1935 ، وشغل مدير القسم العربي فى دار الاذاعة الفلسطينية (1940 ـ 1944) وكفاه خدمة للعروبـة والاسلام انه ترجم « حاضر العالم الاسلامي » الـذي الفه العلامة الحصيف البليغ المستر لوثروب ستودارد الامريكي ، وهو الكتاب الذي امسى معلمـة عربيـة اسلامية بالتعليقات المستفيضة لكاتب الشرق امير البيان الامير شكيب ارسلان .

والكتاب الذي بين ايدينا يعتبر اخطر كتاب ظهر فى العالم ، ولا يستطيع ان يقدره حـق قدره الا من يدرس البروتوكولات كلمة كلمة فى اناة وتبصر .

و « بروتوكولات حكماء صهيون » صدره الاستاذ الكبير بمقدمة ضافية ، او « كتاب مفتوح » الى القاريء العربي ، ومما جاء فى هذه المقدمة :

هذا الكتاب ، ليس للمتعة ولا للترويح عن النفس، ولا للتسلية . ليس هو رواية ، ولا قصة ، ولا مجموعة حكايات ، ليست ابحاثه من باب الفلسفة ، او اي علم من العلوم او الفنون او السياسة التي فى الاسواق .

اذا ، ما هو هذا الكتـاب ؟

يقول المؤلف :

« هو من الفه الى يائه يتعلق بموضوع واحـد : كشف الستار عن « اليهودية العالمية » التي من ادواتها، الصهيونية والماسونية ، وكشف الستار عن قاعـدة « التجمع والاقتحام » الدموية المطبقة فى فلسطيـن منـذ 1920 .

وكشف الستار عن خفايا اليهودية العالمية التي « اسرائيل » قفازها الخارجي او محطتها الاولى .

اليهودية العالمية « قـوة » ابليسية على شكل منظمة سرية ، لكنها ظاهرة خفية معا . شبهت نفسها بالافعى ، ولهذه الافعى مخطط مؤلف من (9) مراحل نحـو الغايـة .

بـدا هذا المخطط من وقت سبي بابل منـذ 24 ـ 25 قرنا ، وموعد انتهاء المرحلة الاخيرة آخر القرن العشرين هـذا ، وفي فلسطيـن . هكـذا يزعمـون .... »

« القـوة » فى اليهودية العالمية قدرتهـا على ان تخفي اجهزتها عن العالم ، وتنشر الضباب من حولها نشرا متواليا لكي يبقى العالم فى حيرة من امر الحقيقة اليهوديـة .

امهـر اللصوص فى العالم ، ولو اتقنوا الحيلة الفنية فى السرقة ، وثقب الجدران ، واذابة الاقفـال الحديدية ، والتسلق البهلواني فى الظلماء ، وسرعـة الانتقال ، وايقاع المفاجآت المذهلة بفوهـة المسدس ، واستعمال المخدرات ، وتغطية الاكف بالقفاز والادهان ، هؤلاء ، ولو لاذوا بالفرار ، لا بد ان يتركوا اثرا يكـون مفتاح اكتشاف الجريمة ، وهذا يكاد يكون قاعدة تصح على الفرد والجماعة ، وما شذ قليل ، والقليل النـادر لا حكـم لـه .

لذلك اعتقد ، يقول المؤلف ، وانا ابسط ما فـي صدري فى هذا « الكتاب المفتوح » ان اطلاع العربـي والعربية على هذا الكتاب ، الخالي من المتعة ، وسبب الترفيه ، بل المشحون بما يبعث على الالـم ، شـيء ضروري يدخل فى باب المساهمة لبناء مصيرنا العربي ، لو كانت هناك حفنة من الالم فى كل صفحة ، فلا باس . العبـرة ان يضاعف الايمـان ...

وقد قسم الاستاذ عجاج نويهض كتابه اربعـة اجـزاء :

فالجـزء الاول يبحث فى ماهية البروتوكولات ، وكيفية ظهورها فى اوربا آخر القرن الماضي ، ومن هو الذي وقعت عليه الترجيحات انـه واضع دستورها ، واسباب غفلة العرب عنها ، وتطبيقها فى فلسطين واوربا

والجزء الثاني يتضمن ترجمة الاستاذ عجـاج نويهض للبروتوكولات ترجمة نقيـة واضحة توافـق نصوص الطبعة الانجليزية الحادية والثمانين الصادرة عـام 1958 للسيد فيكتور مارسدن المبنية على اول طبعة بالروسية ظهرت عام 1905 للعلامة سرجي نيلوس

وياتي الجزء الثالث فى المجلد الثاني ، وهو يبحث فى ينابيع العقائد التلمودية ، كما اتى المؤلف على صفوة القصة المتعلقة بالعرق اليهودي ، والقبالا ، والنحمانية ، والميمونية ، وكتاب « الاشراق » وبالعبرية « الزوهر » وهو دستور القبالا ، والبلعشامية والكهال .

كما يجلو فى هذا الجزء قصة هامان الأجاجـي العماليقي فى بلاط الملك الفارسي مع استير ومردخاي .

والجزء الاخير والرابـع ويبحث فى التـوراة ، واسفار العهد القديم ، كما يبحث فى منشا السنهدرين قبيل العهد المسيحي ، ومنشا التلمـود بينابيعـه الخيالية ، وانه شريعة موسى الشفوية غير المدونـة ، كما يقدم نماذج من أقواله فى المسيحية ، وفي ان البشر ما عدا اليهود بـذر حيواني ....

والحقيقة ان الكتاب ـ كما يقول المؤلف ـ قـد تؤلم مطالعته ، لكنـه الكتاب الذي يطوف بضميـرك العربي لتساهم فى الذياد عن مصيرك ....

ان تخريب المحاولـة الصهيونيـة على رؤوس المحاولين ، يتطلب روحا عربية واحـدة ، فى البيت ، والمنزل ، والمدرسة ، والمعهد ، والصحيفة ، والنادي ، والمحاضرة ، والمنبـر ، والنشيد ، والشعر ، والمقالة ، والخطبة ، والموسم ، والعيـد ، والقرية ، والبلـدة ، والعاصمة ، والمعسكر ، وميدان المعركـة ، فضلا عن الاذاعـة والتلفاز ....

كما يعتبر الكتاب وثيقة تاريخية تفضح المخطط الصهيوني الذي انكشف امره ، واسقط فى يده عـام 1897 فى مدينة بازل السويـرية . فى ذلك المؤتمـر الذي ضم اعتى الابالـة ، ورؤوس الشياطين ليتبارى افراده وطوائفه منفردين او متعاونين فى ابتكار اخطـر خطة لتدمير العالم واستعباده ، حيث درس المؤتمرون خطة اجرامية لتمكين اليهود من السيطرة على العالم .

وقـد جرى الاصطلاح منذ 1897 على تسمية هذا المخطط ببروتوكولات حكماء صهيون .

والمخطط التدميري اليهودي هذا كناية عـن 24 فصلا جمعت عصارة التفكير اليهودي الشيطانـي في الوصول الى التسلط على العالم بحكومة يهودية ، بعـد تخريب « روسيا المسيحية الارثوذكسية » واوروبا الكاثوليكية و « البابوية » ثم الاسلام .

والحكومة اليهودية العالمية هي تنفيذ المطمع الذي انما وجد اليهود (حسب اعتقادهم) ليحققوه بعد ان تحولت مصائب السبي البابلي الى بركات ساقت « الشعب المختار » الى ان يصل الى هذا المصير ...

والحكومة اليهودية العالمية ، هي اوتوقراطية هي نسل داود ، واما الامم والشعوب على اختلاف الاديان والعروق واللغات والاقاليم والالوان فهي حيوانات عجماوات .

كيف اكتشفت بروتكولات حكماء صهيون ؟

منذ 25 قرنا ، بدا المخطط التدميري اليهودي، وانكشف امره ، كما يقول السيد ج.ك سكوت حينما كان اقطاب الصهيونية العالمية يعقدون مؤتمرهم الخاص فى بازل عام 1897 ، ذهمهم نفر من الشرطة القيصرية الروسية القادمين من موسكو بنار اضرمت فى البناء حيث يعقد المؤتمر برئاسة زعيمهم « هرتزل » فحاقت الهلكة بالصهيونيين المؤتمرين ، فلاذوا بالفرار، فاقتحم رجال الشرطة القاعة ، وجمعوا ما على مناضدها من اوراق ومضابط ، ومذكرات ، وانتقلوا بها الى موسكو ، وهنا نخلت ومحصت ، واذ مما فيها ما اطلق عليه « بروتكولات حكماء صهيون »

وقد ذكر الاستاذ عجاج نويهض فى كتابه المفتوح الى القارىء العربي قوله :

انا نعتقد ان هذا الكتاب هو اول محاولة عربية من هذا النوع لكشف الغطاء عما وراء الستار اليهودي، فان البرتوكولات نفسها ، وهي جديدة عليك فى هذا العرض ستمسي فى نظرك مرحلة حصاد ونتائج ، عندما تطلع على الينابيع التي استقت منها القواعد والمبادىء والروح .... »

ولعل الاستاذ الفاضل المؤلف فاته ان الاستاذ الاديب محمدخليفةالتونسي ـ حسبما نعلم ـ قام باول ترجمة عربية امينة كاملة منقولة منالطبعة الانجليزية الخامسة منذ عدة عقود من السنين ، ونقلت من الفرنسية الى الروسية والانجليزية فغيرها من اللغات ، وثارت حولها زوابع من النقد والمناقشة ترددت بين الاستانة ، وجنيف وبروكسيل وباريس ولندن ، وافريقية الجنوبية وشغلت الصحافة والقضاء ، ورجال المتاحف والمراجع ، وصدرت من جرائها احكام شتى تنفي تارة وتثبت تارة اخرى .

والاستاذ محمد خليفة التونسي كان قد صدر لهذه البروتوكولات بمقدمة تحليلية بلغت مائة صفحة ، قال فيها عن سبب وضعه :

« ان زعماء الصهيونيين عقدوا ثلاثة وعشرين مؤتمرا منذ 1897 ، وكان آخرها المؤتمر الذي انعقد فى القدس لاول مرة فى 14 غشت سنة 1951 ، ليبحث فى الظاهر مسالة الهجرة الى اسرائيل ومسالة حدودها .

وكان الغرض من هذه المؤتمرات جميعا دراسة الخطط التي تؤدي الى تاسيس مملكة صهيون العالمية.

وكان اول مؤتمراتهم فى مدينة بازل بسويسرة سنة 1897 برئاسة زعيمهم هرتزل ، وقد اجتمع فيه نحو ثلاثمائة من اعتى حكماء صهيون كانوا يمثلون خمسين جمعية يهودية ، وقرروا فيه خطتهم السرية لاستعباد العالم تحت تاج ملك من نسل داود ، وكانت قراراتهم سرية محاطة باشد انواع الكتمان والتحفظ الا عن اصحابها بين الناس ، واما غيرهم فمحجوبون عنها ، ولو كانوا من اكابر زعماء اليهود ، فضلا عن فضح اسرارها سرا ، وان كان فيما ظهر منها ما يكشف بقوة ووضوح عما لا يزال خفيا

وقد نشر الاستاذ محمد خليفة بعض فصول الكتاب بمجلة الرسالة المصرية تحت اعداد 856 – 858 889 – 862 عام 1949 – 1950

وقد عرف فى حينه انه ما من احد ترجم هذا الكتاب او عمل على اذاعته بأي وسيلة الا انتهت حياته بالاغتيال او بالموت الطبيعي ظاهرا ، وافزعت هذه هذه الشائعة بعض الناس ، ومنعتهم ترجمته ،

وما تعرض انسان لترجمة الكتاب ونشره الا تعرض للحملات العنيفة من للصهيونيين وصنائعهم..

فالبروتوكولات هي المخطط الذي وضعه رجال المال والاقتصاد اليهود لتخريب المسيحية والبابوية ، ثم الاسلام ، وبعد هذا التخريب الذي قرر اصحاب البروتوكولات ، ان يتم فى خلال مائة سنة ، اي قبل 1997 ، يعتقد اليهود الصهيونيون انهم سيستولون على العالم ، ويقيمون ملكا يهوديا داوديا له من الحيلة والوسيلة ما يمكنهم وهم اقلية ضئيلة ، من حكم العالم بأسره حكما أوتوقراطيا ، ولا يجاور الدين اليهودي التلمودي دين آخر ، لا مسيحية ولا اسلام .

ثم تنسف الحضارة القائمة نسفا تاما .. !!

معنى بروتوكولات حكماء صهيون ؟

هذه الكلمات الثلاث تؤلف في مجموع الفاظها شيئا اجنبي الزي والصفة، حروفها من حروف الهجاء، ولكن مؤداها غامض .

ا : فالمعنى المقصود من « **بروتوكولات** » اي الصيغة التي دونت بها مقررات العصابة المعروفة « بالحكماء »

ب : ولفظة **حكماء** تعني عصابة كبراء اليهود السرية ، التي تجدد كيانها الخفي في اثناء الثورة الفرنسية ، ووالت سيرها في منتصف القرن الماضي في ايام كارل ماركس ، ونشطت نشاطا خاصا في روسيا القيصرية في الربع الاخير من القرن الماضي ، ثم عقدت مؤتمرها الصهيوني العالمي الاول في العقد الاخير من القرن المذكور برئاسة الدكتور تيودر هرتزل في بازل 1897 .

ج : **صهيون** ، صارت كلمة صهيون مع الزمن معناها الحكومة اليهودية الدينية .

و « عشاق صهيون » او « احباء صهيون » منظمة علنية خفية رهيبة . انشئت في روسيا بعد منتصف القرن الماضي ، وانتشرت في داخل روسيا ، وقامت بالحركات السرية لهدم القيصرية ، كما انتشرت لها فروع عديدة في الخارج .

ثم يسير الكاتب الاستاذ عجاج نويهض في الجزء الاول متحدثا عن النكبات الاربع ، واسباب غفلة العرب عن البرتوكولات ، وعن وضع البلاد العربية عام 1919، وعصبة الامم ، ثم يعقد في هذا الجزء فصلا هاما عن المتهم بوضع البرتوكولات ، ثم اعتراف ويزمن بان البروتوكولات هي : « المؤامرة اليهودية الشريرة للتسلط على العالم » ، وفي الفصل 23 تحدث المؤلف عن حياد الصهيونية المصطنع للمساومة بين بريطانيا والمانيا وتركيا 1914 ، وعن الصهيونيين ودعاة الطورانية من الترك ، واستفحال النفوذ اليهودي في الدولة العثمانية من 1908 ـ 1914 ، وعن مخطط التوسع الصهيوني من المتوسط الى الفرات ، وموقف فرنسا من الوطن القومي ، كما تحدث عن وضع اوسيشكين في نوفمبر 1913 ـ وقد حلت النكبات بتركيا ، وصار حديث اقتسامها نهائيا شاغلا بال الدولة الكبرى الطامعة ـ كتابا صغيرا سماه البروغرام الصهيوني السياسي الذي لم يقصد توزيعه على العالم، بل على حملة عقيدة التجمع والاقتحام .

وقد استطاعت جريدة فلسطين العربية في يافا اذ ذاك ان تحصل على نسخة من هذا الكتاب ، ونقلته الى العربية ، ونشرته تباعا ، وهو مؤلف من فصول موجزة ، كما نشرته مجلة المنار الاسلامي في القاهرة في عددها المؤرخ في غشت 1914

وقد علق اذ ذاك على هذه الفصول العلامة الكبير المرحوم السيد رشيد رضا في مجلة المنار ، والحرب العامة كانت قد فتقت رياحها في اوربا بقوله :

« لو لم ينشر من هذا الكتاب الصهيوني الا هذه الفصول لكفت من يعتبر من العرب الفلسطينيين وغيرهم ، عبرة وبيانا ، لمقاصد هؤلاء الصهيونيين ، وليعلم من لم يكن يعلم دين هذه الامة وتاريخها ، ان الصهيونيين اذا تم لهم ما يريدون ، فانهم لا يبقون في ارض الميعاد التي يؤسسون ملكهم الجديد فيها مسلما ولا نصرانيا ، وليست ارض الميعاد او فلسطين عندهم ما نسميه نحن الآن فلسطين فقط ، بل هي في عرفهم وتحديد كتبهم الدينية تمتد الى سوريا حتى النهر الكبير ، اي نهر الفرات ، فهذه بلاد لا يجوز عندهم ان يقيم فيها احد غير الاسرائليين »

ثم انتهى الى قوله : « فماذا عسى ان يفعل العرب اصحاب فلسطين من اسباب المحافظة على وطنهم واملاكهم فيه على تفرقهم ، وجهل السواد الاعظم منهم بكنه الخطر ، وكنه قوة مزاحمتهم ؟ »

ثم مضى صاحب المنار في زيادة التنبيه بعبارات مؤلمة موقظة

والحقيقة ان ما قاله السيد رضا من هذا الكلام سنة 1914 هو بعينه الكلام الذي يصح ان يوجه الى الامة العربية في آسيا وافريقيا اليوم ....

وفي الفصل الثالث والثلاثين يذكر الاستاذ عجاج نويهض ثلاث مقابلات خطيرة تكشف لنا عن كثير مما تبطن الصهيونية وتخفيه ، تلك المقابلات التي تمت بين البابوية ورؤوس الصهيونية

لقد تمت تلك المقابلات المهمة بين :

قداسة البابا بيوس العاشر ، قابله هرتزل 1903

قداسة البابا بنديكت الخامس عشر ، قابله سوكولوف 1917

قداسة البابا بنديكت الخامس عشر ، قابله ويزمن 1921

وبهذه المقابلات يتم الجزء الاول من المجلد الاول ويليه الجزء الثاني الذي يشتمل على ترجمة نصوص

البروتوكولات ترجمة توافق نصوص الطبعة الانجليزية الحادية والثانية الصادرة عام 1958 للسيد فيكتور مارســون

وهو يشتمل على اربع وعشرين بروتوكولا حيث استغرق من 179 الى 292 صفحة ، وقــد اختتمـه بتعليق عن الجرائم الخبيسة فى مخطط البروتوكولات وعن رؤوس الحراب فى المخطط

ولا شك ان اطـلاع القــاريء العربـي على البروتوكولات يثير فى نفسه الرغبة لكـي يعلم ما هـي ينابيعهــا ومصادرها ؟ ؟

فهل تكون تلك الينابيع والمصادر من عمل قـرن او قرنين من الزمان ؟

وقياما بالكشف عن ينابيع « البروتوكولات » كان لابد من تناول « التوراة » و « اسفار العهد القديم » من النواحي التي تتكشف بها الحقائق ، ثم البحث في العمالقة او العرب الاولين فى سيناء وجنوبي فلسطين، وما كان هناك من اول الحروب واشدها وابقاها علـى الزمن بين عرب العمالقة وبين اسرائيل الى السبـي البابلي ، وقصة استير ومردخاي فى البلاط الفارسي، وبطولة الامير العربي العماليقي « هامان » الملقب فـي التوراة « بالاجاجي » وبطولة الامير العربي « جشم » فى السامرة عند عودة اليهود من السبي بمساعدة ملك فارس لاعادة بناء الهيكل الذي دمره نبوخذ ناصر ملك الكلدان ، تدرك كيف نشأت فى ايام السبي ، الجرائـم الاولى التي جعلت بفعل الزمن تطرد وتنمـو وتتحول الى ما سمي « التلمــود » وهذا بالتالي كـان ملتقى الينابيع ومنه استمدت البروتوكولات روحها وهدفها وغـايتهــا .

وهذه الابحاث التاريخية التي هي موضوع الجزء الثالث ليست هامشية او جانبية ، وانما هي ضرورية للكشف عن الحقائق اليهودية ، وبغير وسيلة ، لاسبيل الى ذلك .

والجزء الرابع يبحث فى منشا السهندرين قبـل العهد المسيحي ، ويكشف الغطاء عن « القبالة » الرهيبة، و « والقهال » و « النحمانية » و « الميمونية » وكتاب « الاشواق » ، او « الزوهر » ويقدم تراجم يوســف منده ، ومونتفيوري ، ودزرائيلي ، ويختم بوصف موجز لحركة نقل « الكتاب المقدس » الى العربية فى بيروت فى القرن الماضـي .

وقد استوقفني اثناء قراءتي للكتاب البروتوكول الثاني(1) الذي يصور اليهود وهم وراء كل مذهب وفلسفة ونظرية وكل نشاط انساني ، كما يصور نظرتهم الحاقدة الى الاجناس الاخرى حيث قال :

« اما الغوييم (2) فقد بعدت الشقة بينهم وبين ان يكونوا قادرين على الاهتداء الى الحكمــة بالملاحظـة التاريخية غير المتحيزة ، اذ جل ما تبلغ استنارتهـم بـه هو طرق النظرية على نمط رتيب ، دون ان يتعمقوا فى تسليط العين الفاحصة النافذة على مدار النتائـج للحوادث . فليس بنا من حاجة ، والحالة هذه ، ان نقيم لهم اي وزن — فلندعهم فى حالهم وما يشتهون ويحبون، حتى تاتي ساعة اقتناصهم ، او يظلــوا يعيشون على الآمال تنتقل بهم من مشروع خيالــى الى آخـر ، ويتباهون بذكريات ما سبق لهم التمتع به من لبانات، ولـيبق هذا كلــه دورهم الرئيسي الذي يمثلــون . وقد نجحنا فى اقناعهم بان مالديهم من معلومات نظرية، انما هو من حر محصول العلم . وما دام غرضنا هــو هذا ، فدابنا بواسطة صحفنا ان نرسخ فيهم الاعتقاد بصحة ما يحملون من نظريات وآراء ، اما اهل الفكـر منهم ، فينتفخون ازدهاء بما لهم من حظ المعرفــة ، وتراهم ، وهم غفل من الاستعانة بوضع التجربة علـى محك المنطق، يندفعون الى وضع نظرياتهم موضع العمل، **ولكن ما هو فى نظرهم علم ومعرفة ، ان هو فى الواقـع الا ما عني عملاؤنا الاختصاصيون بتصنيفه لهم بحذق ومهارة ، وهيء هذا كله لتتنور اذهانهم به على الاتجاه الذي نريد ...**

اياكم ان تعتقدوا ، ولو للحظــة واحــدة ، ان ما اقول لكم هو من الكلام القليل الجدوى : فما عليكـم الا ان تتفكروا فى ما صنعنا لانجاح النظريات الدروينية والماركسية ، والنتشية . اما نحن اليهود ، فما علينـا الا ان نرى بوضوح ما كان لتوجيهاتنا من اثـر خطيـر فى التلبيس على افهام الغوييم فى هذا المجال »

ولا بد لنا فى منهجنا هذا ، ان ناخذ بعين الاعتبار، ما عند الامم من طراز فكر ، وخلق ، ونزعة ، واتجاه .

وانما نفعل هذا لكي نحترز بــه من الانزلاق فى معالجتنا السياسية والتوجيه الاداري ، فلا نعثـر ولا نكبــو . وان انتصار منهجنا ، الموزعة اجــزاؤه على مختلف المناحي توزيعا يصيب كل ناحية بما يواتيهـا منه ، حسب امزجة الشعوب التي تقع فى طريقنا — ان

1) المجلــد الثانــي صفحــة 190 .
الغوييم : عند اليهود ، وثنيون وكفرة وانجـاس وبهائم ، ويطلق عندهم على غير اليهودي .

انتصارنا المتوخى ، قد يفشل ويحبط دون ادراك الغاية ، اذا كان تطبيقنا للمنهج ليس مبنيا على الاحكام المستمدة من صفوة دروسنا الماضية ، نطبقها على ضوء الحاضر .

ولا يخفى ان في ايدي دول اليوم آلة عظيمة تستخدم في خلق الحركات الفكرية ، والتيارات الذهنية ، الا وهي الصحف ، والمتعين عمله على الصحف التي في قبضتنا ، أن تداب تصيح مطالبة بالحاجات التي يفترض انها ضرورية وحيوية للشعب ، وان تبسط شكاوي الشعب ، وان تثير النقمة وتخلق اسبابها .
اذ في هذه الصحف يتجسد انصار حرية الفكر والراي، غير ان دولة الغوييم لم تعرف بعد كيف تستغل هذه الآلة ، فاستولينا عليها نحن ، وبواسطة الصحف نلنا القوة التي تحرك وتؤثر ، وبقينا وراء الستار ، فمرحى للصحف ، وكفنا مليء بالذهب ، مع العلم ان هذا الذهب قد جمعناه مقابل بحار من الدماء والعرق المتصبب . نعم ، قد حصدنا ما زرعنا ، ولا عبرة ان جلت وعظمت التضحيات من شعبنا . فكل ضحية منا انها لتضاهي عند الله الفا من ضحايا الغوييم » اه

ولقد تفطن الاستاذ الكبير عباس محمود العقاد لهذا الاسلوب الجهنمي الخطير الذي يعتمل في ذهنية وعقول الناس في مقالة نشرها في جريدة الاساس عام 1950 تحت عنوان: «الوجودية : الجانب المريض منها»

قال ما نصه :

« ولن تفهم المدارس الحديثة في اروبة ما لم تفهم هذه الحقيقة التي لا شك فيها ، وهي ان اصبعا من الاصابع اليهودية كامنة وراء كل دعوة تستخف بالقيم الاخلاقية ، وترمي الى هدم القواعد التي يقوم عليها مجتمع الانسان في جميع الازمان .

فاليهودي كارل ماركس وراء الشيوعية التي تهدم قواعد الاخلاق . واليهودي دوركهايم وراء علم الاجتماع الذي يلحق نظام الاسرة بالاوضاع المصطنعة، ويحاول ان يبطل آثارها في تطور الفضائل والآداب . واليهودي او نصف اليهودي جان بول سارتر وراء **الوجودية التي نشات معززة لكرامة الفرد فجنح بها الى حيوانية تصيب الفرد والجماعة بآفات القنوط والانحلال .**

من الخير ان تدرس المذاهب الفكرية ، بل الازياء الفكرية كلما شاع منها في اروبة مذهب جديد ، ولكن من الشر ان تدرس بعناوينها وظواهرها دون ما وراءها من عوامل المصادفة العارضة ، والتدبير المقصود ...

وبعد ، فقد اعطينا للقاريء الكريم نظرة مختصرة عن كتاب « بروتوكولات حكماء صهيون » واستعرضنا في ايجاز اهم ما جاء في فصوله من حقائق مذهلة ، وصور مفزعة ، مارين على بقية الابواب والفصول مرور المومنين على الصراط راجين من القاريء الكريم ان لاتفوته قراءة هذا الكتاب الرائع الذي يصور المخططات الصهيونية الرهيبة ضد الشعوب العربية والاسلامية والعالم الانساني .

وان الامة العربية ، والاقطار الاسلامية ، منصورة باذن الله ، مهما تجبر الطغاة ، وطال الليل ، وتعقد السير ...

وشكرا مرة اخرى للاستاذ الكبير السيد عجاج نويهض على تفضله ولطفه .

الرباط : محمد بنعبد الله

شعراء اليمن المعاصرون

تأليف الأستاذ هلال ناجي
تعليق : ابو سعد

اصدرت مؤسسة المعارف (بيروت) كتابا جليلا للاستاذ الاديب هلال ناجي يعتبر فى صدر الدراسات التي تلقي ضوءا على قسم مجهول من انتاج ابناء العروبة سواء منهم الذين يعيشون فى اليمن نفسها او فى جنوبها المحتل . والاستاذ ناجي من مواليد بغداد ومن الادباء اللامعين الذين قرانا لهم كثيرا من الآثار النفيسة ، اذكر منها على الخصوص دواوينه الشعرية: الفجر آت يا عراق ! . ومرفأ الذكريات . وساق على الدانوب . واغنية حزن الى كركوك ... هذا الى كتبه: « بغير قلوب ، و7 قصص عن اليهود ، وشعراء معاصرون ، وصفحات من حياة الرصافي وادبه ، والقومية والاشتراكية فى شعر الرصافي ، والزهاوي وديوانه المفقود ، واثر النكبة فى الشعر الفلسطيني، ومحنة الفكر فى العراق ، وحتى لا ننسى ، وديوان الناصري ... واخيرا : شعراء اليمن المعاصرون .. وهو الى جانب نشاطه الادبي يتبوأ منصبا ديلوماسيا مرموقا لدى الجمهورية التونسية ، والحديث الى الاستاذ ناجي لا يقل متعة عن القراءة له فهو يفيض حيوية ونشاطا وقد تفضل فاهدانا كتابه هذا فأعاد الينا ذكريات عن مجامع الادباء واحاديثهم سواء بالقاهرة او بيروت او الكويت او بغداد .

ومن الآن نقول ان الباعثين اللذين دفعا بالاستاذ ناجي هما اللذان يشعرهما كل اديب عربي يتوق لربط الصلة بينه وبين اخوانه فى باقي اجزاء البلاد العربية ، فنحن نتعرف نقط على الكثير من ادبائنا فى مختلف الجهات بيد أن تعرفنا على ادباء اليمن السعيد قليل، ونحن نقرا لكثير من ادبائنا من خلال ما ينشرون لكن ذكر ادباء اليمن يختفي عنا بحكم بعد الدار . وقد ضاعف من رغبتنا بالخصوص للتطلع على انتاجهم ما كنا ننعم به من متعة روحية ونحن نجتمع بشعراء اليمن شيوخهم وشبابهم ... لقد كان شعرهم يتسم بالاصالة من جهة وبالقوة من جهة اخرى ولم يقتصر ناجي على تقديمه للشعر اليمني بمعناه المتعارف ولكنه تجاوزه كذلك لاعطاء نظرة عن التطور الفني فى الشعر اليمني ...

وقد كان للاستاذ ناجي الفضل فى تقديم هذه الباقة الفواحة من الشعر اليمني المعاصر ، فترجم للشاعر زيد الموشكي ، والشاعر الزبيري ، وابراهيم الحضراني، والشاعر البردوني ، واحمد الشامي ، ومحمد عبده غانم ، ومحمد علي لقمان ، ومحمد سعيد جراده ، وادريس حنبلة ، وعلي عبد العزيز نصر ، ولطفي جعفر احسان ، وعبد الله هادي سبيت ، وابى بكر العلوي، وعلي احمد با كثير ، وصلاح الحامد ، ومحمد الشاطري وحسين محمد البار .. ثم عبده عثمان وسعيد الشيباني ومحمد انعم غالب واحمد الجابري وعبد الكريم العنسي ومحمد الشرقي ...

واذا كان اختيار طائفة من الشعر وانتقاؤه مما يصعب فى بعض الاحيان نظرا لاختلاف الاذواق والامزجة فان الاديب ناجي عرف كيف يختار ما ينبغي ان يقرا ، ويكفي دليلا على اللبيب اختياره كما يقول الشعر العربي ...

ومع هذا فقد وجدتني في حيرة وانا اريد ان اختار من هذا المقتطف بعض ما يروق ، ولهذا فحسبي ان احيل على الكتاب مكتفيا ببعض ما يسمح المقام باستعراضه . ساختار من شعر ابراهيم الحضراني هذه الابيات التي قالها وهو يجول في شوارع رومة ، وكان يحس آنذاك بالجدران والسابلة تنظر اليه مستغربة زيه اليمني التقليدي وسماته وملامحه منكرة وجود هذا الجسم النحيف القادم من ارض سبا المتحدر من اقيال حمير المنسل من ارض بلقيس ، والقصيدة بعنوان : (يمني في روما)

تساءل الجدران بي
وانا بساحتها اطوف
من ذلك الوجه الغريب
وذلك الشبح النحيف
يمشي فتمشي حول هيـ
ـكله من الماضي طيوف
الذعر في نظراته
والرعب والقلق المخيف
يا مهبط الرومان هذا
ما جنى الزمن العجيف
من عهد حمير لا يزال
يروعنا او عهد (خوفو)
والجرح جرح المستبد
له باكبادنا نزيف
امشي بروما حائر الخـ
ـطوات لي سمع كفيف!
يتحسس الكلمات كالاعمـ
ـى بمهمهة يطوف
الدار تذكرني ولكني
ساكنها شغوف
اشدو فينكر جوها
شدوي وتلفظه السقوف

ومن خفيف شعر ادريس بن حنبلة : (الانجلو اراب) قوله وهو يعبر عن بعض مشاعره ، ومثل هذا الشعر ـ يقول الاستاذ هلال ـ لا مجال له في دنيا الفصحى طبعا . قال من قصيدة عنوانها صرخة شعبية :

ايها الناس افيقوا
انما الدنيا Finish (نهاية)
كيف ترضون بعيش
همنا رز و Fish (سمك)
قاتل الله سجونا
تجعل اللون Redish ! (احمر)

ومن قصيدة دالية طويلة حيى الشاعر علي احمد با كثير الاستاذ علال الفاسي وهو في منفاه بالكابون:

اذا خاننا وغد من الغرب سافل
تحيفنا نغل من الشرق حاقد
فآه كلانا شاعر غير انني
مقيم على ضيم وانت مجاهد!

والاستاذ ناجي لم يكتف في دراسته لانتاج الشعراء اليمنيين بمجرد العرض والتحليل ولكنه كان يتجاوزه احيانا للمقارنة بينه وبين الشعراء الاخرين ، ومن هذا القبيل ما اورده عن ذكر الشاعر صالح الحامد ، فلقد قارن بين قصيدته « على الشاطىء » :

والريح تملأ في الفضا
الرحب اشرعة السحاب

وبين قصيدة لامية للشاعر المغربي محمد الحلوي:

اين من عيني هاتيك اللئالي
خاطرات في برود من دلال ؟

وقد قال الاستاذ هلال معلقا : لو ان صالح الحامد وازن قصيدته بقصيدة الحلوي لبدا تهافتها وضعفها

الحقيقة ان نشر هذا الكتاب سيساعد الادباء العرب على التعرف على اخوانهم في اليمن بالذات ، وان ما نعرفه في الاستاذ ناجي من نشاط وحيوية ليحملنا على الاعتقاد بان ما سيتحف به الخزانة العربية من دراسات لابد ان يكون في المستوى الذي ينشده الادباء في الشرق والغرب .

الرباط : ابو سعد

إلى أين يسير الشعر ؟

للأستاذ نجيب مبارك

لعل الاصوات لم ترتفع قط بمثل هذه الحمية ، متسائلة عن مصير الشعر والشعراء ، فلقد عد الشعر فى مختلف الحقب التاريخية ، اسمى انواع التعبير ، وحظي الشعراء لذلك بالمكانة العالية فى مجتمعاتهم ، لا لشيء الا لانهم شعراء ، والامر اوضح فى شعرنا العربي ، منه فى شعر آخر . بيد ان موجة عالمية ، تجتاح الفكر البشري ، تصده عن الاهتمام بالشعر ، قراءة او معاناة ، فكثير ممن كانوا يزاولون الشعر ، انحرفوا عنه الى الوان اخرى من فنون الادب ، اما الجمهور فقد انفصم ما بينه وبين الشعر ، ولم يبق في عداد عشاقه الا قلة ممن تربطهم به روابط المهنة ، كاساتذة الادب ورجال النقد . والاصوات المرتفعة لاعادة مكانة الشعر فى المجتمع ، تحاول العثور على وسيلة ، تجدد بها الصلة ، بين الشعر والجمهور ، لا جمهور المدارس من اساتذة وطلاب ، بل عامة الجمهور ممن يستطيعون المطالعة ، لكنهم لاسباب مختلفة لا يطالعون الشعر ، او تخلوا عن مطالعته بعد الاقبال عليها لفترة من حياتهم . ومن هنا اتجهت جهود بعض من رجال الادب ، الى تاليف كتب المنتخبات الشعرية ، وقد ظهر اخيرا كتاب من هذا النوع عن « الشعر الفرنسي من بودلير الى ايامنا » « La poésie française de Beaudelaire à nos jours » الذي تساءل فرنسوا نورسييه F. Nourissier بصدده ، فى مقال له فى صحيفة الاخبار الادبية « Les nouvelles littéraires » بتاريخ 19 يناير 1967 قائلا : ما ذا يمكن ان تؤدي كتب المنتخبات من دور ؟

والواقع ان مما يصرف عن وضع كتب المنتخبات ، وحتى عن مطالعتها ، جملة نقائص مبدئية : فهذه الكتب كثيرا ما تكون موجهة الى نظم تعليمية خاصة ، فترتبط اشد الارتباط بمناهج المدارس ، التي وضعت لها ، وتتخذ طريقها الى تحقيق اهداف معينة . وبالاضافة الى ذلك فكتاب المنتخبات ، لا محيد له عن الاقتصار ، وهذا يذهب ببقية سمعة ، هذا الضرب من التاليف .

وكتاب « الشعر الفرنسي من بودلير . . . » الفه الاستاذ « بيير بوسدفر » Pierre Boisdeffre وهو فى الحقيقة حلقة من مشروع كبير يحمل عنوان الادب الفرنسي ، صدر منه كتاب عن النثر الفرنسي لنفس المؤلف سنة 1965 .

واول ما يلاحظ على هذه المنتخبات ، كما يرى نورسييه ، انها تتجه الى الكبار ، وهذا يعني تحررها من كثير من القيود التي قد تعوقها ، فيما لو اتجهت الى الطلاب خاصة ، الا ان سمة الانتخاب لا يمكن تجنبها . فالمؤلف بالضرورة ، سيقف عند شعراء لا يابه لهم القارىء كثيرا ، ويحتفل لغير من يحتفل لهم القارىء . وقد يختار المؤلف ما يوافق عليه جل القراء ، لكن اختياراته لن تحوز الرضى جميعها ، وسيظل الكثير منها موضع المناقشة . هنا يقول فرنسوا نورسييه : « بطبيعة الحال ، مما لا يبعث على الارتياح ان رفردي Reverdy واودبيرتي Audeberti لا يستثيرون بوسدفر لكن ، آخر الامر هذا من شانه وحده ، والقراء راشدون ، فهم بانفسهم سيصححون ذلك ، فليس

لفظ المنتخبات العالق بهذا الكتب ، بكاف لصرفنا عنها ، لا سيما اذا خلعت عنها الطابع المدرسي ، واتجهت الى الكبار ، وما هو افضل ، اذا ما كانت لها غاية مرسومة توجه اختيارها ، ومن هذه الزاوية تناول André Alter اندري التر ، نفس الموضوع ، في مقال له بعنوان « سيستمر الشعر حيا » وذلك بمناسبة حديثه عن كتاب بوسدفر المذكور . وقد صدر المقال في صحيفة تيموانياج كريتيان Témoignage chrétien بنفس تاريخ مقال نوريسييه .

ويلاحظ اندري التر ، ان الاصوات التي ترتفع منادية باعادة ربط الصلة بين الجمهور والشعراء ، يزداد عددها يوما عن يوم . والجمهور المقصود بالذات ، هو خاصة ، تلك الطبقة التي طالما ادعت ، او قيل عنها انها لا تفهم الشعر . وبالرغم مما قد يكون لهذا الادعاء من صحة ، فان عوامل اخرى تلعب دورها في نفور تلك الطبقة من مطالعة الشعر . فقد طغت الاهتمامات التقنية في عصر الذرة والصواريخ ، على جانب كبير من الاهتمامات الفنية ، ومن ضمنها الشعر ، ولا شك ان القصة والمسرحية تظلان الى حد بعيد ، بمنجاة من نفور الجمهور عنها ، باعتبار انها تعالج مشاكل المجتمع ، وقد تساعد على ايجاد الحل لكثير منها ، وهنا نلمس اول عامل جدي ، يمكن ان يؤدي الى النفور من الشعر ، وهو ان الشعر يمتاز بانه تعبير ذاتي ، يعكس رؤية فردية للموضوعات التي يتناولها ، والرؤية الفردية ، لا تحظى بالمكانة الاولى في حضارة القرن العشرين ، ان كانت لا تزال لها مكانة ما . فالنظم الديمقراطية تعتمد الكثرة ، اي الرؤية الجماعية محل الرؤية الفردية ، وليس من الصعب ان ينزلق الناس من المواقف السياسية والاقتصادية ، الى المواقف الفكرية فيبدو الشعر ، ضربا من التعبير متطفلا ، على المجتمعات الحديثة ، والتي تعمل ما امكن للتفتح على الخارج واقامة التكتلات مع المجتمعات الاخرى ؛ بينما يستمر الشاعر ، مع خواطره الخاصة ، يعالجها بالوصف والتحليل . ومن هنا ايضا ينجم عامل ثان ، يسهم في بسط الجفوة بين الجمهور والشعر ، وهو الصعوبة التي يلاقيها القارىء في الشعر ، ما دام الشعر يعبر عن حالات فريدة يختص بها الشاعر ، ولا سبيل الى ان يحياها الجمهور معه ، مهما تبلغ درجة التعاطف بينهما ، وهنا يلح سؤال ، وهو : الا يسير الشعر نحو الانقراض؟ ان هذا السؤال هو بالضبط الذي وضعه كثير من الشعراء انفسهم ، في كثير من المناسبات ، وهو السؤال الذي يطرحه منذ الصفحات الاولى ، الاستاذ جورج جان Georges Jean في كتابه « الشعر » Poésie وهو ما حاول التر ان يجيب عنه بصدد الحديث عن منتخبات بوسدفر من الشعر الفرنسي .

والفكرة الاولى التي يجب ان نتشبع بها ـ حسب التر ـ هي ان الشعر خير عام او خير مشترك Un bien commun ومعنى هذا انه يتجاوز المظهر الفردي ، الذي يقف عنده الكثيرون ، كلما دار حديثهم عن الشعر . والشعر الصعب ذاته يتجه الى الجميع ، الى الجمهور « وصعوبته ناجمة عن كونه ينبجس عن الاغوار الخفية ، لكل القلوب ، ويسعى الى ان يبين عن حقيقة عامة ، تنتمي الى الجميع ، بقدر ما هي فريدة ، وخاصة بكل واحد منا » وهذا وان كان صحيحا بالنسبة لسائر فنون الادب ، فهو اظهر ما يكون في الشعر ، فقصارى ما يمكن للشاعر ، في مجال اقترابه من الجماعة اي سيره نحو ان يصبح مفهوما من الاخرين ، هو ان يحاول عزل تجربته الخاصة عن ذاته ، ويجعلها كموضوع في الخارج . ولكن هذه العملية الصعبة ، تتم بمجهود ذاتي ، هو الذي يحدد مبداها ومنتهاها ؛ وهكذا ، وبالرغم عن كل ما يمكن ان يقال ، فالتجربة الشعرية ، لن تضرب كثيرا في الموضوعية ، وكل ما يمكن ان تصله ، هو ضرب من الذاتية الموضوعية .

هنا نصل الى القطب الثاني في الموضوع ، والذي يجب الا يمكن سالبا ، وهو الجمهور ، ففي محاولة « التفاهم » هذه ، والتي اتينا على وصف جهد الشاعر فيها ، يجب ان يبذل جهد مقابل من طرف الجمهور . ومهما تكن نوعية هذا الجهد ، فلا بد له من بنية شعرية يتقوم بها ، فالجمهور الذي يعشق الشعر ، لا بد ان يكون شاعرا ، بوجه من الوجوه ، ولا بد ان تتوفر له الثقافة الشعرية اللازمة . وهنا نلمس عن قرب دور هذه الكتب الجامعة او كتب المنتخبات الشعرية . وهذا بالضبط ما يسعى اليه بوسدفر ، في كتابه عن « الشعر الفرنسي من فودلير الى ايامنا » الذي يهدف الى الكشف عن جمال هذا الشعر ، بحسن الاختيار ، والاشارات الواضحة ؛ وما هو اهم من ذلك فان المؤلف ، صدر في كتابه عن فكرة رئيسية ، وهي ان الكثيرين ـ وخاصة ممن لا يفهمون الشعر ـ يعتقدون ان الشعر في ايامنا هذه ، عديم الصلة بالشعر القديم ، ومن ثم فلا حاجة بهم ، الى قراءة شعراء الماضي . يقول المؤلف : « ان الشعر الفرنسي ، بالنسبة للكثيرين ، يبدو انفصالا عن الماضي . وهذا الكتاب ـ بالعكس من ذلك ـ يعمل على ابراز صفة الاتصال في هذا الشعر » الا ان اثبات الاتصال لا يعني نفي الجدة عن الشعر

الحديث ، والا لاصبح هذا ترديدا وتقليدا لا طعم لـه ؛ وانما يعني ان هذه الجدة ، تنتسب الى القديـم ، اي انها نابعة عن « الاتصـال » . وهـذا معقـول ، ما دام الاتصـال « هو اتصـال الحياة ، اتصـال القلوب النابضة » نعم ان الطريق يبدو طويلا ، بالنظر الى المسافة الزمنية التي تفصل بين فيكتور هيجو مثلا وسـان جون بيرس Saint John Perse وقد تبدو اطول بالنسبة لغيرهما، ولكن الطريق رغما عن ذلك ــ كما يقول الترـ يبقى هو هو على الدوام ،ثمة انحرافات ربما بدت مفاجئة ، الا انها ليست غريبة عن الماضي كلية ، بل لها فيه جذور واصول . وهذا يعني ان رجوعنا الى شعراء الماضي ، ليس ضياعا في المجهول ، بل اننا عاثرون على ما يمت بالصلة الى السير الحالي ، لحياتنا الشعرية ، كما اننا في هذا الماضي ، من وجه اخر ، نعثر على كل الارهاصات التي نجمت عنها خيوط حياتنا المجتمعية الراهنة .

فلنكتف بهذا القدر ، مما يكتـب حول الشعـر الفرنسي ، هذه الايام ، والجهود التي تبذل قصد ربط الصلة من جديد بينـه وبين الجمهـور . ولننظـر الى الموضوع من الزاوية التي تهمنا ، وهي زاويـة الشعـر العربي . لسنا بدعا في الامم ، فموجة الانصـراف عـن الشعر تجتاحنا ايضـا ، والاسباب ترتبط اشد الارتباط، بالاسباب التي جعلت جمهور فرنسـا ايضا ، ينصـرف عنه ، مهما تتخذ هذه الاسباب من الوان محلية . والامر عندنا اخطر ، ذلك ان قارىء الشعر ، لا يمكن ان يتوفر على ذوق سليم ، ويصبح بالتالي قارئا ، الا اذا توفر على ثقافة شعرية . ولكن هذه الثقافـة حتما لن تاتي مـن الشعر الحديث وحده ، لانه ما نريد تذوقه اولا ، ولانه ليس كل شيء ثانيا . فهل نعود الى القديم ؟ لقد قر في اذهان الكثير ، ان شعرنا الحديث ، هو انفصـال عـن شعر الماضي ، او يجب ان يكون انفصالا عنه . وواضح ان فكرة الانفصال تتفافل عن معنى التطور ، وتؤدي الى اقامة هوة ، بين الماضي والحاضر . ومما قوى هـذه النزعة عند البعض ، ما يوجد في الشعر العربـي ، من ضروب المديح والحماسة والغـزل ... حتى ليذهـب البعض ، ممن يفترض فيهم ، ان يكونـوا على اوثـق صلة ، بشعرنا قديمـه وحديثـه ، الى الدعـوة الـى « قبره » ، ولن نناقش هذا ، فليس لاصحابه مبـادىء تصمد للنقاش ، واما قصدنا هنا فهـو التلميح لفكـرة الانفصال ، التي يراها البعض ما بين قديمنا وحديثنا ؛ والتي من نتائجها ان كثيرين لا يفهمون شعر اليوم ، ولا يرغبون في فهمه ، لا شك ان ما اثنينا على ذكـره ، من جهود لخدمة الشعر الفرنسي ، يلهمنا ان نقـول اننـا احوج ما نكون ، الى كتب من هذا النوع ، كتب جامعـة تنتخب اجود النماذج ، لتسلكها في فكرة عامة ، تؤدي آخر الامر ، الى احـلال الاتصـال او اظهـاره ، والى استجلاب جمهور الثقافة العربيـة ، الى الشعـر من جديد . واضح اننا لا نعني كتب منتخبات مدرسيـة ، بل نريدها للكبار ، متحررة من قيود النظم التعليمية ، لاناس متحررين منها ايضا . ولا اذكر محاولة من هـذا النوع في الشعر العربي ، سوى محاولة طه حسين في « حديث الاربعاء » الذي كان الدافع اليه ، دفع الجفوة المعقودة بين شباب ذلك الوقت والشعر القديم ، وهي : محاولة لم يتح لصاحبها ان ينميها او يزيدها عمقا ، بل لم يتح له ان يعيد النظر فيها عند اصدارها في كتاب ، كما قال في مقدمته : اما المحاولة التي نريد اليوم ،فيجب ان تتعمق معطيات الحاضر بشكل ادق ، حتى تكـون استجابتها على نحو اوفى واتم .

الرباط : ربيـع مبارك



قصة العدد

زينب اللبيبة

للأستاذ محمد بن أحمد اشماعو

الخريف الذي يعبس ويزمجر على السواحل والسهول وفوق رؤوس الجبال يذهب الى الصحراء ليخصها بالجو الصافي ، والنسيم العليل ، والالوان الزاهية عند مشرق الشمس وغروبها .. خصوصا عند غروبها ، حين ترى رؤوس النخيل الخضر وهي تتوسد السحاب البرتقالي المتناثر عبر الفضاء الفسيح ، تهدهدها نسمات رقيقة منعشة ، وتناغيها طيور عذبة التغريد ، لتدعها بعد ذلك تنعم بالراحة والبرودة وضياء البدر الوضاح .. لقد عاث القاطفون عبثا شديدا فى عناقيد البلح فى هذا اليوم ، وما ذلك الا ليهيئوا لمادبة زواج (الامير) ما يلزم من اطباق البلح المختلف فى احجامه والوانه المتشابه فى طعمه .

وهكذا حفلت المادبة بعدة اطباق من البلح الطري والتمر الجاف المتعدد الانواع ؛ وباباريق الحليب : لحليب النياق ، وحليب العنز الشهي ؛ وبقصاع اللحم المشوي الذي تنبعث منه روائح الشحم الناضج تمازجها نكهة (الكامون) العاطر ؛ المثير لشهية الآكلين ..

لم يكن الحاضرون يعرفون شيئا من التصنع والتانق عند الاكل ؛ ولذلك اقبلوا على الخيرات المبسوطة يلتهمونها التهاما حتى شبعوا وارتووا ، ثم انتحوا على الجوانب يسوون ملابسهم الزرقاء ويثبتون الالثمة على وجوههم ، والذين برزت بعض الاحجبة من اطواقهم اعادوها الى ما تحت الثياب بعناية واجلال ، اذ ليست هذه الاحجبة الا آيات شريفة من القرآن الكريم .

ولم يركن المدعوون الى السكوت ؛ فسرعان ما ثار بينهم حديث طويل مشج حول المعارك التي ثارت مع (البرغواطيين) الخبثاء ، والتي ذهبت بارواح عدد من الزعماء الفضلاء المرابطين ، ومن جملتها روح الداعية الجليل الخالد (عبد الله بن ياسين) ، وهنا حدث القوم باحاطة وحماس سيد وجيه من وجهاء الصنهاجيين المجتمعين فى هذا اليوم السعيد ، وراح الآخرون ينصتون باهتمام لتفاصيل المعارك السابقة لكانهم لم يحضروها بانفسهم ، ولم يستنشقوا غبارها، ولم يضمدوا جروحها ولم يواروا فى التراب شهداءها ، ولكن المحدث كان بارعا وعالما بدقائق الامور ، وخبيرا كل الخبرة بالقبائل واصولها ومواقفها من الاسلام منذ الزمن البعيد ، ومواقفها اليوم من العملية الكبرى التي تقوم بها جحافل المرابطين المظفرة ..

قال احد الحاضرين من المجندين الفتيان :

— حدثنا يا عم عن البرغواطيين الملاعين .

— بما اننا فى وليمة اميرنا يوسف حفظه الله ، وبما انها ليلة السرور فدعني اقص عليك ما يضحكك من اخبارهم ..

ثنى الفتى ركبته اليسرى وزحزح لثامه قليلا واقبل ينصت .

— والله ما سمعنا عن اشياخنا باقوام انحرفوا عن الاسلام مثل هؤلاء القوم ، فلو كانوا اهل ذمة لكان امرنا معهم حسب الشريعة المطهرة ولكن اية ملة ملتهم ؟

قال الفتى السائل والغضب يطل من عينيه :

— هل يصلون ويصومون ويزكون ... ؟

— نعم يصلون ويصومون ويزكون ... مهلا ولا تتعجل .. انها ليست كلها من المفروضات فى شيء فالصلوات ليست هي الصلوات الخمس المفروضة ، والصوم حرام عليهم فى رمضان واجب فى رجب ، والزكوات ليست هي الزكوات الشرعية ، ولا وضوء

ولا طهارة ، وانما يتبركون بلحس بصاق رؤسائهم .. فما احل الله حرموه وما حرمه حللوه ..

انتفض الفتى الغيور ووضع يده على قبضة سيفه كانه يواجه واحدا منهم وقال :

— كيف ؟ هذا ضلال مبين !

ابتسم الشيخ واستمر يحكي، ويده تشير الى الفتى المواجه له ، ان تمهل ان للامر يوما آت لا ريب فيه :

— انهم يحرمون على اتباعهم اكل رؤوس الحيوانات كلها ، واكل الديوك ، كما يحرمون الزواج من بنات العم بينما يحللون الزواج من النساء بدون تحديد ويحللون في نفس الوقت الطلاق عدة مرات .. يا لهم من مخرفين جاحدين معاندين .. انما الامل معلق على عريس ليلتنا وامير امتنا (يوسف) ، هو امامنا ونحن من ورائه لمحق القوم الضالين ..

هز الامير راسه (مؤكدااستعداده) بصوت رقيق، ذي تاثير خاص على نفوس هؤلاء الحاضرين ، اصحاب القامات الفارهة والسحنات السمراء الداكنة ، الذين تغلى صدورهم بالحماس الديني القوي ، وتفيض قلوبهم بالايمان الخالص ، بينما اذرعهم المتينة تتململ من تحت الثياب الزرق واكفهم العريضة الشديدة تتحسس قبضات السيوف من شدة الشوق الى استعمالها ..

واستغرق الحديث كثيرا من التفاصيل عن معركة (تامسنا) وعدد الحاضرون اسماء الشهداء الكرام الذين سالت دماؤهم فداء للاسلام الذي تغمر مبادؤه النفوس الى درجة ترضى معها الارواح بالضياء .. ان الاراء تكاد تجتمع على دهاء البرغواطيين في العراك واساليب خداعهم في الحروب مما يتطلب من المجاهدين ثباتا عظيما ومجابهة قوية وضربات لا رحمة فيها . وشرع المحاربون المحنكون يصرون اخواتهم بنقط الضعف في مواقف هؤلاء الاعداء الاشداء .. وبهذا لم يعد الجمع حفلا لزفاف (الامير يوسف بن تاشفين) وانما انقلب الى ما يشبه المجلس الحربي !

وعلى العكس من ذلك كانت مادبة النساء صاخبة ، تجملها بحسنها ووقارها عروسة الليلة (زينب النفزاوية) ، انها جالسة في ابهة وروعة ، مستسلمة للماشطة التي كانت تخضب كفيها وقدميها بالحناء الى حدود الكوعين والكعبين ، بعدما انهت ترجيل شعرها وتضميخه بالطيب ، واثبت في ذؤابتي ضفيرتها حبات العقيق الاحمر واللبان الاصفر وبعض القطع الفضية والذهبية،ثمسرحتها الى اسفل. ومالت الماشطة بعد هذا كله على الشفة السفلى فصبغتها بسواد (الحرقوس) المعطر ، وعلى العينين فكحلتها . ان الزينة في الواقع ترجع بالمراة في بعض الاحيان الى رونق الشباب البهي . اما اللباس فظاهره كان عبارة عن اردية بيضاء وزرقاء طويلة تتدلى حواشيها حتى الارض ، اكمامها متسعة جدا، تبقى — من بعد ثنيها — الذراعان المكتنزان البضان لافتين للانظار .

في هذا الحين بالذات كانت العازفات يحملن (الدبكات) المستديرة ، ذات الغشاء الجلدي المشدود الاطراف وينقرن عليها نقرا رتيبا متشابها منسجما يبدا خافتا ثم يتقوى ثم يعود بنفس التدرج خافتا . وبرزت واحدة من بينهم تمشي على ركبتيها لتؤدي رقصة ذات اشارات واهتزازات يتحرك معها الراس والجذع بابداع ، بينما الاكف تساهم بضرباتها تحمسا واعجابا .

وقامت العروس بوقار ، وبدلال ايضا ، وغادرت المجلس صحبة احدى ترييناتها من الحاضرات، وتتبعتها الاعين بشغف وفضول ، الا ان ذلك لم يؤثر في حيوية العازفات والراقصات والضاربات بالكف . لقد شجعتهن على المضي في مرحهن وسرورهن بابتسامة اخاذة واشارة من راسها في منتهى الرقة واللطافة . لكن الاستغراق في الطرب شابه اضطراب وهمهمات ونظرات محدقة ، ذلك ان العروس عادت فخرجت على الجماعة بلباس مدهش ، رائع ، جميل، آخذ بالالباب .. ان هؤلاء الصحراويات لم يرين قط مثل هذا اللباس الحريري الفخم ، الذي يشتمل على قطع احسن تفصيلها وترصيعها بالجواهر واليواقيت. انه ثوب تحتفظ به الاميرة منذ مدة . منذ ان اهدي اليها من سيدة وجيهة رجعت منسفرتها الى الاندلس..

نعم من الاندلس بلاد الرخاء والسعادة والرفاهية والحضارة الباذخة . لقد حكت لها تلك المراة الكثير العجيب من اخبار الاندلس ، اخبار قصورها ورياضها وقبابها وحماماتها وسيداتها ومغنياتها واطعمتها وحلوياتها وعطورها وزينتها وموسيقاها وانشاداتها.. لكم تاقت نفس زينب الى زيارة هذه الديار ، ولكنها لم تسعد من احلامها تلك بسوى هذا الثوب الفاخر ، الذي طالما تلمسته وحدقت فيه وحلمت باليوم

السعيد الذي تلبسه فيه ، وها هو اليوم السعيد تعيشه وهي تزف الى زوجها الجديد (يوسف) العظيم، الذي تريد ان تفنى في خدمته وحبه والوفاء له الى النهاية ، ان شهرته طبقت الانحاء وملك من الناس اعجابهم ، فجدير بها أن تفخر بهذا الاختيار الخاص الذي وقع عليها دون غيرها من النساء ، ان امام هذا الرجل مستقبل كبير ، فعليها ان تكون له فيه ولية ونصيرة بعد الله !

ولم تطل الجلسة بالعروس بعد بروزها بين الحاضرات انيقة جذابة ، ذلك ان المدعوين اخذوا ينصرفون بعد ان جددوا التهاني للامير المحبوب يوسف .. هناك قامت الماشطة واخذت بيد زينب الى مخدع زوجها ، ولم يكن ذلك المخدع فخما ولا بالغ الاناقة ، وانما كان بسيطا مريحا يطيب الركون اليه ، ولكنه انقلب بدخول العروس الحسناء البهية ، العذبة الملامح ، الرصينة الحركة الى مكان يعلو مقاما على قصور الدنيا كلها .

واستقبل الامير الشاب عروسه في لباسه الصحراوي البسيط الذي يكسو منه جسما مثالا في الرشاقة وتماسك العضلات ، وتطل من لثامه عينان براقتان عنبريتا السواد ،، كان يحدق بهما من تحت الحاجبين المعقوفين في وجه زوجته الحسناء الرصينة التي تبدي بياضها ناصعا بجانب سمرته القوية .. لكن شعلة ادبها الجم وهي تتلقاه بصواع من اللبن وقصعة من التمر الممتاز ، فما كان منه الا ان شرب من تلك وتناول من هذه ، وكان لبقا فحرص على ان تشرب من نفس القصعة وان تاخذ التمرة من يده مباشرة ، وبذلك أمكن للاصابع ان تتلامس لاول مرة!

وجلسا على سدة مفروشة بلجد ضان ثمين نظيف، واتخذا وسادتين لينتين وراء ظهريهما وكانت جلستاهما متحاذيتين جدا ، وعندئذ ظهر الابتهاج والاغتباط واضحا في عيني الامير . وخاطبها قائلا :

— ما زلت احمد الله ، فليس لكرمه من حد ولا نهاية . فمنذ شهور قليلة لم اكن سوى جندي من جنود الاسلام المتفانين في جماعة الشهيد سيدي عبد الله .. واليوم — بفضل الله — اصبحت اميرا للمسلمين !

— ونعم الامير ، الكل مجمع على حبك وتاييدك ..

— لا تقولي هذا ، فالعبء ثقيل والتبعة صعبة ، ولكن ذلك يهون بوجودك بجانبي !

— انا أمة لك ، انا امة لك باخلاص ، وحين اقول اني امة لك اعني اني امة لدين الاسلام الحنيف الذي ظهر لي فضله وامتيازه على غيره ..

— ان الحظ كان معي سعيدا بينما اخطا ابن عمي المسكين ابا بكر الذي ارتأى ان يفرط فيك .

— نعم فرط في لاكون من نصيبك هكذا ، انني سعيدة حيث اصبحت لك ، اما هو فليعنه الله على مهمته في الصحراء .

— زينب اسمعي .. اني كنت افكر في مشاكل الامة بعقل واحد ولكن الله الكريم منحني عقلا نيرا آخر هو عقلك سينير الطريق أمامي في المستقبل ان شاء الله فالحمد لله .. زينب هل لك في صواع من الحليب ؟

— لا بأس . اسقني حتى يروى عطشي بارك الله فيك .

* * *

انتهى الامير يوسف بن تاشفين من الاجتماع الكبير مع رؤساء الاجناد من قادة المرابطين ، وانصت منهم الى المعلومات التي وافوه بها عن حالة جنودهم ، ومقادير الارزاق بين ايديهم ، ومبلغ مضاء الاسلحة عندهم . كما درس خطط حملة مقبلة بحضور بعض الرحالة العارفين بدروب الصحراء ومسالك الاطلس الوعرة ومنازل القرى الموجودة على الطريق، مع اثبات اسماء الزعماء والرؤساء وذوي الميول المشكوك فيها .. كانت صبيحة حافلة شعر بعدها الامير بضرورة الانقلاب الى زينب لتناول طعام الغذاء

كان اليوم شديد الحرارة ، لهذا كانت السيدة زينب متخففة من اعباء الملابس الفضفاضة ، ولا بأس بذلك في حضرة زوجها ، وراحت تذهب وتجيء جادة في اعداد مائدة الامير . تمرا وحليبا ولحما مشويا وبما ان جوع الامير كان شديدا فقد كان في حاجة الى ما يرطب لسانه الجاف من شدة الحر وكثرة الحديث لهذا اقبل على صواع اللبن الخاثر بنهم وشربه حتى آخره شاكرا حامدا .

واثناء تناول الطعام اعاد على سمعها جميع ما راج في الحديث من اخبار واسرار بين القادة وذوي الراي ، انما وجد عندها هي ايضا اخبارا واسرارا وجوانب من خفايا الامور التي لا تهم الرجال عادة ولكنها تلفت نظر المراة وتلهمها آراء نافعة على كل حال ، لقد تقلبت زينب في بيوتات الحكم والزعامة وخالطت اقواما متطرفين في معاداة الاسلام واقواما متفانون في حبه والاستعداد لتفديته بالمال والجاه

والولد .. ولهذا اقترحت ان تبدأ الحملة انطلاقا من مراكش ، مراكش التي تقترح أن تصبح دار الملك ، ومن مراكش الى أحوازها ثم تنزل الجموع الكثيرة على مراكز برغواطة لتدكها دكا بدون تردد ورحمة ، ان البرغواطيين — وهي اعرف بهم — شديدو المراس وعلى درجة كبيرة من الضراوة والعنف ، لهذا يجب الاستعداد القوي الكامل لمواجهتهم ... هناك ايضا جموع المغراويين واليفرانيين المتناثرة في الانحاء وهؤلاء لهم سند من خارج المغرب ..

— انما يا يوسف ...

— نعم زينب !

— احضك على الاهتمام بالعدوة الاخرى .

— ماذا ؟

— العدوة الاخرى ، اعني ديار الاندلس ، ان هذه البلاد السعيدة اهلها اشقياء ! فرغم ان من بينهم علماء وحكماء وادباء وفضلاء وصناعا ماهرين فانهم لا يكادون يستقرون على حال ، كل يوم فتن وكل سنة حروب ، والخزي انهم يستعينون على بعضهم بخصومهم الالداء ، تصور المسلم وهو يستعين على اخيه المسلم بالخصم المسيحي العنيد ! بالله كيف يصل الضلال بقوم الى هذا الحد ؟

— ليست عندي تفاصيل عن الحالة هناك .

— لقد عرفت من الاندلسيين اناسا يبكون بدموع حارة على حالة بلادهم ، وهم حتى اليوم ينتظرون ان يأتي الفرج من هذه الديار .

— وهل انتهينا من مشاكلنا حتى نهتم ونتفرغ لمشاكلهم ؟

— اني متيقنة من انك منته منها عن قريب بفضل عزمك وحزمك ، وثق من مشورتي وسهري بجانبك ، انما لابد من دخول ديار الاندلس مهما طال الزمن !

— رسالة امامي (سيدي عبد الله بن ياسين) كانت هي تطهير هذه الديار من الكفر والضلال ، وسابقى عاملا بها ما حييت ، واما الدخول الى اراض اخرى فسيكلف دماء غالية بين المسلمين ، وهذا ما لا ارضاه،

— ثق انهم هم الذين سيدعونك للقدوم عندهم ، ولا مفر لهم من دعوتك لانقاذهم ، انهم غارقون في الخلاف ، لقد اخبرني احد العائدين من هناك ان ارضهم يحكمها الآن نحو اربعة عشر اميرا من المسلمين ، فلكل مدينة تقريبا امير يحكمها وهو مستعد على الدوام للدخول في حرب مع امير المدينة المجاورة ، وقد يستعين بحليف مسيحي من اجل ذلك، وقد يؤدي له الجزية صاغرا !

— كيف ؟ يؤدون الجزية صاغرين ؟ معاذ الله ان تكون هذه تصرفات مسلمين غيورين على شرفهم.

— الا ترى أن الامر يستوجب تدخلك لانقاذ كرامة الاسلام ؟ !

— سنرى . المسألة تتعلق بالمستقبل . والله يفعل ما يريد !

— انها بلاد رائعة غنية سعيدة .. اتذكر الثوب الفاخر الذي ارتديته ليلة الزفاف ؟ انه أحد البسة الاندلس ، فاذا كان لباسهم هكذا فكيف يا ترى تكون مساكنهم وفرشهم واطعمتهم ونظام حياتهم كلها ؟

— مهما يكن امر ذلك كله فهو ترف زائد ! هل بلغك شيء من امر النساء هناك ؟

— مسكينات ، انهن رغم تقلبهن في النعيم والحضارة فانهن محجوزات في البيوت ، لا يسمع لهن راي ولا يشاركن في مجتمع ، ولا يساهمن في معركة لا بالقول ولا بالعمل . انهن يبقين مأسورات في البيوت حتى يأخذن مأسورات بيد خصومهن من ابناء العمومة او بيد العدو الخبيث الذي لا يتردد في فعل المنكر بهن صغيرات وشابات ، او لا يتردد في استعمالهن خادمات كهلات وعجوزات ..

— هذا ضلال ، ومخالف للسنة . خطتنا نحن معشر المرابطين مع نسائنا معقولة وصالحة .. ولكن ظهوركن في المحافل لا يخلو من مشاكل !

— اعرف ما تقصد . انك تشير الى الغر الذي تمنى ان يتزوج زوجتك !

— نعم ، وقد افهمته انه تجاوز حدود التمنيات الى الوقاحة .

— اما انا فقد فعلت به فعلة اخرى !

— كيف ذلك ؟

— لقد امرت بحبسه واطعمته ثلاثة ايام متوالية طعاما واحدا ، نفس النوع ونفس الطبخ ، ثم دعوته وسألته كيف وجدت طعام الثلاثة ايام ؟ فلما قال انها واحدة ، قلت له : النساء كذلك يا ابله ..

— وبماذا اجابك ؟

— اطرق خجلا ، واخذ يتراجع الى الوراء .. وعندئذ منحته صلة وصرفته الى حال سبيله .

— يا له من درس لمرابطي ساذج !

— دروسي من الآن حتى النهاية هي في صالح

المرابطين الامجاد الذين تقلدت انت أمرهم بحزم وعزم.

— زينب ، يقال ان ابن العم ابا بكر بن عمر يعول على الرجوع الينا ، فما العمل ؟

بوغتت زينب بهذا الخبر ، وراحت تفكر بعمق، وشاب وجهها الصبوح شيء من الكدر .. ثم علقت :

— وماذا يريد من وراء رجوعه ؟ الم ينه الامر معنا جميعا ؟... اسمع ، اذا جاء فأوصيك ...

وهنا علق الامير عينيه بعينيها الذكيتين ووجهها المستدير الجميل واجزاء شعرها الفاحم الناعم المتهدل فوق القفا والظهر ، وهنا كانت اذنه تستمع ولسانه يسر الحمد لله على ما انعم به ..

— اذا جاء هذا الرجل ، وهو كما تعلم ليس بثابت العزم ولا بقوي الارادة ، فاظهر له بالا رجوع فيما تم !

— كيف يكون ذلك ؟

— اذا رجع فاتركه مدة في انتظارك ، ولا تستقبله الا في موكب الامارة الكبير ..

— انا امقت الفخامة والبهرجة .

قالت بصرة والعزم يطل من عينيها :

— لابد من هذا ان كنت تريد استقرارا لبلاد المسلمين وتحفظا من الفتنة ، وان كنت — ايضا — تريد ان تسعى في هناءة اسرتك . اجمع فرقا مهمة من جنود المرابطين ؛ ولتكن على اتم استعداد بأسلحتها وجمالها وخيولها ، يجب ان يكون المظهر قويا جدا وعظيما ومدهشا . وكافيا لادخال الرعب على القلوب وعليك كذلك ان تحدد له الوقت الذي تستقبله فيه ، وليكن استقبالك له على اساس انك امير وهو غير ذي مسؤولية ؛ فعليك حينئذ ان تبقى ممتطيا صهوة جوادك ، ولتبق متمسكا بموقف الامارة وحرمتها .

— لقد كان اميرا قبلي ..

— نعم كان .. اما اليوم فأنت هو الامير ، انت سيد الدولة ، انت قائد المرابطين ، انت هو الذي يعلق عليك الامل ، ما دمت الحازم العازم القوي الارادة المحنك الانجد .. استقبله بمظهر القوة والا ذهبت ضحية الضعف ، قد يأمرك — ان سالمته — بالحلول محله في الصحراء ثم يتركك في مجاهلها الى ما شاء الله .. وقد تحدثه نفسه بعودتي اليه .. اني احذرك !

— لقد اختار الجهاد في السودان وسلم في كل شيء وترك العبء على كاهلي ، ولم يبق هناك دليل على انه ينتوي الرجوع ، ولو كان ينتويه لما طلقك .. لهذا أرى ان ما تقولينه فيه بعض الوهم .

— اتمنى ان اكون واهمة ، لكني اعرف ان من الحزم سوء الظن !

— نعم ان الحزم يقتضي ان آخذ الامور على الشكل الذي اقترحت .

وانكبت زينب على اشغال مسكنها ، تعيد ترتيب كل شيء وتنظيفه ، ملازمة الصمت التام ، بينما تمدد الامير يوسف يروم اخذ سنة من النوم في هذا الهدوء الشامل .. لكن طيف زينب السعيد الذي يتحرك من هنا الى هناك ، واصداء كلمات هذه المراة اللبيبة في ضميره ، واوهام المستقبل العظيم المرتقب جعلت النوم يتعسر على التعسر عليه ، فلم يسعه الا ان ينادي على الزوجة العزيزة لتكون بجانبه ، فبادرت اليه عسى ان تذهب عن نفسها الاوهام التي علقت بها ، والتي لا يستطيع محو اثرها الا الامير الشاب الحازم نفسه .

الرباط — محمد بن احمد اشماعو

نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

تدشين مسجد الحي الحسني بالدار البيضاء

قام معالي وزير عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية الاستاذ السيد الحاج احمد بركاش بتدشين مسجد الحي الحسني بمدينة الدار البيضاء .

وقد رافقه الى المسجد الكولونيل السيد عبد السلام الصفريوي عامل مدينة الدار البيضاء السابق والسيد الحاج احمد بنجلون النائب الاول لرئيس المجلس البلدي والكاتب العام للعمالة والاستاذ الجاي ناظر احباس مدينة الدار البيضاء والسادة رؤساء الاقسام بالعمالة ، وعدة شخصيات .

وتقدم السيد الوزير الى باب المسجد لتدشينه،ثم ادى صلاة الجمعة مع المصلين . وفي نهاية الصلاة رفعت اكف الضراعة الى الله جلت قدرته بالدعوات الصالحة لصاحب الجلالة الملك المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه ، ولوارث سره جلالة الملك المنصور بالله مولانا الحسن الثاني ، وولي عهده سمو الامير سيدي محمد .

في الميدان الثقافي :

صدر العدد الاول من مجلة **الارشاد** التي تسهر عليها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية . **والارشاد** مجلة شهرية تعنى بالتثقيف الشعبي والتوجيه الاسلامي ، وتكتب باسلوب مبسط ليستوفي منها الغرض الذي تهدف اليه ، وهو نشر مبادىء الاسلام ، وكونه دينا خالدا يساير مقتضيات التطور ومستلزمات الحياة في كل عصر .

ويشتمل هذا العدد الاول على المواضيع الآتية:

تفسير قوله تعالى : ان الله يأمر بالعدل والاحسان للاستاذ الرحالي الفاروقي .

تفسير سورة الانفطار للاستاذ عبد الله كنون .

سماحة الاسلام للاستاذ عبد الرحمن الدكالي .

الاعتدال بين الحقوق والواجبات في نظر الاسلام للاستاذ محمد الطنجي .

من مآثر الرسول : للدكتور تقي الدين الهلالي

علامات ارادة الله فينا للاستاذ احمد عبد الرحيم عبد البر .

وحدة الصف للاستاذ مولاي مصطفى العلوي .

من وحي الذكرى للاستاذ عبد القادر الصحراوي

القرآن آية الله الخالدة للاستاذ عبد الله الجراري

من اعلام الاسلام للاستاذ خليفة المحفوظي

جئتكم من عند خير الناس ، للاستاذ محمد بنعبد الله .

مولد الرسول الاعظم للاستاذ محمد عبد الكبير البكري .

الاسئلة والاجوبة ، جواب عن سؤال لرئيس قسم الوعظ والارشاد بوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية .

الاسلام آخر انذار من السماء الى الارض للاستاذ احمد التيجاني .

ويسرنا ان نقدم كلمة الافتتاح التي صدر بها معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية مجلة الارشاد ، قال سيادته :

تبليغ الرسالة الاسلامية وتعاليم الدين الحنيف واجب في كل زمان ومكان ؛ وقد من الله على المسلمين بأن وفق صاحب الجلالة والمهابة غصن الدوحة العلوية الشريفة أمير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله الى الاهتمام بذلك وجعله من الاهداف الرئيسية كما اشار الى ذلك في خطاب العرش حيث قال :

« ونظرا لما اولانا الله من شرف الامامة ، واناط بنا من واجب المحافظة على شعار الدين الاسلامي الحنيف ، أصدرنا أوامرنا لوزارتنا في عموم الاوقاف في نطاق تنمية الوعي الاسلامي وتيسير اسباب السعادة لشعبنا بمواصلة حملات الوعظ والارشاد بجميع جهات المملكة وبناء المساجد بالمدن والقرى والاحياء المفتقرة » .

وتطبيقا لتعليمات وارشادات صاحب الجلالة الملك المعظم .

ولتعميم النفع وايصال الخير الى قلوب المسلمين بالمغرب وخارجه فقد صدرت الاوامر السامية اخيرا لهذه الوزارة بانشاء مجلة دينية ثقافية ادبية تكتب باسلوب مبسط وتكون مشكولة ليستوفي منها الغرض الذي تهدف اليه وهو نشر مبادىء الاسلام وكونه دينا خالدا يساير مقتضيات التطور ومستلزمات الحياة في كل عصر .

وتدور موضوعات هذه المجلة حول الدعوة الى الاسلام والتعريف بأهدافه ومواقفه من القضايا الاسلامية عموما وكذلك التعريف بالاصول العامة للشريعة الاسلامية .

وتشتمل على مقالات خاصة بالسيرة النبوية ومواقف الرسول عليه الصلاة والسلام في تبليغ رسالته وعلى تراجم وخدمات رجال الاسلام في مختلف العصور ويختص ركن من اركانها بالقضايا الاسلامية التي تخص الجانب الاجتماعي والروحي كالمعاملة في الاسلام وموقف الاسلام من الجوانب الخلقية وما الى ذلك ، ويخصص باب من ابوابها للجواب عن الاسئلة الدينية التي ترد عليها .

وتتميما للفائدة فان لجنة التحرير المكونة من اساتذة متخصصين في الدراسات الاسلامية والتي تشرف هذه الوزارة على أعمالها رات ان تكتب او تترجم بعض مقالات المجلة بالفرنسية حتى يستفيد منها المتعطشون لمعرفة دينهم من المثقفين بهذه اللغة كما تترجم كذلك معاني بعض الاحاديث النبوية والايات القرآنية .

وان هذه المجلة المغربية لتتقدم بالشكر والامتنان لولي نعمتها حامي حمى الوطن والدين والساهر على مصالح المسلمين أمير المؤمنين الحسن الثاني ايده الله ، راجية من العلماء الاعلام ان يمدوها بما يرونه صالحا لها من انتاجهم لانهم كهداة يعتبرون مسؤولين على نجاح هذه الدعوة الاسلامية التي اسست من اجلها هذه المجلة .

والله اسأل ان يحفظ ملكنا الهمام ويرعاه بعينه التي لا تنام فهو حفظه الله لا يالوا جهدا لرفع الوية الاسلام عالية خفاقة في هذا البلد الامين الذي يدين له بهذه النهضة الدينية العلمية المباركة التي تعد بحق انبعاثا لحياتنا الروحية والثقافية فكم بذل ويبذل اعز الله امره من مجهودات ، وكم يعطي من وقته الغالي الثمين ليدرس قضايا الاوقاف والشؤون الاسلامية ويصدر في شانها تعليماته السامية ؛ أمد الله مولانا الامام بعونه وعنايته وجعل هذه المجلة من حسناته وحفظه في ولي عهده الامير الجليل سيدي محمد انه سميع مجيب .

احمد بركاش



* اعلن المثقفون الفرنسيون ، واساتذة الجامعات الفرنسية فى بيان وتعوه بأن الاعتداءات التي قامت بها اسرائيل على الدول العربية ، قد كشفت الاهداف الحقيقية التوسعية للسلطات الاسرائيلية .

* كما وجه العلماء العراقيون برقية الى ملوك ورؤساء دول العالم الاسلامي ، يطالبون بالتدخل لتطهير الاراضي المقدسة من دسائس الصهيونية .

* كما وجهت رابطة العالم الاسلامي التي يوجد مقرها فى جدة ، نداء الى زعماء وقادة شعوب الامة الاسلامية تدعوهم فيه لعمل على انقاذ المسجد الاقصى المبارك ، من نوايا الصهاينة فى بناء هيكل سليمان محل المسجد الاقصى .

* وجه رئيس رابطة علماء المغرب ، الاستاذ السيد عبد الله كنون ، نداء الى العالم الاسلامي لاستخلاص بيت المقدس من ايدي الصهاينة

* زار المغرب الدكتور محمد الحبيب بلخوجة، الذي اسندت اليه كتابة الدولة التونسية فى الثقافة ، الاشراف على الدار التونسية للنشر . وقد زار الدكتور بلخوجة كبريات المدن المغربية واتصل برجال الثقافة والفكر فيها ، واتفق مع بعضهم على اصدار انتاجهم فى الدار المذكورة ، نتيجة الاتفاقية الثقافية المبرمة بين المغرب وتونس فى الايام الاخيرة .

* كان للحملة الثقافية التي نظمتها نيابة كتابة الدولة فى الشبيبة والرياضة فى جميع انحاء المغرب اثرها الكبير فى رفع المستوى الثقافي بالبلاد .

* « اهداني خوخة ومات » عنوان الديوان الذي اصدره السيد احمد صبري

* يزور المغرب الشيخ شفيق يموت ، السفير اللبناني الذي اوفدته الحكومة اللبنانية الى بلدان المغرب العربي فى مهمة ثقافية . وزار السيد يموت ليبيا ، وتونس ، والجزائر .

* اجتمعت مؤخرا الجمعية المغربية للعلوم الطبيعية والفيزياء بالدار البيضاء لدراسة التقدم العلمي فى القرن العشرين .

* استدعى الفنان النحات بنصايغ خليفة رئيس جمعية الفنانين الاحرار للمشاركة فى معرض ميلانو، الذي ستشترك فى اقامته اربع عشرة دولة ، والذي افتتح تحت شعار « المعرض الدولي الثالث للنحت»

* اقيم بمركز الثقافة الشعبية بغابة المعمورة، تجمع لرؤساء الاتحادات الاقليمية لمسرح الهواة لدراسة فرق هواة المسرح بالمغرب .

* حصل اثنان من الطلبة المغاربة على الجائزتين الوحيدتين فى المسابقة العامة التي نظمتها المدارس والثانويات بفرنسا حول اللغة العربية .

* سيقام بتونس مهرجان تخليدا لذكرى الشاعر المرحوم الطيب الشريف .

* اقامت لجنة من المثقفين فى تطوان حفلة تأبين للمرحوم الاستاذ الحاج محمد بنونة .

* عثر السيد شارل دوبوابي ، الاستاذ فى ثانوية سليمان بمدينة فاس ، على عظام بشرية على بعد 30 كلم من سيدي حرازم . وهذه العظام عبارة عن جزء من جمجمة فى منطقة يعود اصلها الى العصر الحجري الثالث ، وبداية العصر الرابع ، ولهذه الجمجمة خصائص الانسان العاقل .

* اصدر السيد ابن دفعة ديوانا بعنوان « اشواك بلا ورد » .

* نوقشت رسالة السيد احمد الدمناتي عن « القصة فى المغرب » فى كلية الآداب فى آخر هذا الموسم .

* توفي بمدينة طنجة الاستاذ السيد محمد الريفي ، مدير مدرسة محمد الخامس ، واحد الرجال العاملين فى الحقل الثقافي والتربوي ، والادبي . وقد ترك نعيه حزنا عميقا فى الاوساط الثقافية وقام الاستاذ الكبير السيد عبد الله كنون بتابينه . رحمه الله رحمة واسعة .

* اتفق الدكتور محمد الحبيب بلخوجة مع السيد محمد الصباغ على اصدار كتابيه « شموع على الطريق » و«عندلة» فى الدار التونسية للنشر ، التي يشرف على تسييرها .

* عاد الى تونس الشيخ محمد الفاضل بن عاشور مفتي الجمهورية التونسية ، وعميد كلية الشريعة قادما من تركيا ، بعد ان القى بها سلسلة من المحاضرات .

* تنتهي الدار التونسية للنشر قريبا من اصدار ثلاثة كتب جديدة هي : ثورة بن غذاهم لمدام سلامة . وهو كتاب يحلل فى عمق ثورة علي بن غذاهم واسبابها وانعكاساتها . و « طبقات ابي العرب » تحقيق الدكتور علي الشابي ، والدكتور حسني اليافي ، ويعتبر هذا الكتاب اول كتاب افريقي حدد ملامح المجتمع التونسي ، وكشف عن معطياته الاساسية . و « قافلة العبيد » ديوان شعر لحسن بنحميدة ، وهو الديوان الذي ترقبه الناس من زمان طويل .

* صدر عن الدار التونسية للنشر ديوان بعنوان « قلب على شفة » للشاعر احمد اللغماني .

* تصدر بتونس مجلة بعنوان « القيروان »

* نشر الفيلسوف البريطاني برتراند رسل تصريحا اتهم فيه « اسرائيل » بانها قامت بالعدوان وذلك بمواصلة هجماتها على الاراضي السورية ، رغم قرارات وقف النار ، وبرفضها الانسحاب من الاراضي التي قامت باحتلالها . واضاف الكاتب البريطاني الكبير : ان على هؤلاء الذين اظهروا عطفهم على اليهود عندما كانوا ضحية للاعتداء الهتليري ، الا يعتبروا ان بقاء «اسرائيل» ووجود سياسة للتوسع يشكلان قضية واحدة .

* « زغاريد ومطر بالفجر » مجموعة شعرية لعلي صدقي عبد القادر ، صدرت فى منشورات اللجنة العليا لرعاية الفنون والآداب بوزارة الاعلام الليبية فى طرابلس الغرب .

* صدر عن دار المكشوف فى بيروت الكتب التالية : « وهل يخفى القمر ؟ » دراسة عن « عمر بن ابي ربيعة » لرئيف فخوري ، طبعة جديدة « استرا ستنهوب » لجورج مصروعة . « عود الكبريت » مجموعة قصص للكاتب السوداني احمد محمد الامين

* « طريق السراب » مجموعة شعرية لاميل اديب صدرت فى بيروت .

* صدرت فى منشورات عويدات ببيروت الكتب التالية : « مدخل الى تاريخ العلاقات الدولية » لبيير رينوفان ، وجان باتيست دوروزيل ، ترجمة فايزكم نقش ، وتقديم الدكتور نور الدين حاطوم ، رئيس دائرة الحضارة والتاريخ فى جامعة دمشق ، فى سلسلة مكتبة الفكر الجامعي . وكتاب « المنطق » للدكتور جميل صليبا فى سلسلة مكتبة الفكر الجامعي ايضا ، وتاريخ « الرواية الحديثة » لالبيريس ترجمة الاديب السوري جورج سالم .

* تأسست فى بيروت شركة مساهمة جديدة جديدة اسمها « دار النهار للنشر » وهي منبثقة عن شركة جريدة « النهار » وقد اتفقت مع الشاعر يوسف الخال على أن تصدر له مجلة « شعر » بعد احتجابها سنتين . هيئةالتحرير مؤلفة من : يوسف الخال ، انسي الحاج ، شوقي ابن شقرا ، عصام محفوظ ، فؤاد رفقة ، رياض نجيب الريس . ولن تكون المجلة وقفا على الشعر كما كانت . وستصدر مرة كل ثلاثة اشهر .

* صدرت عن دار الآداب فى بيروت الكتب التالية : « اسلاميات » للدكتور طه حسين ، يجمع كتبه الاسلامية ويقع فى 1100 صفحة ، حجم كبير ، و « السفير » رواية لموريس ويست وترجمة نزيه الحكيم فى 320 صفحة ، حجم كبير . وثار وحب مجموعة شعرية للشاعر الجزائري الدكتور ابو القاسم سعد الله .

* استأنفت دار «مارون عبود» التي انشئت حديثا في بيروت ، نشاطها بنشر كتاب « الرؤوس » للفقيد مارون عبود في طبعة ثالثة متقنة ، اشرف عليها رئيف خوري ، فوضع شروحا تيسر قراءة الكتاب .

* تصدر قريبا عن دار الآداب ببيروت الكتب التالية : « امام الباب المغلق » مجموعة شعرية لفدوى طوقان . « الشوارع العارية » رواية للكاتب الايطالي فاسكو براتوليني ، ترجمها عن الانجليزية ادوار الخراط . « الجوع والقمر » مجموعة شعرية لمحمد عفيفي مطر .

* « بيت العنكبوت » مجموعة شعرية لتريز عواد صدرت في بيروت .

* صدرت عن دار الريحاني ببيروت الكتب التالية : « جبران حيا وميتا » للشيخ حبيب مسعود « اشكالات » دراسات فلسفية للدكتور ملحم قربان ، استاذ الفلسفة في الجامعة اللبنانية . « مذكرات اجتماعية سياسية » للدكتور غصن استاذ الطب الشرعي في الجامعة الامريكية ببيروت .

* انجز خليل ابراهيم العطية تحقيق ديوان « توبة الحمير الخفاجي » صاحب ليلى الاخيلية عن النسخة الفريدة المحفوظة بجامع الفاتح باستنبول . وسيتقدم الى المجمع العلمي العراقي لتعضيد نشره .

* تقدم فريق من الادباء اللبنانيين الى وزير التربية والفنون عريضة هذا نصها : ادباء الامة الذين يفنون اعمارهم في العطاء والابداع الادبي ، هم ضمير الامة وعنوان شرفها . حالة الحرمان التي يعانونها صك اتهام للدولة . نطلب تعيين رواتب للمتفوقين منهم للعطاء والابداع الادبي تحفظ لهم كرامتهم ونعتبر ذلك قضية وطنية حيوية » .

* صدر في بغداد « المنتجع » وهو موجز بتصرف لكتاب « انوار الربيع في انوار البديع » لاحمد نظام الدين الحسيني ، بقلم خليل رشيد .

* سيصدر قريبا للدكتور عبد الستار الجواري نائب رئيس المجمع العلمي العراقي كتاب بعنوان « القدم في اللغة العربية » .

* باشر في بغداد العميد المتقاعد عبد الرحمن التكريتي ، بطبع الجزء الثاني من كتابه « الامثال البغدادية المقارنة — مقارنة مع امثال احد عشر قطرا عربيا » .

* صدر في بغداد ديوان « عبير وزيتون » للشاعر عدنان غازي الغزالي ، ويضم اكثر من عشرين قصيدة .

* صدر عن المكتبة العصرية في صيدا وبيروت الكتب الآتية : « احزان صحراوية » مجموعة شعرية لتيسير سبول ، « الرحلة الثامنة » كتاب نقد وادب لجبر ابراهيم جبرا .

* « الادب الجزائري المعاصر » للدكتور سعادة محمد خضر « في القصص العراقي المعاصر » نقد ومختارات للدكتور علي جواد الطاهر .

* يصدر قريبا في بغداد للدكتور علي الوردي كتاب « تطور الوعي السياسي في العراق الحديث » وهو بحث تحليلي اجتماعي لاحداث العراق السياسية منذ اوائل القرن العشرين .

* قررت جمعية حماية الفنون والآداب في بغداد، طبع كتاب لمنتخب من « فكاهات العرب » لسالم الجبلي ، ويضم نوادر وفكاهات العرب قبل الاسلام .

* قريبا يصدر في بغداد كتاب « سوانح » للدكتور محمد مهدي البصير .

* « كتاب سيبوية وشروحه » عنوان الكتاب الذي اصدرته في بغداد الدكتورة خديجة الحديثي ، وقد ساعدت وزارة التربية على نشره .

* وجهت سكرتارية مجلس التربية ببغداد ، الى عدد من الشعراء كتابا اعلنت فيه ان المركز الاسلامي في بروكسيل ، ينوي نشر مجموعة شعرية للشعراء العراقيين المعاصرين باللغة الفرنسية وطلبت السكرتارية تزويدها بست قصائد مما يختارونه من شعرهم لنشرها في المجموعة المذكورة .

* « تاريخ الدور » تأليف يونس الشيخ ابراهيم السامرائي ، صدر في بغداد وهو يتحدث عن البحث في تاريخ الدور وموقعه الجغرافي ، ثم اهم العشائر في تلك المنطقة . وقد دفع الشيخ يونس الى المطبعة بكتاب جديد عنوانه « مراقد الائمة والاولياء في سامراء » .

* توفي في مستشفى القوات المسلحة بالقاهرة الشاعر العراقي عدنان الراوي ، حيث كان قيد

※ استأنفت دار «مارون عبود» التي انشئت حديثا في بيروت ، نشاطها بنشر كتاب « الرؤوس » للفقيد مارون عبود في طبعة ثالثة متقنة ، اشرف عليها رئيف خوري ، فوضع شروحا تيسر قراءة الكتاب .

※ تصدر قريبا عن دار الآداب ببيروت الكتب التالية : « امام الباب المغلق » مجموعة شعرية لفدوى طوقان . « الشوارع العارية » رواية للكاتب الايطالي فاسكو براتوليني ، ترجمها عن الانجليزية ادوار الخراط . « الجوع والقمر » مجموعة شعرية لمحمد عفيفي مطر .

※ « بيت العنكبوت » مجموعة شعرية لتريز عواد صدرت في بيروت .

※ صدرت عن دار الريحاني ببيروت الكتب التالية : « جبران حيا وميتا » للشيخ حبيب مسعود « اشكالات » دراسات فلسفية للدكتور ملحم قربان ، استاذ الفلسفة في الجامعة اللبنانية . « مذكرات اجتماعية سياسية » للدكتور غصن استاذ الطب الشرعي في الجامعة الامريكية ببيروت .

※ انجز خليل ابراهيم العطية تحقيق ديوان « توبة الحمير الخفاجي » صاحب ليلى الاخيلية عن النسخة الفريدة المحفوظة بجامع الفاتح باستنبول . وسيتقدم الى المجمع العلمي العراقي لتعضيد نشره .

※ تقدم فريق من الادباء اللبنانيين الى وزير التربية والفنون عريضة هذا نصها : ادباء الامة الذين يفنون اعمارهم في العطاء والابداع الادبي ، هم ضمير الامة وعنوان شرفها . حالة الحرمان التي يعانونها صك اتهام للدولة . نطلب تعيين رواتب للمتفوقين منهم للعطاء والابداع الادبي تحفظ لهم كرامتهم ونعتبر ذلك قضية وطنية حيوية » .

※ صدر في بغداد « المنتجع » وهو موجز بتصرف لكتاب « انوار الربيع في انوار البديع » لاحمد نظام الدين الحسيني ، بقلم خليل رشيد .

※ سيصدر قريبا للدكتور عبد الستار الجواري نائب رئيس المجمع العلمي العراقي كتاب بعنوان « القدم في اللغة العربية » .

※ باشر في بغداد العميد المتقاعد عبد الرحمن التكريتي ، بطبع الجزء الثاني من كتابه « الامثال البغدادية المقارنة — مقارنة مع امثال احد عشر قطرا عربيا » .

※ صدر في بغداد ديوان « عبير وزيتون » للشاعر عدنان غازي الغزالي ، ويضم اكثر من عشرين قصيدة .

※ صدر عن المكتبة العصرية في صيدا وبيروت الكتب الآتية : « احزان صحراوية » مجموعة شعرية لتيسير سبول ، « الرحلة الثامنة » كتاب نقد وادب لجبر ابراهيم جبرا .

※ « الادب الجزائري المعاصر » للدكتور سعادة محمد خضر » في القصص العراقي المعاصر » نقد ومختارات للدكتور علي جواد الطاهر .

※ يصدر قريبا في بغداد للدكتور علي الوردي كتاب « تطور الوعي السياسي في العراق الحديث » وهو بحث تحليلي اجتماعي لاحداث العراق السياسية منذ اوائل القرن العشرين .

※ قررت جمعية حماية الفنون والآداب في بغداد، طبع كتاب لمنتخب من « فكاهات العرب » لسالم الجبلي ، ويضم نوادر وفكاهات العرب قبل الاسلام .

※ قريبا يصدر في بغداد كتاب « سوانح » للدكتور محمد مهدي البصير .

※ « كتاب سيبويه وشروحه » عنوان الكتاب الذي اصدرته في بغداد الدكتورة خديجة الحديثي ، وقد ساعدت وزارة التربية على نشره .

※ وجهت سكرتارية مجلس التربية ببغداد ، الى عدد من الشعراء كتابا اعلنت فيه ان المركز الاسلامي في بروكسيل ، ينوي نشر مجموعة شعرية للشعراء العراقيين المعاصرين باللغة الفرنسية وطلبت السكرتارية تزويدها بست قصائد مما يختارونه من شعرهم لنشرها في المجموعة المذكورة .

※ « تاريخ الدور » تاليف يونس الشيخ ابراهيم السامرائي ، صدر في بغداد وهو يتحدث عن البحث في تاريخ الدور وموقعه الجغرافي ، ثم اهم العشائر في تلك المنطقة . وقد دفع الشيخ يونس الى المطبعة بكتاب جديد عنوانه « مراقد الائمة والاولياء في سامراء » .

※ توفي في مستشفى القوات المسلحة بالقاهرة الشاعر العراقي عدنان الراوي ، حيث كان قيد

سقطة واهانة من ابن اخيه الاديب عامر العقاد لا يستحقها العقاد .. ولا الذين يحبونه .

* من انباء القاهرة ان دار الكاتب العربي ، قدمت الى المطبعة هذا الاسبوع ، الجزء السابع عشر من كتاب « الاغاني » لابي الفرج الاصفهاني « ت 356 هـ » وستتلوه ثلاث اجزاء بها يكتمل الكتاب الذي كان قد توقف نشره فى « دار الكتب » عند الجزء السادس عشر ، وطبعت هذه الاجزاء بالاوفست فى العام الماضي .

* صدر فى القاهرة كتاب بعنوان : (جدول ترقيم اسماء المؤلفين العرب فى المكتبات) تاليف الاستاذ ابو الفتوح عودة وتقديم الدكتور محمد حمدي البكري . وهو فى 292 ص من القطع الكبير .

يتضمن الكتاب دراسة علمية للاسماء العربية مبينا طبيعتها وطرق معاملتها فى الفهارس العربية وقواعد ترتيبها ابجديا وقواعد فهرستها ، كما يتضمن جداول يمكن بها ترقيم اسماء المؤلفين فى المكتبات لتضاف الى ارقام التصنيف مع شرح واف عن طرق استخدامها .

* قام عشرون مثقفا سوفيانيا بتوقيع عريضة قدمت للسلطات المسؤولة واحتج المثقفون فى فى عريضتهم على بعض مواد قانون العقوبات السوفياتي ، التي تتعرض لحرية النشر والتأليف وتقيد حرية المؤلفين والكتاب والفنانين .

وطالب الموقعون بتغيير او رفع تلك المواد حتى يتحرر الكتاب من تلك القيود .

* الاستاذ احمد حسن الزيات كان قد اعد مذكراته عن العراق غير انها احترقت اذ القيت بالنار خطا .. كان الكاتب الكبير قد جمعها خلال وجوده بالعراق عام 1934 ونشر بعضها بمجلتي المعرفة والرسالة .

* الدكتور مصطفى جواد ، عثر على (جزء خامس لالف ليلة وليلة) باللغة الفرنسية وسوف يقوم بترجمته الى اللغة العربية قريبا ، هكذا نشرت الخبر بعض الصحف المحلية .

* بناء على اقتراح الدكتور طه حسين وافق الدكتور ثروت عكاشة نائب رئيس الوزراء ووزير الثقافة فى الجمهورية العربية المتحدة على تعيين كل من الدكتور سليم النعيمي نائب رئيس المجمع العلمي العراقي واللواء محمود شيت خطاب والاستاذ السيد محمد تقي الحكيم والاستاذ محمد شفيق العاني والدكتور عبد العزيز الدوري اعضاء مراسليين فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

* صدر مؤخرا الجزء الاول من كتاب العين وهو اول معجم فى اللغة العربية للخليل بن احمد الفراهيدي (100 — 175هـ) تحقيق الدكتور الفاضل عبد الله درويش الاستاذ بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة وقد ساعد المجمع العلمي العراقي على طبعه. ولا ريب ان تحقيق مثل هذا الكتاب وصدوره من الاحداث الادبية المهمة وقد نشرنا فى محل آخر من (المكتبة) بحثا عن هذا الكتاب ومحققه .

* سال محرر جريدة (الجمهورية) فى القاهرة الدكتور طه حسين عن اثر زيارة الفيلسوف سارتر لمصر ورايه فى فلسفته ... فضحك ضحكته المشهورة التي تصدر من حنجرته ثم اجاب : تسالني عن سارتر وانا لم اعلم من أمر زيارته ، وتنقلاته الا من الصحف ، وهذا بلا شك أم رعجيب العجب كله ، فلم ادع لزيارته ، كما لم يطلب مني ان اقوم بزيارته ، فهل بعد ذلك تطلب مني ان اتحدث عنه وعن فلسفته ؟

* معهد اللغات الشرقية فى المانيا الديمقراطية سيصدر فى العام القادم كتابا عن المستشرق الالماني كارل بروكلمان « 1868 — 1956 » مؤلف « تاريخ الادب العربي » وغيره وذلك بمناسبة مرور مائة عام على ميلاده ، وستعقد جامعة « هالة » مؤتمرا علميا يحضره المستشرقون والعرب احتفالا بهذه الذكرى .

* كتاب « سيرتي الذاتية » الذي ضمنه برتراند راسل الفيلسوف البريطاني قصة حياته ، وكانت جميع نسخ الكتاب قد بيعت مقدما قبل موعد صدوره.

وتقول دار النشر التي تتولى اصدار الكتاب ، وهي دار « جورج الين وانوين ان الجزء الاول منه والذي تنتهي احداثه عند نشوب الحرب العالمية الاولى، سيصبح احد الاعمال الكلاسيكية مثل « اعترافات روسو » .

* انتهى الدكتور عطية عامر بجامعة اوبسالا من تحقيق كتاب (اصول النحو) لابي بكر السراج ، وهو يبحث عن ناشر لنشره .

وللدكتور المذكور نشريات قيمة منها كتاب (نزهة الالباء فى طبقات الادباء) للانباري .